

الجزء الأول

المجلد الحادي والأربعون

مجلة

مجلة اللغز العربية بمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



كانون الثاني « يناير » سنة ١٩٦٦ م

رمضان سنة ١٣٨٥ هـ

مجلة
مجمع اللغة العربية دمشق
«مجلة المجمع العلمي العربي سابقا»

انشرت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

نصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي { في جميع البلاد العربية ١٠٠٠ قرش سوري
وفي سائر الأقطار ١٢٠٠ قرش سوري
وإذا طُلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تضاف أجرته إلى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن
آرائهم الشخصية .

قاسم بن ثابت السرقسطي

وكتابه

في غريب الحديث المسمى بالدلائل

في كتاب سيدنا الرسول العربي ﷺ لوائل بن حجر ولقومه الأقيال
العبادلة من أهل حضرموت ألفاظ غريبة كان لا يفهم أكثرها الصحابة من
حواله . لأنه كان يخاطب كل قوم من العرب بلغتهم الخاصة ، ومن هذا
الكتاب : « على التبعة شاة والتبعة لصاحبها ، وفي السيوب الخمس لا خيلاط
ولا وراط ، ولا شيناك ولا شيفار ، ومن أجبي فقد أربي » (١) ، وقد
سئل ابن الأعرابي عن (التبعة) فقال : لا أدري ؛ وقال الإمام علي للنبي ﷺ ،
وقد سمعه يخاطب وقد بني نهدي (٢) : يا رسول الله ، نحن بنو أب واحد ،

(١) وعن الفراء : (التبعة) من الشاة القطعة التي تحب الصدقة ترمي حرل البيوت
و (التبعة) الشاة تذبح في المجاعة ، وقد ذكر الزمخشري في أول كتابه الفائق
هذه الرسالة ، ومن درجه لألفاظها : (السيوب) الركاز وهو المال أو المعدن
المدفون جمع سيب بمعنى العطاء لأنه عطاء الله ، و (الخلاط) أن يخاطب صاحب
الثمين صاحب الأربعين في النعم ، و (الوراط) خدام المصدق بأن يكون له
أربعون شاة فيعطى صاحبها نصفها مأخوذة من الورطة ، و (الشناق) أخذ شيء
من الشئ وهو ما بين القريضتين ، و (الشفار) من أنواع الزواج في الجاهلية ،
و (أجبي) باع الزرع قبل بدء صلاحه ، و (أربي) دخل في الربا ، والمصدر الإرباء .
(٢) بنو قهد من قبائل اليمن .

وزاك تكلم وفود العرب بما لا تفهم أكثره ، فقال : أدبني ربي فأحسن تأديبي ، وريت في بني سعد (١) .

وظل أصحاب النبي يسألونه عما لا يفهمون له معنى فيفسره لهم ، واستمر ذلك إلى وفاته ، ولما فتحت الأمصار ، وخالط العرب من الأعاجم الفرس والحش والروم والأنباط ، تداخلت اللغات ، ونشأ من مسلة الأعاجم من تعلموا من العربية لغة التخاطب غسب ، ثم نهج التابعون نهج الصحابة إلا أنهم كانوا أقل منهم ضبطاً وإتقاناً ، فصعب على كثير من المسلمين فهم ما ورد في القرآن والحديث من الغريب ، فاستعجمت العربية بأبناء الأعاجم ، واستشري فساد اللغة ، وكثرت الألفاظ الغريبة ، فخرج الفئير على العربية من علمائها في جمع الغريب من ألفاظ الحديث والآثار ، ومما أورده ابن الأثير أيضاً في مقدمة نهايته في تاريخ تأليف غريب الحديث ما خلاصته :

قيل ان أول من جمع في هذا الفن شيئاً وألّف فيه أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، فجمع من ألفاظ غريب الحديث والآثر كتاباً صغيراً ذا أوراق معدودات ، ولم تكن قلته لجهله بغيره من غريب الحديث ، وإنما كان ذلك لأمرين : أحدهما أن كل مبتدئ شيء لم يسبق إليه فانه يكون قليلاً ثم يكثر ، وصغيراً ثم يكبر ، والثاني أن الناس يومئذ كان فيهم بقيّة ، وعندهم معرفة فم يكن الجهل قد عمّ ، ولا الخطب قد تمّ ، ثم جمع أبو الحسن النضر ابن شميل (٢) المازني بعده كتاباً في غريب الحديث أكبر من كتاب أبي عبيدة وشرح فيه وبسط على صغر حجمه ولطفه ، ثم جمع عبد الملك بن قريب (الأصمعي) كتاباً أحسن فيه الصنع وأجاد ، ونيّف على كتابه وزاد ، وكذلك

(١) في الرب سمود كثيرة منها سعد تميم وسعد قيس وسعد بكر بن هوازن ومنهم

حليمة السعدية التي أرضعت النبي ﷺ وكانوا من أفصح العرب وأكثرهم مروءة ووفاء .

(٢) توفي ٥٨١ هـ .

محمد بن المستير المعروف بقطرب وغيره من أئمة اللغة والفقه جمعوا أحاديث تكلموا على لغتها ومعناها في أوراق ذوات عدد ، ولم يكدهم أحد منهم ينفرده عن غيره بكبير حديث لم يذكره الآخر ، واستمرت الحال إلى زمن أبي عبيد القاسم بن سلام وذلك بعد المائتين فجمع كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار ، ويروى أنه قال : إني جمعت كتابي هذا في أربعين سنة ، وهو كان خلاصة عمري ، وظل كتابه مرجع الناس إلى عصر ابن قتيبة الدينوري فصنف كتابه في غريب الحديث والآثار . وحذا فيه حذو أبي عبيد وتبع ما أغفله من الألفاظ الغريبة .

ومن ألف في غريب الحديث والآثار وكان في زمان ابن قتيبة الإمام إبراهيم بن إسحق الحربي وجمع كتابه المشهور في غريب الحديث ، وهو في مجلدات عدة استقصى فيه الأحاديث بطرق أسانيدھا ، ومثله ألف في الغريب شمر بن حمدويه ، وأبو العباس أحمد بن يحيى (ثعلب) ، وأبو العباس محمد ابن يزيد البرد ، وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، وأحمد بن الحسن الكندي ، وأبو عمر الزاهد صاحب ثعلب ، ولم يخل عصر ممن لم يجمع في هذا الفن شيئاً ، وفي فهرست ابن النديم فصل خاص للمؤلفين في غريب الحديث كهؤلاء الذين مر ذكرهم ، وفي تراجم علماء اللغة والحديث من الفهرست كثير ممن لم يذكرهم ابن النديم في هذا الفصل ولعلمهم يلغون المذكورين أو يزيدون .

واستمرت الحال في تصنيف الغريب إلى عهد الإمام أحمد بن محمد الخطاطبي وكان بعد ٣٦٠ هـ ، فألف كتابه المشهور الذي سلك فيه نهج أبي عبيد وابن قتيبة فقد ذكر الخطاطبي كتابها وأثنى عليها ، وذكر في كتابه أنه ذكر ما لم يرد في كتابها من ألفاظ الغريب ، وفي عصر الخطاطبي صنف الإمام أحمد بن محمد الهروي صاحب الإمام الأزهر في كتابه في غريب القرآن والحديث

وسماه كتاب الزريين ، جمع فيه ما في كتاب أبي عبيد وابن قتيبة وغيرها من المتقدمين ، فانتشر في الأمصار وصار العمدة في غريب الحديث .

وألف أبو القاسم الزمخشري في غريب الحديث كتابه (الفائق) مقفىً على حروف المعجم (١) ، ثم ألف محمد بن أبي بكر المديني الاصفهاني كتاباً سلك فيه مسلك الهروي وقد اختصره من كتابه ، ثم اطلع الإمام ابن الأثير على جميع ما صنف من قبله فألف كتابه النهاية في غريب الحديث والأثر ، وهو اليوم مرجع الباحثين عن غريب الحديث ، ولم يذكر في مقدمة كتابه الدلائل لأنه كتاب مغربي لم يطلع عليه ولم يبلغه ما قاله صاحب الأمالي فيه .

مزايا كتاب الدلائل . — لآل قاسم بن ثابت العوفيّين منزلة سامية بين علماء الأندلس ، ولكتاب الدلائل في شرح غريب الحديث مزايا جمّة ، ولم يستغن عنه علماء الحديث واللغة ، فكانوا يفاخرون بقراءته ، نذكر على سبيل المثال الشيخ عبد الملك بن زهر الايادي ، ففي كتاب التكملة لابن الأثير يروي عن أبي محمد بن عتاب أنه تناول منه موطئاً مالك والصحيحين والدلائل لقاسم السرقسطي . وكان العلماء يقرأون الدلائل على قاسم بن ثابت ، ويكتبونها عن الأصل ويفاخرون بذلك ، وذكرت التكملة عن كتب الدلائل عبد الله بن محمد بن سارة البكري فقد كتب الدلائل لقاسم بن ثابت من أصله وقرأها عليه ، وتسلسل التحديث بالدلائل في أولاد قاسم منهم عبد الله ابن ثابت بن سعيد بن ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم العوفي ، فقد كان يحدث بالدلائل من تأليف جده الأعلى عن أبيه متصلاً ذلك في سلفه إلى جده ، وكان قتيلاً عريقاً في النباهة والعلم ، وحدث عنه من أكابر العلماء كثيرون .

(١) طبع للمرة الأولى في حيدرآباد الدكن ١٣٢٤ هـ ، ثم طبعته في القاهرة دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٤ هـ .

وفي الدلائل من غريب اللغة ونشرحه الفصل ما ليس في غيره من كتب الغريب واللغة ، فقد جاء في (بفة التمس) (١) ترجمة لثابت بن قاسم بن ثابت ، وذكر فيها كتاب الدلائل فقال : هو كتاب مفيد ذكر فيه ما لم يذكره أبو عبيد (القاسم بن سلام) ولا الخطّابي وأورد فيه من اللغة ما لم يورده أحد من علماء الغريب ،

وكثيراً ما استشهد صاحب اللسان بالأحاديث النبوية وآثار الصحابة باختصار وحذف ، وهي كاملة في الدلائل ، مثال ذلك مادة (عالج) في اللسان فقد جاء فيها ما نصه : وعلّجه فعلّجه عَليّاً : إذا زاوله فتابه ، وعلّج عنه دافع ، وفي حديث علي : إنه بعث رجلين في وجه وقال : إنكما علجان فمالجا عن دينكما . . . ، العلج الرجل القوي الضخم ، و (علجا) أي مارسا العمل الذي انتدبتكما إليه ، وجاء بعد حديث علي هذا في كتاب الدلائل ما نصه مع السند :

وحدثنا موسى بن هرون قال أخبرنا علي بن الجعد قال أخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال : دخلت على علي أنا ورجلان : رجل منا - أي من بني مراد قوم عبد الله بن سلمة المرادي - ورجل من بني أمد أحسبه ، قال : فوجّتها وجهاً فقال : إنكما علجان فمالجا عن دينكما . . . وبحديث الدلائل عرفنا الرجلين وقوميهما ، واطمأن القلب بالسند فان موسى ابن هرون قد ذكره ابن حبان في الثقات ، وحسب علي بن الجعد أن يروي عنه مثل البخاري وأبي داود وأحمد وابن معين الذي كتب عنه أكثر من ثلاثين سنة ؛ ثم من شواهد مادة (عالج) في الدلائل وهي غير موجودة في اللسان رجز الحديث التالي الذي رواه سهل بن محمد (أبو حاتم السجستاني) عن الأصمعي قال : أنشدني أعرابي من بني بكر بن وائل في مسلة بن عبد الملك :

مَسْلَمَ يَا خَيْرَ قَرِيشٍ دَرَجَا أَجَلْتُهَا حَلَمًا وَأُجْجَاهَا حِجَابًا
 إِذَا الْمَلَامَاتُ اعْتَلَجْنَ عَلَجًا كُنْتُ بِأَذْنِ اللَّهِ مِنْهَا مُخْرَجًا
 وَمِنْ الشُّوَاهِدِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَذِهِ الْمَادَّةِ وَلَا تَوْجِدُ فِي اللِّسَانِ : حَدِيثُ يَحْيَى
 ابْنِ مَعِينٍ عَنِ الْأَبْرِشِ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ اسْحَقَ قَالَ : رَأَيْتُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ (١)
 يَلْبَسُ الصُّوفَ ، وَكَانَ عَلِجُ الْخَلْقِ ، يَعَالِجُ يَدَيْهِ وَيَعْمَلُ ، وَقَوْلُهُ (عَلِجُ الْخَلْقِ)
 مِثْلُ حَدِيثِهِ الْآخَرِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ : (كَانَ ذَا كِدْنَةٍ) قَالَ أَبُو زَيْدٍ يَقَالُ :
 مَا أَحْسَنَ كِدْنَتَهُ وَعَيْدَتَهُ أَيُّ قُوَّتِهِ وَأَنْشَدَ :

إِنِّي عَلَى ذَاكَ لِبَاقٍ كِدْنَتِي وَتَارَكَ وَجْهِي بَيْنَ صَبِيَّتِي
 وَجَاعَلَ ذَكَرَ الْغَوَائِي هَمْتِي

وَفِي مَادَّةِ (حَزْم) مِنَ اللِّسَانِ يَسْتَشْهَدُ ابْنُ مَنْظُورٍ عَلَى قَوْلِهِمْ : شَدَّةُ
 حَزْمِهِ وَحِيَازِيمُهُ أَيُ تَشْمُرُ لِلْأَمْرِ بِقَوْلِهِ : وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
 أَشَدُّ حِيَازِيمِكَ لِلْمَوْتِ فَانِ الْمَوْتَ لَا قِيَا
 وَعِبَارَةُ الدَّلَائِلِ : وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ كَانَ إِذَا نَظَرَ إِلَى
 ابْنِ مَلْجَمٍ يَقُولُ :

أَشَدُّ حِيَازِيمِكَ لِلْمَوْتِ فَانِ الْمَوْتَ آتِيَا
 وَلَا تَجْزَعُ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا حَلَّ بِوَادِيَا

حَدَّثَنَا ابْنُ الْهَيْثَمِ عَنْ دَاوُدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ ثَابِتِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ
 يَقَالُ لِلرَّجُلِ : أَشَدُّ حِيَازِيمِكَ لِهَذَا الْأَمْرِ أَيُ تَشْمُرُ لِلْأَمْرِ ، أَيُ وَطَّنَ
 نَفْسَكَ عَلَيْهِ ، وَالْحِزُومُ الصَّدْرُ وَمَا احْتَزَمَ بِهِ قَالَ الرَّاعِي :

زَجَلُ الْحَدَاءِ كَأَنَّ فِي حِزُومِهِ قَصَبًا وَمَقْنَمَةُ الْحَنِينِ عَجُولًا
 يَقُولُ كَانَ فِي صَوْتِهِ مَزَامِيرٌ مِنْ حَسَنِ صَوْتِهِ ، وَقَوْلُهُ (مَقْنَمَةُ الْحَنِينِ)

(١) هُوَ حَفِيدُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، أَحَدُ الْفُقَهَاءِ السُّبَّةِ . وَكَانَ مِنَ الثَّقَاتِ الْأَمْثَاتِ وَهُوَ
 أَبَاهُ فِي الْمَدَى وَالسَّتِ .

يعني ناقة إذا حنّت رفعت رأسها وأقنعتة ، وبمضهم يسمى الحيزوم حزياً
قال أعشى باهلة :

إني أشد حزيمي ثم يدركني منك البلاء ومن آلائك الذِكرُ
وفي حديث العائدي التالي الذي جاء في الدلائل صلة لشعر أحيحة بن
الجلّاح لم تذكر في الأغاني (١) ولا في خزانة الأدب للبغدادي ولا في محاضرة
المجمع العلمي للمعري عن أحيحة ولا غيرها مما لم أطلع عليه ، والحديث هو :
حدثنا أحمد بن زكرياء العائدي في حديث له إن المثل الذي تمثل به عليّ
ابن أبي طالب رحمه الله هو لأحيحة بن الجلاح (٢) يقوله لابنه سهل وزادنا فيه :

ألا أبلغ سهلاً أنني ما عشتُ كافيكاً
فلا يشغلّك عما لك في السيف ترائيكاً
وسمّح عنك في المشية لا يجدي تبازيكاً
فإن الدرع والبيضّة يوم الروع تكفيكاً
وقوله (لا يجدي تبازيكاً) فإن البزاء في الظهر أن يتأخر العجز ويستقدم
الصدر ، قترام لا يقدر أن يقيم ظهره ، يقال : رجل أبزى وامرأة بزواء ،
ويقال للمرأة إذا كانت عجيزتها خارجة : قد تبازت قال عبد الرحمن بن حسان :
فتبازت وتبازخت لها جلسة الجازر يستنجي الورث
وقال كثير :

رأيتي كأشلاء اللحام وبعليها من القوم أبزى منحنٍ متباطنٍ
وهناك شروح نفيسة أخرى تركناها خشية الإسهاب ، وفي هذا الحديث
نجد اللسان قد اقتصر على البيت الأول من شعر أحيحة ، وهو الذي يستشهد

(١) الأغاني ١١٤/١٣ وخزانة البغدادي ٢٣/٢ ومحاضرات المجمع العلمي العربي ١٦٢/١ .

(٢) الأوسي (- ١٣٠ هـ) شاعر جاهلي من دماء العرب وأبطلهم كان سيد يثرب
في الجاهلية ، وله فيها أطلان ومزارع ومال كثير ، أما شعره فالباقى منه قليل
ولا نظم له ديواناً مخطوطاً .

المروزيون به على الخزم الذي قد يكون جملة مثل (أشدد) ، وفي الدلائل مبتة أبيات ، وبمثل هذا الاستشهاد والتفصيل الجميل تزداد معاني الغريب وضوحاً وبياناً ورسوخاً في الذهن .

أما القاموس المحيط فما انتقدوه على معجمه ما في تعريفاته للكلمات من اختصار غل بالمعنى الدقيق والوصف ، وما قصده إلا حشو أكبر عدد من المفردات في قاموسه ليفتح بذلك على الجوهري وصاحبه ، وتعريفات الصحاح أوضح وأتم من تعريفات القاموس ، وفي الدلائل من الشروح ما هي أشد تفسيراً وتصويراً من القاموس والصحاح وغيرها .

نسب قاسم بن ثابت المصنف وأسرته . — قال ثابت بن قاسم (١) :

ولد أبي قاسم بن ثابت سنة ٢٥٥ هـ وتوفي بسرقسطة (٢) سنة ٣٠٢ هـ ، وتوفي جدي ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بسرقسطة سنة ٣١٣ هـ ، وهو ابن خمس وتسعين سنة ، وقال ثابت : خرج أبي مع جدي إلى الحج سنة ٢٨٨ هـ فسمعا بحكة من مثل أبي محمد عبد الله بن الجارود ومحمد بن علي الصائغ وأبي عمران موسى بن هرون الجمال ومحمد بن القاسم الجمحي وغيرهم ؛ وسمعا بمصر من جماعة منهم محمد بن أحمد بن الهيثم التميمي وأحمد بن عمر بن عبد الخالق البصري البزار وأحمد بن حمزة بن محمد بن هرون ؛ وسمعا بالأندلس من محمد بن عبد السلام الخشني وعبيد الله بن يحيى ومحمد بن وخاح ومطرف بن قيس ، وانفرد جدي ثابت بالرواية عن بقي بن مخلد ومحمد ابن أحمد العتيبي ، قال ثابت : وكان قاسم (أبي) ورعاً فاضلاً ، وهو من بني عوف من غطفان .

(١) هذه المعلومات غير موجودة في كتب تواريخ الأندلس المطبوعة ، وهي منقولة بخط الناسخ من آخر صفحة من النسخة الظاهرية المشفقة .

(٢) واسمها الاشباني Zaragoza .

قال الحكم المستنصر الخليفة الأموي : سألت ثابتاً عن نسبه فقال : من بني عوف ، قال الحكم : فذكرت ذلك لزكرياء بن الخطاب فقال : هم من البربر يتولسون زهرة بن كلاب ، فوقع بينه وبين الذين كان يتولاهم كلام (أي خصام) خلف ألا ينتمي إليهم ، ثم ندم وتذمّم من ذلك فكتب العوفي ، فقلنا له : يا أبا القاسم ما هذا ؟ فقال : أليس عبد الرحمن بن عوف ، وانه من والي ولد عبد الرحمن فهو مولى عبد الرحمن ؟ قال الحكم : فقال لي زكريا بن خطّاب : هو مولى زهرة مولى علاقة ، وهم من البربر وانتهاء البربر إلى ولاء زهرة في ذلك الثغر وذلك الشرف كثير جداً ، لا نرى أحداً من البربر يذكر غير ولاء زهرة إلا الشاذ ، يزعمون أنهم أسلموا على يدي رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف كان عندهم في الثغر وقت افتتاح الأندلس ، وتوفي ثابت ابن قاسم بن ثابت بن حزم السرقسطي سنة ٣٥٢ هـ ومولده سنة ٢٨٩ هـ وقد بلغ من السن ٦٣ سنة .

من هو مؤلف الدلائل ؟ . — في كتاب بنية التلمس للضي ترجمة

لثابت بن قاسم جاء فيه ما نصه : قال الحميدي : وقد رأيت من ينسب الكتاب إلى ثابت ، ولعله من أجل روايته إياه وزياداته فيه 'نسب إليه ، وإلا' فالكتاب من تأليف قاسم بن ثابت أبيه ، قال : هكذا قال لنا أبو محمد علي ابن أحمد وغيره ، وقد رأيت في بعض النسخ (كتاب الدلائل لثابت) رواية أبيه عنه ، وكان بعض أشياخي يقول : إن قاسماً روى هذا الكتاب عن أبيه ، وإن المؤلف ألفه بمصر والله أعلم ، وأما ما جاء في نفح الطيب في ترجمة قاسم بن ثابت فمنه : ومنهم قاسم بن ثابت أبو محمد السرقسطي العوفي رحل مع أبيه فسمع بمصر من أحمد بن شعيب التسائي وأحمد بن عمرو البزار ، واعتنى بجمع الحديث واللغة هو وأبوه فأدخلوا إلى الأندلس علماً كثيراً ، ويقال إنها أول من أدخل كتاب العين إلى الأندلس ، وألف قاسم

في شرح الحديث كتاباً سماه الدلائل بلغ الغاية في الإتقان ومات قبل إكماله فأكمله أبوه ثابت بعده .

فكتاب (الدلائل) في بنية المتلمس هو لثابت بن قاسم ، وهو على رأي الحميدي من تأليف قاسم بن ثابت أبيه ، نسب لثابت الابن من أجل روايته عن أبيه وزياداته فيه ، والكتاب على رواية المقرئ في نفع الطيب من تأليف قاسم وانه مات قبل أن يكمله فأكمله أبوه ثابت بعده ، أي أبو قاسم ، وهو الصحيح . فليس الكتاب من تأليف ثابت الابن ولا الأب بل هو لقاسم بن ثابت كما ذكره أبو محمد علي بن أحمد وهو الإمام ابن حزم شيخ العقول والمنقول ، والذي بأقواله تطمئن العقول .

وصف المخطوطة الظاهرية . — ألّف الناسخ المخطوطة الظاهرية من سفرين لم يبق منها غير الثاني الذي يتبدى بأحاديث الإمام علي بن أبي طالب . والسفر الأول مروق من خزانة العمريّة أو الضيائية قبل نقلها إلى قبة الملك الظاهر ، وهو يشتمل على أحاديث النبي ﷺ وعلى آثار أبي بكر وعمر وعثمان من الراشدين ، وكانت هذه النسخة قبل العمريّة من كتب المدرسة الضيائية بسفح قاسيون ، وقفها علي بن سالم بن سليمان الحصري ، وقد كتب الناسخ على صفحة العنوان : « السفر الثاني من كتاب غريب حديث رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين ، وما جاء في ذلك من اللغات والأمثال والمصادر والشاهد تأليف القاسم بن ثابت بن عبد الرحمن العوفي السرقسطي رحمه الله ، وكتب الناسخ تحت هذا العنوان ثلاثة أبيات لأبي الفتح البستي ثبثها لفائتها وهي :

يقولون : كم تشقى بدرس تديعه	وتعمن فيه دائماً كل إمعان
فقلت : نروني إنما أنا كادح	لأكمل ذاتي أو لأجبر نقصاني
إذا لم يكن نقصان عمري زيادة	للمي . فإني والهيمة سيان

وهذه النسخة الظاهرية برقم ١٥٧٩ أندلسية الخط وقرطاسها صقيل مصفر ، وهي مضبوطة بالشكل الصحيح غالباً ، ومن تمام الضبط أن الكلمة إذا كانت تقال بفتح أولها وضمه وضع على الحروف فتحة وضمة ، فوقها رمز

(مما) ، بحرف دقيق أي تقال بالحركتين معاً كقولهم (تركته بهـ^{ما}وب دابر) وفعل (وجيم) يقال بفتح الجيم وكسرها وفوق الفتحة (مما) ويضع تحت الحاء والعين حاء أو عيناً صغيرة ، ومع كل هذا الضبط يبدو أن الناسخ كان لا يقيم وزن الشعر ، فقد ذكر ما أنشده الضحاک بن قيس في الكوفة على قبر زياد ، وهو بيتان من الشعر كتبها الناسخ متصلين كما يكتب النثر والبيتان هما :

إن تحت الأحجار حزماً وجوداً وخصياً الدّ ذا مفلاق

حية في الوجار أربد لا ينفع منه السليم نفث الرافي

وكان الناسخ نسي أن يكتب اسم الكتاب (الدلائل) في أعلى صفحة العنوان ، ولم ينس ذكر الاسم في خاتمة الكتاب ولا تاريخ نسخه ومكانه ، وإنما جاء ما نصه : «تم كتاب الدلائل والحمد لله كثيراً على عونته وصلى الله على محمد نبيه وعلى أهله وسلم» ، وكان تمامه بمدينة قرطبة في شهر جمادى الأولى الذي من عام تسعة وتسعين وأربع مائة ، كتبت جميعه من كتاب قوبل بكتاب ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم الموفى البزقسطي الذي بخطه ، وكان كتبه للحكم أمير المؤمنين من الكتاب الذي عمل فيه أبوه قاسم بن ثابت .

ومقاس الصفحات من المخطوطة ومسطرتها (٢٠ X ١٤) بدون اعتبار الحواشي ، وهي في الهوامش منها ما هو بخط الناسخ وما هو بخط غيره لاختلاف القاعدة والخبر ، ويتألف السفر الثاني الباقي من ١٨٠ ورقة أو صحيفة أي من ٣٦٠ صفحة ، وفي كل صفحة خمسة وعشرون منطراً ، والسطر مؤلف مما بين ١٠ — ١٣ كلمة مع اعتبار العوامل ، وخط المخطوطة مغربي أندلسي ومضبوط بالشكل الكامل وتقلب - والله الحمد - الصحة عليها .

المخطوطة الرباطية المغربية ٠ — وهي من مخطوطات الأوقاف والخزانة العامة بالرباط ورقها ١٩٧ ، وخطها مغربي أندلسي ، ولا نعلم مقاسها الأصلي ومسطرتها لأنها ليست لدينا ، وهي مؤلفة من ٦١٦ ورقة ، وفي آخر صفحاتها ما نصه : (بلغت بالمقابلة من الأصل المنتسخ منه والحمد لله على ذلك) وتحت هذه العبارة صورة خاتم كتب في دائرته : مكتبة الزاوية الناصرية — تمكروت ، وفي المركز رقم ٣٣٣ .

وبمقابلة نسختنا الظاهرية الشرقية بهذه النسخة المغربية ظهر لنا أنها قد سدت من نسختنا نقصاً كبيراً ، ذلك أن نسختنا تتألف كما ذكرناه من سفرين أولهما مفقود ، والسفر الثاني الموجود يتتدى بأحاديث علي بن أبي طالب ، فالسفر الأول إذن كان يشتمل على الأحاديث النبوية وأحاديث الخلفاء الثلاثة من بعده ، وقد وجدنا أن النسخة المغربية تشتمل من أحاديث النبي ﷺ على ٨٨ ورقة فيها مئة حديث نبوي ، ومن أحاديث أبي بكر على ٢٧ ورقة وفيها ١٨ حديثاً ، ومن أحاديث عمر بن الخطاب على ١٤٦ ورقة مشتملة على ٥٦ حديثاً ، ومن أحاديث عثمان على ٢٤ ورقة فيها عشرة أحاديث ، مجموع هذه الأوراق ٢٨٥ ، ومجموع أحاديثها ١٨٤ حديثاً خلت منها نسختنا الظاهرية ، وذلك أحب إلينا من كل عوض جليل وغنم جزيل .

أما أحاديث الإمام علي فهي بأجمعها في نسختنا الشرقية وبترتيب المغربية ، ويأتي بعدها بالترتيب المحكم في النسختين أحاديث الزبير وطلحة وسعد وأبي عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وأبي بن كعب وأبي موسى الأشعري والمقداد والعباس وزيد بن ثابت وبقية أعلام الصحابة وكبار التابعين .

أجل ، كان السرور عظيماً بوجود نسخة ثانية من الدلائل في خزانة الرباط العامة فيها وجدنا من خالتنا سيداداً من عوز وسداً لنقص المفقود أو جملته . من هذا الكتاب الجليل مما أوجب علينا أن نشكر الأستاذ عبد الله الرجراجي . محافظ خزانة الرباط العامة الذي أرسل لمجمعنا العلمي العربي فلماً من المخطوطة الرباطية حملة إلينا عضو مجمعنا الدكتور شكري فيصل جزاه الله خيراً . والرجاء من كل من يقرأ من الأفاضل هذا المقال عن الدلائل أن يبحث لنا عن نسخة ثالثة لعلها تكون الكاملة ، وسيشرح المجمع في نشر الدلائل بعد العثور عليها ، والإبطاء مع التهام ختير من العجلة مع النقصان .

هل النسخة المغربية ناقصة ؟ — قيل لنا ان النسخ المغربي قد جزأً النسخة الرباطية أجزاء ثلاثة ينقص أولها ، ونسختنا الشرقية الظاهرية مؤلفة من صفرين ضاع أولها ، ولم تظهر التجزئة الثلاثية لنسخة الرباط إلا بالبارة التالية . التي جاءت آخر الورقة ٣٠٦ ولفظها : « تم الشرح بحمد الله وعونه » . وجلى الله على محمد نبيه وعبدته . وعلى آله وسلم تسليماً وزادهم شرفاً وتعظيماً ، يتلوه في السفر الثالث إن شاء الله تعالى : « وقال في حديث النعمان بن بشير رحمه الله : » وليس في الورقات وعددها ٣٠٦ ما يشعر بانتهاء الجزء الأول بما يشبه قوله هذا مثل (يتلوه في السفر الثاني إن شاء الله كذا . . .) ، ونحن مع ذلك لا نمزم إلا إذا وقعت له نسخة كاملة من الدلائل بأجزائها الثلاثة ، وبالمقابلة بين الناقصة والكاملة يتبين لنا مبلغ النقص ، وقد كتبت إلى كثير من أفاضل المغرب ومنهم الباحث السيد محمد إبراهيم الكتاني المولع بتراث السلف وبالباحث عن مخطوطاته فكان في جوابه ما يضيف الرجاء ويخيب

الأمل ، وما كتبه : « وإني أؤكد لكم أنه لا تعرف لحد الآن في المغرب ورقة أخرى من كتاب الدلائل لا في القرويين بفاس ولا في أقسام الخزائن العامة بالرباط ، ولا فيما نظمناه إلى الآن بالقصر الملكي بالرباط ولا في مراكش ومكناس وتازة ووزان وإزمه وتانغمال والزاوية الحزاوية وتطوان ، باستثناء المجلدين اللذين أرسلناها لكم ، وكان من توفيق الله تعالى أن هيتألي فرصة العثور عليها بين حوالي أربعة آلاف مخطوط بمكتبة زاوية تامكروت الناصرية التي تبعد عن الرباط بنحو ٨٠٠ كيلو متر في الصحراء ، والتي قضيت بها أزيد من أربعين يوماً ثم أسرعت بنقلها إلى الرباط وتصويرها والتعريف بها ، وكنت أعتقد أنها النسخة الفريدة إلى أن زارني صديقنا العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي صجة صديقنا الأستاذ خير الدين الزركلي ، فلما أطلعت عليه أخبرني بوجود جزء آخر عندهم وكنت أرجو أن يكون متمماً للنسخة ، فكشف الغيب الآن خلاف ذلك ، ، ولذلك شرعنا في تحقيق النسخة الرباطية واتخذناها أمثاً لأنها أكمل من الدمشقية ، ومتى وصل التحقيق إلى أحاديث علي ، وهي أول السفر الثاني من النسخة الظاهرية ، قابلنا إحدى النسختين بالأخرى ، وأثبتنا في الحواشي ما في الاختلاف من فائدة ، وهذا ما يراه السيد الكتاني الذي وعدنا بأن يواصل البحث عن نسخة أخرى للدلائل ، لنضيف إلى دلائلنا ما ينقصها ، والسيد الكتاني من أسرة نبيلة صديقم غير عاتب وآملهم غير خائب إن شاء الله .

استمرار الدلائل في المصرو . — جاء في تاريخ علماء الأندلس

لابن الفرضي : « أخبرني العباس بن عمرو الورّاق قال : سمعت اسماعيل بن

القاسم البغدادي (١) يقول : كتبت كتاب الدلائل ، وما أعلم انه وضع بالأندلس مثله ، فتعصّب ، ولو قال اسماعيل : انه ما وضع بالشرق مثله ما أبعد ، يريد أن أبا علي القالي صاحب الأمالي قد تمصّب للشرق بلاده وقومه . وإنه لو أنصف لقال : ولا وضع في الشرق مثله أيضاً .

وجاء في طبقات النحويين واللغويين للزبيدي في ترجمة ثابت بن عبد العزيز المرقسطي وابنه قاسم قال : وألف قاسم كتاباً في شرح الحديث سماه كتاب الدلائل ، وبلغ فيه الغايين الإتقان والتجويد حتى حسد عليه وذكر الطاعنون أنه من تأليف غيره من أهل الشرق ؛ فمات قبل إكماله فأكماله أبوه ثابت بن عبد العزيز . .

ثم قال : سمعت اسماعيل بن القاسم البغدادي يقول : لم يؤلف بالأندلس كتاب أكمل من كتاب ثابت في شرح الحديث ، وقد طالمت كتباً ألفت فيما لديكم ، ورأيت كتاب الخشني في شرح الحديث وطالعتها فما رأيته صنع شيئاً ، وكذلك كتاب عبد الملك بن حبيب .

قال محمد بن حسن : ولو قال اسماعيل انه لم ير بالشرق كتاباً أكمل من كتاب قاسم في معناه لما رددت مقالته ، على أن لأبي عبيد في هذا الفن فضل السبق إليه ؛ وقال اسماعيل : أخذت كتاب الدلائل على ولد قاسم إعجاباً مني بالكتاب !

(١) رحل أبو علي إلى المغرب سنة ٣٢٨ هـ ودخل قرطبة في أيام عبد الرحمن الناصر الذي كتب إليه ورغبه في الوفود عليه وكان أهل المغرب يقصونه بالبغدادي لحيته اليم من بغداد ، وفي هذه الزيارة للأندلس كتب كتاب الدلائل يده استعانة له وإعجاباً بما اشتمل عليه .

وذلك يدل على أن علماء الحديث واللغة في المغرب ومن اطلع عليه
 كآبي علي القالي من علماء المشرق قد قدروا كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت
 الشرجسقي حق قدره (١) وكتب بعض علماء المغرب فوق حديث الإمام علي
 يوم خيبر من النسخة الرباطية هذين البيتين الصادقين :

هذا الكتاب ولو يباع بوزنه ذهباً لكان البائع المغبوناً
 ومن الخسارة أن تراني آخذاً ذهباً وأعطي لؤلؤاً مسكوناً

التوضي



(١) وكان كتاب الدلائل من قوائم مخطوطات المحكم المتصرف بالله الأموي الذي كانت
 خزانة كتبه كما قيل تشتمل على نحو أربع مائة ألف كتاب ، وباشته طرز أبو علي
 البغدادي القالي كتابه الأمالي .

حياة الألفاظ

كلما قلّبتنا النظر في صفحة من صفحات معجّاتنا شهدنا في عالم اللغة ما تشهده في عالم الطبيعة ، فإنّ قوانين تنازع البقاء والانتخاب الطبيعي تجري أحكامها على آفاق الألفاظ جريانها على آفاق الحيوان والنبات ، ألفاظ تقوت وألفاظ تميش ، ألفاظ تحافظ على أصول معانيها ، وألفاظ تتحوّل من معنى إلى معنى ، مرةً تنتقل من وجهٍ خاص إلى وجهٍ عام ، ومرةً من وجهٍ عام إلى وجهٍ خاص ، ألفاظ تشقى وألفاظ تسعد ، فاللغة لا تثبت على حالٍ ولا تجبد على وضعٍ ، وحركتها مستمرة على تعاقب السنين ، ولعلّ الاستشهاد ببعض الأمور يوضح لنا حياة الألفاظ أمّ توضيح .

كنت أطلع الكامل للبرّد ، فوجدت فيه أن حارثة بن بدر كان رجل بني تميم في وقته ، وقد غلب على زياد وغلب الشراب عليه ، فقبل لزياد إن هذا قد غلب عليك وهو مستهتر بالشراب ، أفلا تطرحه ، فلم يطرحه زياد لفضائل وآداب كان يراها فيه ، فلمّا مات زياد جفاه ابنه عبيد الله ، فقال له حارثة : أيها الأمير ! ما هذا الجفاء ، مع معرفتك بالحال عند أهلك ، أي المغيرة ، فقال له عبيد الله : إنّ أبا المغيرة كان قد برع بروعاً لا يلحقه فيه عيب ، وأنا حدّث ، وإنما أنسب إلى من يغلب عليّ ، وأنت رجل تدبّر الشراب ، إلى آخر هذا الخبر الذي يدلّ على عقل عبيد الله ، فالذي يهمنّا في هذا المقام من الخبر كله إنّما هو هذا المصدر : البروع ، في المعجم : برع ويشك ، براعة وبروعاً ، فاق أصحابه في العلم أو غيره ، أو تمّ في كل فضيلة وجمال ، فهو بارع ، وهي براعة .

البراعة والبروع مصدر واحد ، ولكن البراعة غلبت على البروع ، فعاش هذا المصدر البروع حيناً من الدهر ثم حلَّ محلُّه أخوه المصدر الثاني : البراعة ، ودخلت البراعة في بعض علوم الأدب ، فقالوا : براعة الطلب وبراعة الاستهلال ، ولم يقولوا : بروع الطلب وبروع الاستهلال ، ولا يزال مصدر البراعة هو المستعمل في عصرنا ، وما أظن أن أحداً يميل إلى استعمال البروع بدلاً من البراعة ، ماعدا الذين يتوخون المذلة في الكتابة ، فيميلون عن ألفاظ مألوفة إلى ألفاظ غير مألوفة ؛ ولا ريب في أن الذين هم من هذه الطبقة في البيان يخرجون عن الطبع ويتكفون ، والكلفة لم تكن محموداً في عصر من العصور ، غاية الألفاظ أن يفهمها الناس ، فإذا قلنا اليوم : البروع ، بدلاً من البراعة ، أشكل على القارئ المعنى واستنجد بالمعجم ليبحث عن معناها ، لا شك في أن استعمال البروع صحيح لا لحن فيه ، ولكن اللغة لها قوانين ، فما كل صحيح مستحسن ، فمن الألفاظ الصحيحة مامات وحلَّ محلُّه لفظ لا يزال يعيش ، من هذا القبيل : البراعة والبروع ، على أن البروع ليست ثقيلة حتى تقوم مقامها أختها البراعة ، فهي على وزن الطلوع ، ومصدر الطلوع عاش حتى وقتنا هذا ، وما دامت الشمس تطلع فهو سيعيش ، أمّا مصدر البروع فلم يكتب له أن يعيش إلا في بطون المعجمات ، وهكذا نشهد في اللغة حياة الألفاظ وموتها .

وإذا انتقلنا في هذا العالم الغريب ، عالم اللغة ، من الآفاق التي حلَّت فيها مصادر محلِّ مصادر ، إلى الآفاق التي انتقلت فيها معاني الألفاظ من وجهٍ إلى وجهٍ شعرنا بحركة اللغة المستمرة .

روى صاحب الكامل أبحاثاً في ذكر الابن جاء فيها :

فنفسي فداؤك من غائبٍ إذا ما المسارح كانت جليداً

وقال المبرد في تفسير المسارح : إنها الطرق التي يرحون فيها ،
واحدها المسرح .

في كتب اللغة : المسرح ، بالفتح ، المرعى ، والفعل سرح كنع ،
والمصدر الشرح ، وله معان كثيرة ؛ وسواء أكان المسرح المرعى أم
كانت المسارح الطرق التي يرحون فيها إثنا زى أن هذه المادّة قد توسّع
عصرنا في معناها ، فاطلقها على مسمّى لم يكن له ذكر في الماضي ، فإذا قلنا
في عصرنا : المسرح والمسارح ، عنينا بذلك مسمّى جاء به هذا العصر ،
فالسرح هو المكان الذي يتمّ عليه التمثيل ، وغلبت هذه المادة على هذا
المعنى الحديث ، واشتقتوا منها المسرحيات ، وهي الروايات التي تمثّل . لا ريب
في أن المسارح بمعناها الأول لم تمت ، فهي لا تزال تعيش ، ولكنها لا تفهم
بهذا المعنى إلاّ إذا أضيف إليها شيء ، فقلنا مثلاً : مسارح الفزلان أو مسارح
النظر والخيال وما شاكل ذلك ؛ أمّا إذا قلنا : المسارح ، لا غير ، فلا نفهم
من هذه المادّة إلاّ ما تقدّمت الإشارة إليه ، لا نفهم منها إلاّ المكان
الذي يتمّ التمثيل عليه ، فهكذا نجد أن الألفاظ تنتقل على ترادف الأحقاب
من معنى مقرر إلى معنى حديث اقتضاه العصر .

وكما نجد أن بعض المصادر يقلب على بعض وأن بعض الألفاظ ينتقل
معناه من وجه إلى وجه فكذلك نجد أن طائفة من الألفاظ تشقى وطائفة
تسعد ؛ فمن الألفاظ التي كانت سعيدة في ماضي دهرها تدلّ على معنى
شريف ، ثم دار الدهر دورته فذهبت سماتها وصارت إلى الشقاوة
لفظ الجرثومة .

في الأغاني أن اسماعيل بن يسار دخل على هشام بن عبد الملك ، فاستنشد
وهو يرى أنه ينشده مديحاً له ، فأنشد قصيدته التي يفتخر فيها بالمجيم ،
وبعد : أن افتخر بكبري وسابور الجنود والهزمزبان قال :

«هناك إن تسألني بأن لنا جرثومة قهرت عزاً الجرائم
في اللغة : جرثومة الشيء ، بالضم ، أصله ، ولا ريب في أن الشاعر
استعملها في شعره في مقام الدلالة على العز ، إلا أنها انحدرت على تراخي
العصور من مقام رفيع إلى مقام دنيء ، فإن الجرثومة في عصرنا تدل على
أصل الأذى والضرر وما شابه ذلك ، وقد نستغني عن إضافة الأذى
والضرر إليها ، فإذا قلنا : فلان جرثومة من الجرائم بلغنا من ذمّه كان
مبلغ ، على أن من معانيها في اللغة ، التراب المجتمع في أصول الشجر ،
وهذا المعنى ليس فيه شيء من العز ، ولكن كيف كان الأمر فقد استعملت
في القديم بمعنى رفيع وانحدرت في الحديث إلى معنى دنيء ، فشقيت بعد
تقلّبها في أعطاف السعادة .

ولقد أصاب مادّة العصابة ما أصاب مادّة الجرثومة من الشقاوة ، لما قال
نخسنان في بعض شعره :

لله دره عصابة نادمهم يوماً بجلق في الزمان الأوّل
لم يقصد بالعصابة إلا ملوك غسان ، وما أدراك من هم ملوك غسان وما هي
مجالسهم وآدابهم في تلك المجالس ، فانحدرت لفظة العصابة من أفق الملوك
إلى أفق السوق ، ثم من أفق السوق إلى أفق اللصوص وقطّاع الطرق ،
فإذا قلنا : عصابة ، فاعلمنا نعي بها اللصوص وقطّاع الطرق ، فكثيراً ما نسمع
في أحاديث بعض المجالس قولهم : عصابة لصوص ، أو عصابة من المستغلين
أو أشباه ذلك .

وكما تنحدر بعض الألفاظ من أفق رفيع إلى أفق وضعف فكذلك
ترتفع بعضها من معنى شقي إلى معنى سعيد ، من هذا القبيل لفظ الرّمق
وبعض مشتقاته . في اللغة : الرّمق ، محرّكة ، بقيّة الحياة ، ومنه :
عيش رمق ، ككتف ، ما يمسك الرّمق ، وما في عيشه إلا نومة .

بالضم ، أي بثلثة أو قليل يسك الرمي . والرَّمق ، بضمين ، الفقراء ، المتبلغون بالرَّمق للقليل من العيش ؛ وهو مرْمَق العيش : ضيقه أو خسيسه ، دونه . من هذا كله يتبين لنا أن هذه المادة وبمض مشتقاتها كانت تدل في الماضي على ضيق العيش وخساسته ، أمّا في الحاضر فانها تدل على سعة العيش ، فاثنا نقول في دمشق ، في لغتنا العامة : فلان مرْمَق ، كمعظم ، أي عنده كل شيء ، عنده دار يسكنها ، وعنده عقار ومال ومائات ذلك ، فهو في عيشة راضية ؛ في سعة من العيش ، فكذا زى أن هذه المادة انتقلت على الأيَّام من معنى ضيق إلى معنى واسع .



وسواء أمات مصادر أم عاشت مصادر ، وسواء أحافظت ألفاظ على أصوات معانيها أم انتقلت من معنى إلى معنى ، وسواء أشقت ألفاظ أم سعدت ألفاظ ، إثنا نشعر بالحاجة الشديدة إلى معجم تقسّر فيه معاني الألفاظ على اختلاف التاريخ ؛ فاللفظ الفلاني كان له في العصر الفلاني معنى ثم انتقل في عصر آخر إلى معنى آخر ؛ واللفظ الفلاني عاش في عصر ثم مات في عصر ؛ إلا أن معجماً يشرح لنا الألفاظ بحسب تاريخها لا يسهل وضعه ولا يتم على أيدي أفراد من علماء اللغة ، فلا بدّ لنا من معاونة الحكومات . فلتتبع الآن من مراقبة الألفاظ في آفاق حياتها .

شفيق جبري



أدب الفقهاء

- ٥ -

طبقة أخرى من الفقهاء

قدمنا في طالمة هذا البحث ما يفيد أن العلماء كلهم سواء لدى الفقهاء في هذا الشأن . وأن هؤلاء لا يخصون الفقهاء بضمف ملكة الشعر ، بل يعممون حكمهم على العلماء من أي طبقة كانوا ، نحاة أو أطباء أو فلاسفة أو غيرهم ، وإنما يعمرون بالفقهاء تغلياً لجانب الفقه على غيره من العلوم ، إذ كان أكثر العلماء من المشاركين في علم الفقه ، وكانت صفة الفقيه تطلق على العالم من أي صنف كان ، وفي المغرب والأندلس كانت تعتبر صلة تشريف ، فتطلق على كبار رجال الدولة من وزراء وحكام وغيرهم . . . ولهذا فنحن نرى من المناسب قبل أن ننمّ بموضوعات أدب الفقهاء ، ذكر طبقة أخرى من العلماء غير الفقهاء الذين قالوا الشعر وأجادوا فيه ، لأن من ذكرناهم لحد الآن إنما يمثلون الفقهاء الأصحاح المختصين بالدراسات الفقهية والعلوم الإسلامية في دائرتها الواسعة .

ابن دريد

فمن علماء العربية العالم اللغوي الشهير أبو بكر بن دريد صاحب كتاب الجهرة في اللغة ، وكتاب الاشتقاق ، وكتاب الملاحن وغيرها ، قال الأنباري في نزهة الألباء : « كان من أكابر علماء العربية مقدماً في اللغة وأدباً

العرب وأشعارهم . وأخذ عنه أبو سعيد السيرافي وأبو عبد الله المرزباني .
وكان شاعراً كثير الشعر فمن ذلك المقصورة الشهورة . ومنه أيضاً القصيدة
المشهورة التي جمع فيها بين المقصور والممدود إلى غير ذلك . وقال محمد بن
رزق بن علي الأسدي : كان يقال إن أبا بكر بن دريد أعيد الشعراء
وأشعر العلماء .

أما مقصورته فهي أشهر من نار على علم ، وقد أبان فيها عن تفننه ومقدرته
الشعرية وضمتها من بديع الحكم والأمثال ما جعلها أثراً أدبياً فريداً في اللغة
العربية بحيث هب كثير من الأدباء لمعارضتها والنسج على منوالها حتى لشأ
من ذلك باب في الأدب العربي يمكن أن نسميه أدب المقصورة . ويقال
إنه أحاط فيها بأكثر المقصورة ، فهي إلى أغراضها الأدبية لها فائدة لغوية
كبيرة . وأولها :

ياظية أشبه شيء بالها	ترعى الخزامى بين أشجار النقا
إمّا ترى رأسي حاكى لونه	طرة صبح تحت أذيال الدجى
واشتعل الميض في مسوده	مثل اشتعال النار في جزل الغضا
فكان كالليل البهيم حل في	أرجائه ضوء صباح فأنجلي
وغاض ماء شيرتي دهر رمى	خواطر القلب بتبريح الجوى
وآض روض الهوى يساً ذاوياً	من بعد ما قد كان محتاج الثرى
وضرم النأي المشت جذوة	ما تأتلي تسفع أثناء الحشا
واتخذ التمهيد عيني مألفاً	لما جفا أجفانها طيف الكرى
فكل ما لا يتيه مفتفر	في جنب ما أسأره شحط النوى

ومن حكمها :

من ظلم الناس تحاموا ظلمه	وعز عنهم جانباه واحتنى
وهم لمن لان لهم جانبه	أظلم من حيات أنبات الشفا

عبيدُ ذي المال وإن لم يطمعوا
 وهم لمن أُمِلق أعداء وإن
 عاجتُ أيامي وما النيرُ كمن
 لا يرفع اللب بلا جد ولا
 من لم يغلّه الدهر لم ينفعه ما
 من قاس ما لم يره بما يرى
 من ملك الحرص القياد لم يزل
 من لم يقف عند انتهاء قدره
 من قاط بالعجب عرى أخلاقه
 والناس ألفٌ منهم كواحد
 وللفق من ماله ما قدمت
 وإنما المرء حديث بعده
 من غمره في جرعة تشفي الصدى
 شاركهم فيها أفاد وحسوى
 تآزر الدهر عليه وارتدى
 يحطّك الجهل إذا الجد علا
 راح به الواعظ يوماً أو غدا
 أراه ما يدنو إليه ما نأى
 يكرج في ماء من الذل صرى
 تقاصرت عنه فسيحات الخطا
 نيطت عرى المقت إلى تلك العرى
 وواحد كالألف إن أمر عني
 يدها قبل موته لا ما اقتنى
 فكن حديثاً حسناً لمن ونى

وقد اعتنى بهذه القصورة خلق من المتقدمين والمتأخرين، وشرحوها وتكلموا
 على ألفاظها . قال ابن خلكان : « ومن أجود شروحا وأبسطها شرح الفقيه
 أبي عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم الأحمي السبتي وكان متأخراً ،
 وتوفي في حدود سنة سبعين وخمسمائة . وشرحها الإمام أبو عبد الله محمد بن
 جعفر المعروف بالقزاز صاحب كتاب الجامع في اللغة . وشرحها غيرها أيضاً » .
 ومن شعر ابن دريد قوله في وصف الحر :

وجراء قبل المزج صفراء بعده
 حكت وجنة المشوق صرفاً فسلطوا
 ومنه في النزل :

غبراء لو جلت الخدود شعاعها
 غصن على دغص تأود في فوقه
 آيت بين ثوبي زجس وشقائق
 عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق
 للشمس عند طلوعها لم تشرق
 قبر تألق تحت ليل مطبق

لو قيل للحسن احتكم لم يعدوها أو قيل لخطيب غيرها لم ينطق
وكأننا من فرعها في مغرب وكأننا من وجهها في مشرق
تبدو فيهتف للعيون ضياؤها الويل حل بقفلة لم تطبق
وشعره كثير جمعه أحد فضلاء الهند في ديوان ونشره بمنايته . وتوفي
ابن دريد سنة ٣٢١ هـ .

الزنجشري

ومنهم أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزنجشري جار الله العلامة
الإمام في النحو واللغة والبيان والتفسير ، له التصانيف البديعة التي دلت على
رسوخ قدمه في العلم بالعربية وأسرارها ، ومنها تفسيره العظيم المسمى بالكشاف
في مجلدين ، أبرز فيه معاني القرآن وبلاغته بما لم يجاره فيه أحد ، وله كتاب
المفصل في النحو أشهر من أن يعرف ، وكتاب أساس البلاغة في اللغة ،
وكتاب الفائق في تفسير غريب الحديث ، وكتاب المقامات بديع جداً تنكب فيه
أغراض أصحاب المقامات المعروفة من الشجاعة والاحتياال وسلك نهج الحكمة
والموعظة الحسنة . وكان يميل إلى الاعتزال ويشارك في الأدب بسبب وافر ،
ومن شعره في العتب على الزمن :

وأخزني دهري وقدّم معشراً على أنهم لا يعلمون وأعد
ومئذ أفلح الجبال أيقنت أنني أنا الميم والأيام أفلح أعظم
الأفلح مشقوق الشفة السفلى والأعلم مشقوق الشفة العليا ، ومن كان كذلك
لا يقدر على النطق بحرف الميم ، وقد كنى الزنجشري بذلك عن حرب الدهر له
وتقديم من هو دونه عليه .

ومن قوله في العلم المحيط :

العلم للرحمن جل جلاله وسنواه في جهلاته يتنعم
ما للتراب وللعلوم وانما يسمى ليعلم أنه لا يعد

أبو حيان الغرناطي

ومن النحاة أيضاً الشيخ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي .
كان إماماً في العربية لا يضاهي مشاركاً في العلم بالحديث والتفسير ، وله اليد
الطولى في الأدب . ألف البحر المحيط في تفسير القرآن في ثمانية مجلدات ،
ألم فيه إماماً وافياً بأعراب آيات الكتاب العزيز وتفسير ألفاظه اللغوية والاستشهاد
على ذلك بكلام العرب . وشرح كتاب سيويه وكتاب التسهيل لابن مالك ،
وألف في القراءات السبع كتاباً مفرداً ، وكان يعرف اللغة التركية وألف
فيها عدة كتب ، ويعتبر هو مؤسس نحوها ومقنّده ، ولكتبه اليوم في تركيا
قيمة علمية ، وقد اعتنى بها ونشرت نشرأ محققاً لظهور فائدتها واعتماد القوم
عليها . كما ألف في اللغة الفارسية والحبشية وفي غير ذلك من المباحث الأدبية
والتاريخية ، وله ديوان شعر كبير ما يزال مخطوطاً اشتمل على قصائد في
موضوعات شتى ومقطعات وموشحات بديعة النظم رقيقة المعنى :

من شعره الغزلي :

سبق الدمع بالسيل المطايا إذ نوى من أحب غني ثقّله
وأجاد السطور في صفحة الخـد ولم لا يحيد وهو ابن ثقّله
وفيه قورية جميلة . ومنه :

ألا إن الحاظاً بقلبي عواشياً أظن بها داروت أصبح نافثاً
إذا رام ذو وجد سلواً منعمه وكئن على دين التصابي بواعثاً
وقيدن من أضحي عن الحب مطلقاً وأسرعن للبلوى بين كان رائثاً

ومن نظمه المشهور :

عِدايَ لهم فضل علي ومنه فلا أذهب الرحمن غني الأعاديا
هم عرّفوني زلّتي فاجتنبها وهم نأفوني فاكسبتُ العاليا
ومنه أيضاً :

يظن الفخر أن الكتب تهدي أها فهم لإدراك العلوم
وما يدري الجبولُ بأن فيها غوامضٌ حيرت عقل الفهم
إذا رمت العلوم بغير شيخ ضللت عن الصراط المستقيم
وتلبس الأمور عليك حتى تصير أضل من توما الحكيم

وأخبار أبي حيان وشعره أكثر من هذا الذي ذكرناه . ونحن ليس
قصدا الترجمة له ولا لغيره ممن ذكرناه أو نذكره حتى يلزمنا استيفاء
أخباره والإلمام بأكثر شعره ، وإنما ننبه على عالميته ونورد أمثلة من شعره
تثبت قدرته الشعرية التي لا تتنافى ووصف العلم الذي قام به ، ولا يصح
معها أن يقال في نظمه أنه شعر فقيه ، فإذا حصلنا على هذه النتيجة فذلك
غاية ما نقصد إليه . وإذا كان ناقدنا الجزائي قد حكم على شعر أبي الفضل
ابن النحوي لمجرد بيت واحد من شعره كما سبق ذلك ، فإن ما زويه نحن
من أبيات ومقطعات عديدة للشخص لهو أخرى أن يكون أوثق في الحكم
وأدلى على صحته وصوابه ، مع ما نحلل منها ونبرز من محاسنها إذا اتسع
المجال لذلك . توفي أبو حيان سنة ٧٤٥ بمصر .

يعقوب الكندي

فيلسوف العرب أبو يوسف بن إسحاق بن الصباح من أبناء ملوك كندة ،
قال سليمان بن حسان « ان يعقوب بن إسحق الكندي شريف الأصل ،
بصري كان جده ولي الولايات لبني هاشم . ونزل البصرة ، وضيعته هناك ،

وانتقل إلى بغداد وهناك تأدب وكان عالماً بالطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق وتأليف اللغون والهندسة وطبائع الأعداد وعلم النجوم ولم يكن في الإسلام فيلسوف غيره احتذى في تواليفه حذو أرسطوطاليس . وله تواليف كثيرة في فنون من العلم ، وخدم الملوك فباشرهم بالأدب ، وترجم من كتب الفلسفة الكثير . وأوضح منها المشكل ، وخلص المستصعب ، وبسط العويض ، ذكره في عيون الأنباء . وكان الكندي إلى تبحره في العلم ورسوخ قدمه في الفلسفة يتعاطى الأدب ويقول الشعر الجيد فمن قوله متغزلاً :

وفي أربع مني حلت منك أربع فما أنا أدري أيها هاج لي كرني
أوجهك في عيني أم الطعم في فمي أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي
أنشدها ابن قتيبة في بعض كتبه وقال : والله لقد قسمها تقسيماً فلسفياً .
وأنشد له الشيخ أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري اللغوي في كتابه الحكم والأمثال قوله في الحكمة وطبائع الناس :

أناف الذنابي على الأرواس	فتميض جفونك أو تكيس
وضائل سوادك واقض يديك	وفي قعر بيتك فاستخلص
وعند مليكك فابع العلو	وبالوحدة اليوم فاستأنس
فان الغنى في قلوب الرجال	وان التقبرز بالأفئس
وكائن رى من أخى عشرة	غنيبي وذو ثروة مفلس
ومن قائم شخصه ميت	على أنه بعد لم ير ممس
فان تطعم النفس ما تشتهي	تقيك (١) جميع الذي تحتني

وهذه الآيات في خفتها وسهولتها ، على ما تحويه من حكم عملية وتجارب فلسفية ، تزي بزير بكثير من الشعر الذي ينسب إلى شعراء ليس عملهم إلا الشعر

(١) في عيون الأنباء : تيك وهو تصحيف .

ولا صنعة لهم إلا القريض . مما يثبت أن العلماء كثيراً ما ترجح كفتهم حتى في هذا الأدب الذي يدّعي بعض الناس أنه وثق عليهم وأن بضاعة العلماء فيه مُزجاة . والبيت الأخير من القِطعة يشِفُّ عن علمٍ صاحبه بالطب ويبعث على الإعجاب بصوغه لذلك المعنى في هذه الصورة وبهذه الألفاظ الفنية التي اكتست بحُسْنِ تَأْتِيهِ لها حلة البيان والوضوح . وقد لاحظ ابن قتيبة ما في البيتين السابقين من حسن المقابلة والتقسيم وأشار إلى أن ذلك نزعة فلسفية لم تزد الشعر إلا جمالاً ولطفاً ، ولا حاجة بنا إلى القول أننا لا نقصد هنا ذكر الشعر الفلسفي فذاك باب سنطرقه عند تعرضنا لموضوعات شعر الفقهاء والعلماء ، وإنما قصدنا الشعر المنبث عن العاطفة والتجربة المباشرة الذي يقوله عامة الشعراء ويشاركون فيه غيرهم من متأدي أهل الفقه والعلم . ومن حسن الحظ أن فيلسوف العرب الأكبر الذي ضربناه مثلاً للفلاسفة الذين قالوا الشعر الجيّد ولم تقعد بهم الفلسفة عن بلوغ هذه الغاية ، كان من المجتَلين في ذلك المجال والحائزين فيه قصب السبق كما رأينا .

أبو بكر بن زهر

الطبيب الشهير ، كان من أهل بيت كلهم أطباء حكماء ، الرجال والنساء في ذلك سواء ، ومع أنه لم يكن في زمانه أحد أعلم منه بصناعة الطب ، فقد كان مشاركاً في علم الفقه والحديث ، وله معرفة واسعة بعلم الأدب والعربية ، كان يحفظ شعر ذي الرّمة وهو ثلثُ اللغة كما قيل . وخدم بطنه وأدبه الدولتين الممتنونة والموحّدية وحظي عند يعقوب المنصور حتى كان يُصرّفه في كثير من شؤون الدولة لثقة به ولما خبّره من دينه وأمانته . وكان لا يصبر على فراقه ولا يرخص له بالسفر إلى إشبيلية لرؤية أهله وولده ، فنصته ذات يوم ينشد هذه الأبيات يتشوق فيها إلى ولد له صغير :

ولي واحدٌ مثلُ قرخ القطا صغير تخلفتُ قلبي لديه
وأفريتٌ عنه فيا وحشي لذلك الشخصيّص وذلك الوجيّه
تشوّقني وتشوّقتُه فيكي عليّ وأبكي عليه
وقد تعب الشوق ما بيننا فمنه إليّ ومني إليه

فبعث الهندسين إلى إشبيلية وأمرهم أن يختلطوا علماً بيوت ابن زهر
وحارته وبني مثابا بحضرة مراکش في أقرب وقت ونقل عيال ابن زهر
إليها بعد فرشها بثل فرشه واحتال عليه حتى أتى الحارة ورأى مثل داره
فمجب لذلك وقيل له ادخل الدار فدخلها فاذا هو بأهله وولده الذي تشوق
إليه فما كاد يملك نفسه من الفرح والسرور .

وحريّ بمن كان في مثل علم ابن زهر وأدبه أن يحظى بهذه الرعاية
من ملك مثل المنصور الموحي الذي خلد التاريخ أعماله ومآثره .
ومن شعر ابن زهر :

إني نظرت إلى الميرآة إذ جلّيتُ فأنكرت مقلّتي كلّ ما رأيتُ
رأيتُ فيها شبيخاً لستُ أعرفه وكنتُ أعرف فيها قبل ذاك فتى
قلتُ أين الذي مثواه كان هنا متى رحّل عن هذا المكان متى ؟
فأستجلبتني وقالتُ لي وما نطقُ قد كان ذاك ، وهذا بعد ذاك أتى
هونٌ عليك فهذا لا بقاء له أما ترى العشب يفنّي بعد ما نبثا ؟
كان الغواني يقلن يا أخى فقد صار الغواني يقلن اليوم يا أبتا

وفي هذه القطعة تصوير بديع للشيخوخة وتعبير بليغ عن الحسرة التي يجدها
المرء في نفسه على شبابه الزاهب وعمره المنقرض . وما أحسن قوله شبيخاً
في هذا المقام بمقام الأسف على ما آلت إليه حاله ، فهو لا ينظر الآن إلى وقار
الشيخوخة وحكمة التقدم في السن ، وإنما ينظر إلى ضعفه وتقصان مشتهه فما

يناسب ذلك إلا صيغة التصغير التي تبدو كأنها لم توضع إلا لهذا المعنى .
ومثله قوله : « كان الغواني يقلن يا أخِي » فإن التصغير هنا للتجيب والتقرب
وهما أنسب بحالة السباب التي كان عليها وأنسب في ملاحظة الفرق بينها
وبين الشيخوخة الثمانية .

ويظهر أن تمكنه من الطب واللغة معاً كوناً فيه إحساساً دقيقاً بتشخيص
الحالة التي يريد وصفها واختيار اللفظ المطابق لها مطابقة فنية ، فلذلك رأيناه
يستعمل التصغير أيضاً في الأبيات المقدمة التي نظمها في التشوق لولده الصغير ،
وذلك حين يقول : « فيا وحشتي ، لذاك الشخيص وذاك الوجيه » ، ولا خفاء
بحسن موقع التصغير هنا وجماله . وليقارن القارئ بينه وبين استعمال المتنبي له
في مثل قوله : « لَيْلَتُنَا الشَّوْطِبَةُ بِالتَّيَادِي » وقوله : « أذم إلى هذا
الزَّمان أهَيْلَهُ » ليزيد فضل معرفة بشاعرية صاحبنا .

ومن شعر ابن زهر في الخمريات :

وموسدين على الأكف مكدودهم قد غالهم نوم الصباح وغالي
مازلت أسقيهم وأشرب فضيلهم حتى سكرت ونالهم ما نالي
والخمر تعلم حين تأخذ ثأرها أني أملت إناءها فأمالني

وهو في هذه الأبيات على ما بعيد منه من لطف وأدب وحين تصوير
قد تقل إلينا منظر هؤلاء الشُّرْب وقد نال منهم الشراب ، بجلاء ووضوح
كأننا نراه ، وبين أنه كان ساقطهم فهو يُقدمهم على نفسه لمكاتهم عنده ،
ولا يشرب إلا بعدهم ، فاذا ذكر السكر بدأ بنفسه وعبر في حقهم
بعارة مهذبة هي الغاية في أدب المعاشرة ، ثم لطف بما شاء له اللطف حين
أشار إلى الخمر وثأرها وكمل الصورة بهذه الحركة التي جعلتها تنبض بالحياة
والواقعية والتمثيل ، فهل يعلل على هذه الشاعرية ؟

ولابن زهر موشحات مشهورة يُغَنِّي بها وهي من أجود ما قيل في ذلك . ولعل أسيرها على الألسنة الموشح الذي يقول فيه :

أيها الساقى إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع
ونديم همت في غرته وشربت الراح من راحته كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق إليه واتكا وسقاني أربماً في أربع
وهو يمثل حياة الالهو في الأندلس التي ما يزال مظهرها هو هذا إلى الآن .

ابن الياسمين

وهذا عالم رياضي راسخ القدم في العلم بالحساب والجبر . وهو مع ذلك له باع طويل في الأدب ونظم الشعر ، حتى إنك إذا سمعت شعره تقول لا صنعة له إلا النظم ، فإذا تأففت كتبه في الرياضيات قلت إنما يحسن هذا من انقطع إليه ولم تكن له همة في غيره .

وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن حجّاج من أهل مدينة فاس ، عُرف بابن الياسمين ، والياسمين أمه . وكان من خدام المنصور الموحدي ومن جلسائه . له أرجوزة في علم الجبر شهيرة ، قرئت عليه وسميت منه باشيلية . وشرحها الكثير من أهل هذا العلم . وله أيضاً كتاب تلقيح الأفكار في العمل برسوم الفبار . . وفيه يذكر أصل الأرقام العربية المستعملة في المغرب وأختها المستعملة في الشرق ويثبت أنها جميعاً من أشكال حروف الفبار وإن أطلق على الثانية اسم الأرقام الهندية وبقيت الأولى محتفظة بوصف الفباري وهو كتاب نفيس جداً ما يزال مخطوطاً ،

ومن شعره الذي أنشده له ابن سعيد المغربي في النصوص الياضية قوله
وقد رأى زهر نارنج بظاهر مدينة مراکش :

جاء الريح وهذا أولى البشائر منه
كأنما هو ثمر قد جاء يضحك عنه
زهر نارنج دوح انظر إليه وُصْنَه
أليس حيّاك عرف الذي جفا من لدنه

وقد أورد له ابن سعيد أشعاراً كثيرة في المدح والمجاء وغيرها فلتُنظر في
كتابه المذكور . وتوفي ابن الياضين سنة ٦٠١ هـ .

الشريف الإدريسي

الجغرافي الشهير أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس .
كان جده إدريس من ملوك الحموديين بالأندلس . وولد هو بسببة بعد استقرار
سلفه بها عند انقراض دولتهم . وخرج سائحاً في شمال إفريقيا وآسيا الصغرى ،
واستدعاه روجار الثاني ملك صقلية فأقام عنده ، وألف له كتابه « نزهة
المشتاق في اختراق الآفاق » كتاب شهير لم يؤلف مثله في الجغرافية في العصر
الوسي . وصنع كرة سماوية ودائرة أرضية من الفضة ففقدت في حروب
صقلية . ويجمع العلماء على أن خارطة الإدريسي أضبط خارطة للكرة الأرضية
وضعت بعد بطليموس ولا تزال المعلومات التي أعطاها الإدريسي في كتابه
نزهة المشتاق عن عروض بعض البلدان وأطوالها صحيحة في جملتها لم تخالفها
التحقيقات الجديدة إلا بالشيء اليسير . وكان للإدريسي علم بالطب والنبات ،
وله في ذلك كتاب الأدوية المفردة . وإلى هذا كانت له يد طولى في الأدب
ونظم الشعر ومن قوله في شكوى الزمان :

إن عيباً على المشرق أن أر جمع عنها إلى ذيول. المغرب
وعجيب يضيع فيها غريب بعد ما جاء فكره بالفرائب
وبقالي الظلما خلال أناس قسموا بينهم هدايا السحاب
ومنه في الموضوع :

ليت شعري أين قبوري ضاع في الغربة عمري
لم أدع للعين ما تشفق في بر وبحر
وخبرت الناس والأر ض لدى خير وشر
لم أجد جاراً ولا ذا راً كما في طي صدري
فكأنني لم أسر إلا بعيت أو بقفسر

ولا حاجة إلى التنبيه على بلاغة هذه الأبيات والتي قبلها ، وتعبيرها عن
حسرة الحرمان الذي لقيه الإدريسي في بلاده ومن بني قومه ، سواء في
المشرق والمغرب ، فإنها في غنى عن ذلك ولا يستطيع ناقد أدبي أن يقول
فيها أنها دون مستوى الشعراء المشهود لهم بالإجادة والإحسان ، وإن كان
قائلها عالماً مختصاً . وكانت وفاة الإدريسي ببلده سبته في سنة ٥٦٠ هـ .

هؤلاء سبعة من العلماء ، ثلاثة منهم كانوا أئمة في علوم العربية من نحو
وبلاغة وغيرها ، وبراعتهم في قول الشعر ترد على من يرى أن أهل المعرفة
بعلوم العربية وخاصة النجاة أضعف الناس شعراً وأقلهم إجادة فيه ، كما ترد
على من يقول بقصور العلماء على العموم عن قول الشعر والتفوق فيه .
والأربعة الباقون كل واحد منهم يبرز في باب من أبواب المعرفة الإنسانية ،
كالفلسفة والطب والحساب والجغرافيا ، ولم يفته أن يسهم بحظه وافر في

الأدب والشعر . يكتم أفواه المتقولين على أدب الفقهاء والعلماء بعامة ،
ويثبت أن الأمر إنما هو همة واستعداد فمن توفر له ذلك فهو أسوة غيره
من الأدباء والشعراء في الملكة الشعرية وأصالتها ، ولا يصح أن يُقَصِّر
عنه إلا فيما يقتضيه انقطاعهم في قول الشعر من الإكثار وانصرافه إلى
كفائاته الأخرى من الإقلال .

وقد اقتصرنا على هذا العدد القليل علماً بأننا لو ذهبنا نستعجب كل من
كان الشعر وأجاد فيه من العلماء لما وسعنا المجلدات . ونحن إنما نضرب المثل
ونسوق الشاهد ، وفيما ذكرناه على هذا الوجه كفاية .

عبد الله كنون



نظرات في المعجم الوسيط

- ١٢ -

تاسعاً : تعريف الأعلام الجغرافية والتاريخية والشعوب^(١)

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظات
بَرْدَى	نهر دِمَشق الأعظم ، يخرج من قرية الزَبْدَانِي ، على خمسة فراسخ من دمشق مما يلي بعلبك .	كان لنهري النيل وبردى ، دون غيرهما من أنهار البلاد العربية الهامة ، مثل : الأردن (أو الشريعة) ودجلة والفرات ^(٢) والخابور ، حظاً تعريفها في المعجم الوسيط ، غير أن تعريف النيل جاء مقتضباً ، بينما نقل تعريف بردى عن
النَّيْل	نهر مصر والشودان .	

(١) تضمنت الكلمة التي صدر للمعجم الوسيط بها أنه عندما طلب إل جمع اللغة العربية أن يسف العالم العربي بمعجم حديث ، بحكم الترتيب ، واضح الأسلوب ، مضاف إليه ملحق بالمشهور من أعلام الأشخاص والأماكن ، قرر المجمع العمل على إخراج المعجم المطلوب ، منفلاً منذ البداية ملحق الأعلام المذكور ، قاصراً همه على اللغة قديمها وحديثها فحسب ، ولكن للمعجم ، مع هذا ، لم يغفل من تعريفات العديد من الأعلام التاريخية والجغرافية ، وقد نقل أغلياً عن المعجمات القديمة ، وكان من المستحسن إعادة النظر في أكثر تلك التعريفات ، ليأتي ما يجب إثباته في المعجم الوسيط أكثر دقة ، وليحذف منه ما لا ينسجم هو وطبيعة المعجم اللغوية . ونحن في هذه النبة من نظراتنا في المعجم الوسيط سنأتي على ذكر جملة من التعريفات التي أوردتها المعجم للأعلام الجغرافية والتاريخية وللأنواء والشعوب مع الملاحظات التي نراها .

(٢) كذلك أغفل المعجم الوسيط الإشارة إلى شط العرب ، بينما أورد في مادة (ر ف د) قوله : والرافدان : دجلة والفرات .

معجم قديم بما فيه من إسهاب وبُعد عن الدقة ،
 لأن النهر في الحقيقة لا يخرج من قرية الزبداني ،
 بل هو ينبع من سهل يسمى باسم البلدة المذكورة ،
 وهي أبعد مما ورد في التعريف الذي ارتضاه
 المعجم الوسيط ، كما أن إقحام بلدة بعلبك في
 التعريف مفسد له ، إذ أين بعلبك من سهل الزبداني !
 لقد كان من المستحسن ، إذا ما أريد إثبات
 التعريفين المذكورين في المعجم الوسيط ، أن
 يكونا كما يلي :

بَرَدَى : نهر دمشق الذي يروي غوطتها ، ينبع
 من سهل الزبداني إلى الشمال الغربي من
 دمشق ، وبعد أن يدخلها ينتهي في غوطتها
 الشرقية ، وطوله يقرب من ٧٠ كلم .
 النيل : نهر إفريقية الكبير ، يخرج من أواسطها
 ويروي السودان فمصر إلى أن ينتهي بالبحر
 الأبيض المتوسط ، ويلغ طوله ٦٥٠٠ كلم تقريباً .

الزَمْزَمُ من المياه : الزَمْزَم .
 — الزَمْزَامُ . وزَمْزَمُ : مادة (زم ز) وهو في المعجمات القديمة في مادة
 بئر مشهورة بمكة عند (زم م) ، وأكثرها اقتصر في التعريف على
 الكعبة . يَتَبَرَّكُ بها ويشرب القول ، كما في القاموس : زَمْزَمُ : يَشْرَبُ
 ماؤها وينقل إلى الجهات : عند الكعبة .

وهي غير منصرفة . وفي « متن اللغة » : الزَمْزَم : ما كان بين
العلمية والتأنيث .
[مادة زم ز]
الشرقة .

إن تعريف المعجم الوسيط فيه تزيد يستحسن
أن لا يزد في معجم حديث ، مادام التبرك بماء
زمزم ليس من الدين في شيء ، وكانت من
الأفضل أن يكون التعريف كما يلي :

زَمْزَمُ : بئر بمكة عند الكعبة : يشرب
الحجاج ماءها وقد ينقلونه معهم إلى بلادهم .
وهي غير منصرفة للعلمية والتأنيث .

عَرْقَة : جبل قريب من مكة .
ويوم عرفة : التاسع من
ذي الحجة . وعرفات :
موقف الحجاج على اثني
عشر ميلاً من مكة .
جاء في أكثر الأمهات : كاللسان والمحكم :
عَرْقَة وعرفات : موضع بمكة . أي أن الكلمتين
اسم لموضع واحد هو جبل مكة المعروف .
إن التعريف الذي أورده المعجم الوسيط ،
يوحي بأن عرفة وعرفات موضعان أولهما اسم جبل
وثانيهما من مناسك الحج . لهذا كان من المستحسن
صياغة التعريف صياغة تزيد الالاس المذكور ،
فيقال مثلاً :

عَرْقَة وعرفات : جبل قرب مكة ، يقف
عليه الحجاج يوم التاسع من ذي الحجة .

المَقَطَّمُ جَبَلٌ في شرقي القاهرة
بمصر .
[مادة ق ط م]
ذكر ياقوت جبل المقطم في معجمه في مادة
(م ق ط) وقال : والذي يتصور عندي أن هذا
اسم أعجمي . . .

وأنا لم أعتبر على نص يحزم بأن الكلمة
عربية ، فإن كانت كما قال ياقوت ، وجب نقلها
في المعجم الوسيط من مادة (ق ط م) إلى مادة
(م ق ط) .

رابع واديين الجحفة وودان،
على بعد عشرة أميال من
الجحفة فيما بينها وبين
الأبواء .
في تعريف كل من رابع وعكاظ في المعجم
الوسيط بعض الغرابة والتزيد ، وكان من
المستحسن أن يكون التعريفان كما يلي :

رابع : واديين مكة والمدينة قرب البحر ،
وهو من مواقيت الإحرام عند الحجاج .
عكاظ : سوق للعرب كانوا
يتعاطون فيها ، وهي
موضع بين نخلة
والطائف ، كانت تقوم
هلال ذي القعدة وتستمر
إلى العشرين منه .
عكاظ : سوق للعرب قرب مكة ، كانوا يجتمعون
فيها فيتناشدون ويتفاخرون وكانت فيها
وقائع .

القلزم بلد قديم خرب وبني في
موضعه السويس . وبحر
القلزم البحر الأحمر والبحر الأحمر
كان المعجم الوسيط في غنى عن إثبات كلمة
القلزم ، خاصة إنه أغفل كلا من السويس
القلزم البحر الأحمر والبحر الأحمر .

الأطلسُ مجموع مصورات جغرافية .
وأطلقه القدماء على شمالي
إفريقية . ويصور حديثاً
على هيئة جبّار يحمل
السماء أو الكرة الأرضية .
(د) .

المعروف أن كلمة « أطلس » تطلق على سلسلة
الجبال الممتدة من تونس حتى المغرب في شمالي
إفريقية (١) ، وكان الإغريق يعتقدون أن السماء
تستند على تلك الجبال ، ومن هنا كانت الأسطورة
الإغريقية التي يُزعم فيها أن الإله « أطلس »
مُعوقب بحمل الأرض على كتفيه .

[مادة أطال]

ومنذ القرن السادس عشر الميلادي استخدم
رمز الإله « أطلس » للدلالة على مجموعة المصورات
الجغرافية . وفي العصر الحديث تطلق الكلمة على
أي مجموعة من الصور أو المخططات البيانية الخاصة
بعلم أو فن من الفنون .

لقد كان من المستحسن أن يكون تعريف
الكلمة في المعجم الوسيط كما يلي :

الأطلس : اسم سلسلة الجبال الممتدة من تونس
حتى المغرب في شمالي إفريقية .

و — في الأساطير الإغريقية : اسم إله
يحمل الأرض على كتفيه .

و — اسم يطلق على مجموعة من المصورات
الجغرافية أو المخططات البيانية .

(١) إلى هذه الجبال ينسب المحيط الذي أطلق العرب عليه اسم « بحر الظلمات » فهو « المحيط
الأطلسي » لا « الأطلنطي » كما يخلو بعض الكتاب والصحفين تسميته .

عرف المعجم الوسيط من عواصم الأقطار العربية كلاً من بغداد وعمّان والقاهرة ، بينما أغفل ، دون سبب مقبول ، غيرها من المدن الهامة مثل دمشق وصنعاء وبيروت .

ونلاحظ على التعريفات التي أوردها المعجم

ما يلي :

٢ - تفاوت هذه التعريفات من حيث المعلومات ، وكان ينبغي رسم حدود لها ، أي وضع خطة ، يتم التعريف ضمنها .

٢ - استعمال المعجم ثلاث كلمات هي : حاضرة وعاصمة وقاعدة للدلالة على معنى واحد ، وهذا غير محمود ، وكان من المستحسن تجنب ذلك .

٣ - ذكر كلمة (الأردن) وحدها في تعريف مدينة عمّان، وهذه الكلمة قاصرة جغرافياً وتاريخياً عن الدلالة على الوضع الراهن للقطر الأردني .

٤ - إهمال الإشارة في تعريف (بغداد) إلى أن دالها قد تعجمان ، كما هو مذكور في أصح المعجمات ، وكان من المستحسن إثبات مثل هذه الإشارة .

بَغْدَاد مدينة السلام ، على نهر دجلة ، وكانت حاضرة الدولة العباسية ، وهي حاضرة العراق الآن .

[مادة ب غ د]

عمّان مدينة شامية هي الآن عاصمة الأردن .

[مادة ع م ن]

القاهرة قاعدة الجمهورية العربية المتحدة بناها العزيز لدين الله الفاطمي شرقي النيل وهي اليوم أعظم مدينة في الشرق .

[مادة ق ه ر]

لم يخل المعجم الوسيط ، من تعريف لبعض المدن العربية الشهيرة ، كما هو واضح من التعريفات التي نقلناها ، ونحن نلاحظ عليها الأمور التالية :

١ - غموض الخطة التي رسمت للمعجم الوسيط من حيث إثبات اسم البصرة مثلاً وإغفال الكوفة ، أو إثبات المدينة وإغفال يثرب في (ث ر ب) ، وكذلك الإشارة إلى مكة دون إثباتها في مادة (ب ك ك) أو (م ك ك) ، وهكذا بالنسبة إلى مدن كثيرة كانت المعجمات القديمة تشير إليها .

٢ - إثبات كلمة (إيليساء) الاسم القديم لبيت المقدس دون ضرورة في معجم لغوي وسيط ، ثم إغفال الإشارة إلى أن الكلمة قد تأتي مقصورة ، كما في القاموس المحيط .

٣ - تعريف القدس كبرى مدن فلسطين ، ومدينة المسجد الأقصى بالقول بأنها (أورشليم) الاسم الذي يطلقه اليهود على المدينة .

الأمم ... وأم القرى : مكة .
القريتان مكة والطائف ، وفي التنزيل ...

المدينة اسم يثرب مدينة الرسول ﷺ . غلبت عليها .

القدس أورشليم .

المقدس بيت المقدس : حرم القدس .

المقدسة الأرض المقدسة : الباركة .
و - أرض فلسطين

إيلياء بيت المقدس .

[مادة أي ل]

البصرة مدينة كبيرة في العراق .

الناصرة قرية بالجليل من فلسطين
يُنسب إليها المسيح
عليه السلام

الحجاز	من بلاد العرب : ما بين تهامة ونجد .
تهامة	أرض منخفضة بين ساحل البحر وبين الجبال في الحجاز واليمن .
نجد	قسم من الجزيرة العربية بين الحجاز والعراق ، أكثر شعراء العربية القول في طيب ترابه ، وجودة هوائه ، وحسن نباته .
الشام	(وتخفف الهمزة) الإقليم الشمالي الغربي من شبه جزيرة العرب .
لبنان	جبل بالشام . — أحد الأقطار العربية ، أكثره جبال وبعضه سهل ، وهو (جغرافياً) جزء من الشام .
عمان	إقليم في الجنوب الشرقي من بلاد العرب على خليج فارس وبحر الهند . (يصرف ولا يصرف)

عرف المعجم الوسيط أسماء بعض الأقطار العربية دون البعض الآخر ، بلا أي ضابط ولا تماثل في الوصف ودقة المعلومات ، وفي التعريفات التي نقلناها نلاحظ أموراً كثيرة أهمها :

١ — نقل ما كان يحسن إغفاله في مثل المعجم الوسيط ، كوصف بلاد نجد .

٢ — تسمية الخليج الذي يقع عليه إقليم عمان بـ"خليج فارس" ، وهو خليج عربي بأكثر شطآنه .

٣ — الإشارة إلى البلاد العربية ، بصيغ مختلفة فهي تارة بلاد العرب ، وأخرى الجزيرة العربية ، وثالثة شبه جزيرة العرب ، وكان من المستحسن أن تكون التعريفات أكثر دقة .

المَغْرِبُ : بلاد المغرب : البلاد الواقعة في شمالي إفريقية في غربي مصر وهي لُوبيا ، وقونس ، والجزائر ، ومراكش . ومملكة المغرب اليوم : الجزء الواقع في أقصى بلاد المغرب في غربي الجزائر ، ويحدها البحر الأبيض شمالاً والمحيط الأطلسي غرباً .

٤ - تعريف البلاد المغربية مع شيء من التوسع بالنسبة إلى غيرها من البلاد العربية .

٥ - وأخيراً نلاحظ أن المعجم الوسيط أثبت اسم الدولة الليبية بالواو ، كما كان القدامى يكتبون اسمها ، غير أن ياقوت أثبت الكلمة في معجمه بالتاء المربوطة ، فقال : لُوبِيَّةٌ .

الحَسَى : السَّهْل من الأرض يستنقع فيه الماء . و — الرمل المتراكم تحته صلابَةٌ فإذا نزل المطرُ منعَ الرملُ سَحَرُ الشمس أن يَنْشِفَهُ ، ومنعته الصلابَةُ أن يغور ، فإذا حَفِر وجهُ الرمل عن ذلك الماء نبعَ بارداً عذبا ، كما يحدث في إقليم الأحساء في شرقي جزيرة العرب . (ج) حِسَاءٌ ، وأَحْسَاءٌ . [مادة ح س و ، ح س ي]

قال ابن فارس في مقاييس اللغة : الحاء والسين والحرف المعتل أصلٌ واحدٌ ، ثم يشتق منه ، وهو حَسَو الشيء المائع كالماء والابن ... والحِسيُّ : مكانٌ إذا نَحَّيَ عنه رملُهُ نبع ماءه ...

وقال ابن سيده في المحكم : الحِسيُّ ؛ السَّهْل من الأرض يستنقع فيه الماء ... وحكى ابن الأعرابي في حِسيٍّ : حَسَى ، بفتح الحاء مِثَال قَفَا ، والجمع من كل ذلك أَحْسَاءٌ وَحِسَاءٌ .. والجَسَى وذو حَسَى مقصوران : مَوْضَعَانِ .

وقال ابن منظور في اللسان ، بعد كلام طويل : والحَسَى وذو الحُسَى مقصوران : موضعان ... قال الأزهري : وقد رأيت بالبادية أحساء كثيرة من هذه الصفة ، منها أحساء بني سَعْدٍ بِحِذاءِ هَجْرٍ ...

وقال الفيروز آبادي في القاموس : الحَسَى ويكسر كإلى سهل من الأرض يستنقع فيه الماء ، أو غِلْظٌ فوقه رملٌ يجمع ماء المطر وكلها نزلت دلوًّا أَجْمَتْ أخرى ... وأحساء بني سعدٍ بِحِذاءِ هَجْرٍ ، وهو أحساء القرامطة ... من هذه الأقوال المنتقاة من المعجمات الموثوقة بها ، يبين أن المعجم الوسيط لم يختار التعريف الجدير إثباته فيه ، فقد نقل تعريفًا مطولاً ، في جوانبه نقص غير بسيط .

لقد كان من المستحسن أن يكون التعريف كما يلي :

الحَسَى والحِسَى : السَّهْل من الأرض يستنقع فيه الماء . — كل مكان إذا انْحَجَى عنه رملُه نبع ماءه . والحَسَى وذو حُسَى : موضعان في جزيرة العرب . (ج) حِسَاءٌ وأحْسَاءٌ . والآحْسَاءُ : مواضع كثيرة في بلاد العرب ، منها أحْسَاءُ بني سعد في شرقي جزيرة القَرْبِ : م (٤)

<p>أكثر ما وردت غوطة دمشق في الشعر القديم كان بلفظ التثنية ، ولعلهم كانوا يقصدون بالغوطين - كما هو الحال اليوم من الوجهة الإدارية - الغوطة الشرقية والغوطة الغربية ، أو الشمالية منها والجنوبية ، ولكن ليس في الواقع الجغرافي أو التاريخي ، إلا غوطة واحدة هي : كل ما أحاط بدمشق من قرى شجرأ ، وكان من الأرض المطمئنة التي تروى من نهر بردى (١) .</p>	<p>الغوطة مجتمع النبات والماء . ومنه غوطتا دمشق .</p>
<p>أورد المعجم الوسيط في ثنياه أسماء عدة أقطار غير عربية ، وقد نقلنا بعض ما عثرنا عليه منها ، مسجلين الملاحظات التالية :</p> <p>١ - أورد المعجم لفظة أناضول بصيغتين ، دون ضرورة لإثباتها ، وذكر معناها دون بيان في أي لغة ذلك المعنى ، والأناضول : كلمة إغريقية تعني (شروق الشمس) وكانت تطلق على البلاد الواقعة في شرقي بلاد اليونان .</p> <p>٢ - التعريفات التي أثبتتها المعجم غير متكافئة من حيث المعلومات ، وبعضها قاصر عن إفادة المراجع .</p>	<p>أناضول - أناطول : ومعناها : الشرق . وتطلق الآن على الأراضي الواقعة شرقي البحر الأبيض المتوسط ، وهي جزء من الجمهورية التركية .</p> <p>الحبشة الحبش . و - بلاد الحبشان ، وهي في إفريقيا الشرقية .</p> <p>السنځ بلاد تنخيم الهند ...</p>
<p>٣ - وردت إشارة إلى بلاد الهند في تعريف السنځ ثم أغفلت في مادة (ه ن د) . وذكرت النسبة إلى (الصين) مثلاً وأغفلت كلمة (الصين) نفسها .</p>	<p>فارص بلاد الفرس .</p> <p>[مادة فرس]</p>

(١) انظر « غوطة دمشق » تأليف محمد كرد علي ص ١٤ الطبعة الثانية دمشق ١٩٥٢ م .

أثبت المعجم الوسيط لفظة (أقيانس) الدخيلة في مادة (أقي) دون أن يشير إلى الكلمة العربية التي تعني عنها وهي : المحيط ، رغم أنه أثبتها في مادة (ح و ط) بتعريف مماثل لتعريف الكلمة الأولى .

وبما يلاحظ في تعريف كلمة (المحيط) استعمال المعجم كلمة (اليابسة) كناية عن الأرض ، دون أن يشير إلى هذا المعنى في مادة (ي ب س) .

الأقيانس البحر العظيم يحيط بالقارات . (د) .

المحيط العظيم من البحار يحيط باليابسة . (محدثة) .

القارة الواسع الملمح من الأرض . و — قم من أقسام الأرض الخمسة ؛ وهي إفريقيا ، وآسيا ، وأوربا ، وأمريكا ، وأستراليا . (مو) .

[مادة ق ر ر]

أنتاركتيكا هي القارة الجامدة الجنوبية ، كُشِفَ عنها حديثاً ، وهي جزيرة عظيمة ، أكبر مساحة من أوربة ، وتحيط بالقطب الجامد الجنوبي . ويمتد بعض أجزائها شمالاً إلى

أثبت المعجم الوسيط في مادة (ق ر ر) المعنى المولد لكلمة (قارة) ، وجاء بالتعريف المدرسي الذي يعتبر القارات خمساً ، ثم أورد أسماء هذه القارات منتهية بالألف إجماعاً منه بأن رسم تلك الأسماء بالألف أولى ؛ فماذا صنع المعجم نفسه في المواد الأخرى ؟ إنه لم يلتزم بخطة أو بقاعدة معينة ، كما يتضح من الملاحظات التالية :

أولاً : — أثبت المعجم في مادة (أن ت) اسم القارة السادسة التي كُشِفَ عنها حديثاً بحِطَة بالقطب الجامد الجنوبي . ثم أثبت في مادة (أم ر) اسم قارة أمريكا في بُذَين تبعاً لقسمها

الجنوبيّ والشماليّ ، مما يجعل عدد القارات سبعة ، خلافاً لما ورد في مادة (ق ر ر) وإن كان هذا يتفق مع المعلومات التي ثبتها بعض كتب الجغرافية الحديثة !

ثانياً : — جاء في تعريف قارة أوربة أنها إحدى القارات السبع ، وكان من الواجب القول بأنها إحدى القارات الخمس انسجاماً مع ما ورد في مادة (ق ر ر) ، وكل هذا يدلّ على أن تعريف القارات في المعجم الوسيط يفتقر إلى إعادة النظر فيه .

ثالثاً : — رسم المعجم الوسيط أسماء كل من أمريكا وإفريقية وأوربة بالتاء المربوطة في كثير من المواد ، بينما رسمها في مواد أخرى بالالف ، وهذا من العيوب التي يجدر بالمعجم أن يكون خالياً منها .

نحو خط عرض ٦٣ الجنوبيّ حيث تقرب من أمريكا الجنوبية . وتظهر كهضبة ينفطها الجليد دائماً ، إلا أطرافها فتظهر أراضيها صيفاً . النسبة إليها أشتاركتي .

[مادة أن ت]

أوربة إحدى القارات السبع ، وأصغرها مساحة ، ما عدا أستراليا ، وهي في الجزء الشمالي الغربيّ من الدنيا القديمة ، بين خطي العرض ٣٧ و ٧١ الشماليّين . وتفصل بينها وبين آسيا جبال أورال وجبال القوقاز ، والبحر الأسود . وبينها وبين إفريقيا البحر الأبيض المتوسط ، وفي غربها المحيط الأطلسي ، وفي شماليها المحيط الجامد الشمالي . ومعظم أراضيها في المنطقة المعتدلة ،

ويعتد بعض أجزاءها
الشمالية إلى المنطقة الجامدة .
النسبة إليها أوربي .

[مادة أور]

نلاحظ في تعريف القارّات أن المعجم
الوسيط ، اتجه اتجاهها جغرافياً بحثاً ، فهو يذكر
مثلاً خطّي العرض التي تقع القارّة بينها ، بل
إنه ذهب في تعريف أستراليا إلى الإشارة إلى
(مدار الجدي) وكان من المستحسن أن يقتصر
المعجم على المعلومات الأقرب إلى طبيعته اللغوية .

ومما يلاحظ في تعريف (آسيا) إغفال
الإشارة إلى ما يطلق عليه اسم (آسيا الصغرى) .

آسيا أعظم القارات اتساعاً ،

بين خطي العرض

الشماليين ١٥ ، ٧٨٥

ماعد جزائر الهند

الشرقية ، وتمتد من المنطقة

الحارة إلى المنطقة الجامدة

الشمالية . ويعيش فيها نحو

نصف سكان العالم .

النسبة إليها : آسيوي .

(مج) . قد تنطق آسيا

بالم ، والنسبة إليها :

آسي و آسيوي .

[مادة أسي]

أستراليا أصغر القارّات . وهي

بين المحيطين الهندي

والهادي ، وفي الجنوب

الشرقي من آسيا ، وتمتد

بين خطي العرض ١٠ ،
 ٣٩ الجنوبيين ، ويقسمها
 مدار الجدي قسمين
 متساويين تقريباً ، معظمها
 في المنطقة المعتدلة الجنوبية .
 النسبة إليها ، أسترالي .
 [مادة أ س ت]

أثبت المعجم الوسيط كلمة (إفريقية) في مادتي
 (أ ف ر) و (ف ر ق) ، وفي المادة الثانية
 أوردها بصيغتين ، وكان من المستحسن الاكتفاء
 بآبائها في المادة الأولى ، على أنه يمكن أن يحال
 في مادة (ف ر ق) إلى التعريف الوارد في
 مادة (أ ف ر) .

ونلاحظ على التعريفات المذكورة ما يلي :
 أولاً : — إن وصف إفريقية بأنها (ثانية القارات
 اتساعاً) لا ينسجم مع اعتبار القارات خمساً ،
 لأن إفريقية تصبح الثالثة بين القارات بمد
 أمريكة بقسمها .

ثانياً : — إن كلمة (شرقي) الواردة في
 التعريف الأول المذكور في مادة (ف ر ق)
 وردت سهواً على ما يظهر وصحتها (غربي) :

إفريقية ثانية القارات اتساعاً ،
 يقع أكثرها في المنطقة
 الحارة ، وهي بين خطي
 العرض ٣٧ الشمالي و ٣٥
 الجنوبي ، وفي جزئها
 الشمالي الشرقي يجري نهر
 النيل ويقع القطر المصري .
 والنسبة إليها : إفريقي .
 [مادة أ ف ر]

ثالثاً : — إن ذكر (إفريقية) بصيغتين في مادة (فرق) يوحي بأن إفريقية إذا رسمت بالتاء المربوطة انصرفت إلى شمالي إفريقية ، وهذا التفريق لا سند له من الحقيقة ، ويناقض إثبات المعجم نفسه الكلمة في مادة (أفر) وفي مواد أخرى بالتاء المربوطة .

إن مصدر هذا التفريق الذي تبناه المعجم الوسيط في مادة (فرق) ، ما ورد في بعض المعجمات القديمة من أن إفريقية — بتشديد الياء الثانية — تطلق على البلاد الواقعة غربي مصر ، ولكن هذا القول كان بسبب الجهل بمدى امتداد القارة جنوباً ، حتى أن صاحب القاموس مثلاً قال : وإفريقية بلاد واسعة قبالة الأندلس . بينما ذكر ياقوت في معجمه : إفريقية : اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس . .

والأقوال التي وردت في المعجمات القديمة لا تكفي ليثبت معجم حديث ، لا بسبيل الرواية ، بل على أساس الواقع ، أن كلمة إفريقية تطلق على الجزء الشمالي من القارة فقط ، إذ لا بدء في عصرنا الحاضر ، إذا أريد المعنى المذكور من القول : إفريقية الشمالية أو شمالي إفريقية ، كما يقال ؛ إفريقية السوداء أو الإستوائية ، وإفريقية الشرقية وإفريقية الجنوبية .

إفريقيا إحدى قارّات الأرض الخمس ، وتقع شرقي آسيا وجنوبي أوربة .

إفريقية تطلق على الجزء الشمالي من قارّة إفريقيا المطلّة على البحر الأبيض غربي مصر .

[مادة فرق]

هذان التعريفان لقارّة أمريكا وردا في المعجم الوسيط متتاليين في مادة (أ م ر) ونلاحظ عليها ما يلي :

أولاً : — إن الطابع الجغرافي يغلب على التعريفين المذكورين ، وكأنها وضعت لموسوعة جغرافية إبتدائية ، وليس لمعجم لغوي وسيط .

ثانياً : — في تعريف كل جزء من أمريكا شبه إحالة إلى تعريف الجزء الآخر ، ومن المستحسن تجنب مثل هذه الإحالة في المعجم الوسيط .

ثالثاً : — لم يلاحظ واضع التعريفين ، التعريف المدرسيّ لكلمة (قارّة) في المعجم نفسه ، إذ اعتبرت فيه القارات خمساً ، فجاء التعريفان وكأنهما لقارتين مستقلتين . وكان من المستحسن الاكتفاء بتعريف واحد لقارة أمريكا بإشارته إليه إلى أنها تتكون من قسمين : شمالي وجنوبي .

أمريكا الجنوبية : عُرفت كأمريكا الشمالية منذ نحو أربعة قرون ونصف قرن. وهي بين المحيطين : الأطلسي والهادي ، وفي جنوبي أمريكا الشمالية ، وبين خطّي العرض ٨ الشمالي و ٥٥ الجنوبي . وهي على شكل مثلث كبير تقريباً ، رأسه إلى الجنوب ، وجزؤها الشمالي في المنطقة الحارة .

[مادة أ م ر]

أمريكا الشمالية هي الأرض التي كُشِفَ عنها منذ نحو أربعة قرون ونصف قرن ، بين المحيطين الأطلسي والهادي ، وفي شمالها المحيط الجامد الشمالي . وهي كذلك على شكل مثلث كبير تقريباً ،

رابعاً : — أشير في التعريفين إلى زمن كشف
أمريكة على طريقة الأخبار ، والواجب في
المعجم تحديد التاريخ المراد إثباته بما لا يؤثر
فيه تقادم العهد على المعجم .

لقد كان من المستحسن أن يكون تعريف
(أمريكة) في المعجم الوسيط ، على الشكل التالي :

أمريكة : إحدى قارات الأرض ، وثانيها
اتساعاً ، كشف عنها في نهاية القرن الخامس عشر
الميلادي ، وسميت باسم أحد رواد البحر
الإيطاليين . النسبة إليها (أمريكي) وأمريكة
مؤلفة من جزأين كبيرين :

الأول : أمريكة الشمالية

والثاني : أمريكة الجنوبية

رأسه إلى الجنوب ، وتقع
بين خطي العرض ١٠
و ٨٣ الشماليين ؛ وتمتد
من المنطقة الحارة إلى
المنطقة الجامدة الشمالية .
والنسبة إليها أمريكي
شمالي .

[مادة أم ز]

عدنان الخطيب

(يتبع)



محمد بن سلام

- ١ -

مبارة

أبو عبد الله محمد بن سلام^(١) بن عبيد الله بن سالم^(٢) الجمحي^(٣) .
يكنى أكثر المؤلفين بنسبة الجمحي^(٤) ، ومنهم من يزيد بعدها : مولى
أو مولى لهم أو مولى قدامة بن مظعون الجمحي^(٥) .

(١) كل المصادر ، ومنها ما يقف عند اسم الأب : ابن أبي حاتم ٢ : ٣ : ٢٧٨
الغوي ٦٧ ، ابن النديم ١٧١ ، القفطي ٢ : ١٤٣ ، الصفدي ٣ : ١١٤ .
نص على تشديد اللام من سلام ابن الأثير ٥ : ٢٧٥ ، ابن منظور والزبيدي
في (سلم) .

(٢) للرزاني ٢٠٧ أ ، الزبيدي ١٩٧ ، الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، ابن الأثير - لباب ١ :
٢٣٦ ، القفطي ٢ : ١٤٣ ، الذهبي - ميزان ٣ : ٦٦ (= ٣ : ٥٦٧ ط الباي)
البغدادى - ايضاح ٢ : ٨ .

وردت « عبيد الله » على « عبد الله » في ابن الانباري ط . مصر ٢١٦ ، ط .
بغداد ١٠٩ : ابن تقي بريدي ٢ : ٢٦٠ ، السفلائي ٥ : ١٨٢ - وهو من التصحيف .
ولم يذكر الذهبي - ميزان والسفلائي سالماً : وورد « سالم » على « سلام »
لدى ابن تقي بريدي - وهو وهم .

(٣) ابن أبي حاتم ٢ : ٣ : ٢٧٨ : الغوي ٦٧ ، ٦ ، ٢٨ ، ٥٨ : للرزاني ٢٠٧ أ
ابن النديم ١٧١ : السمعاني ١٣٤ ب : ابن الأثير ٥ : ٢٧٥ ، لباب ١ : ٢٣٦ :
ياقوت ١٧ : ٢٠٤ : الصفدي ٣ : ١١٤ : السفلائي ٥ : ١٨٢ .

(٤) الغوي ، ابن النديم ، ابن الأثير ، القفطي ، الذهبي - الميزان .

(٥) الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، السمعاني ١٣٤ ب ، الذهبي - ميزان ٣ : ٦٦ ، الصفدي
٣ : ١١٥ ابن تقي بريدي ٢ : ٢٦٠ .

وجمع من قريش (١) وقدامة صحابي من المهاجرين الأولين استعمله ابن الخطاب على البحرين ، ثم جلد له لما قامت عليه الشهادة بشربه الخمر . توفي - وهو في الثامنة والستين - عام ست وثلاثين للهجرة (٢) .

وواضح من سياق هذا التاريخ أن مولى قدامة هو سالم جدّ سلام ، ولا يمكن أن يكون محمداً نفسه كما فهم عدد غير قليل من المؤلفين والباحثين المحدثين (٣) ، وكما يتبادر إلى ذهن من لم يستحضر وقائع التاريخ ولم يعلم أن محمد بن سلام معاصر لحفيد قدامة بن مظعون (٤) وأنه ولد بعد وفاة قدامة بأكثر من قرن .

(١) ينظر الزبيري ٢٨٦ ، ابن دريد ١١٧ ، ابن حزم ١٥٠ ، ابن الأثير - لباب ١ : ٢٣٦ ، القلقشندي ٢١٨ ، السقلائي - الإصابة ٣ : ٢١٩ . والنسب - بدقة - : بنو جحج : بطن من مصيص من قريش من العدنانية ، وم بنو جحج بن عمرو بن مصيص . (٢) ينظر ابن سعد ٣ : ٤٠١ ، الزبيري ٢٨٦ ، ابن دريد ١١٧ (و ٢١٨) ابن حزم ١٥٢ ، السيرافي ١٣ ، ابن خلدون ٢ : ٩٠٧ ، ١٠٥٥ ، الفيروزآبادي (قدم) ، الذهبي - سير ١ : ١١٦ (ويذكر أنه ضرب الخمر يتأول ، مستدلاً بقوله تعالى : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طمعوا ..) . (٣) درج أكثر الباحثين على القول : « محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم مولى قدامة بن مظعون ، وهم يقصدون إلى أن محمداً هو مولى قدامة ، ولم يحاول أيّ منهم تحقيق المسألة ، ومنهم من نص على أن محمداً مولى قدامة مثل البستاني - دائرة ٣ : ١٩٥ ، وقالت مجلة الأزهر : « .. وولاه لقدامة بن مظعون الجمحي » . وورد في الزبيري ١٩٧ : « محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحي مولى محمد بن زياد مولى قدامة » .

(٤) ابن سلام ٥٣ : « أخبرني عمر بن موسى الجمحي عن أخيه قدامة بن موسى » ، ٢٠٩ : « أخبرني أهل العلم من أهل المدينة أن قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة ابن مظعون الجمحي ... » .

وكان المرزباني أكثر المؤرخين - فيمن رأينا - دقة إذ قال : « أبو عبد الله البصري محمد بن سلام وهو سلام بن عبيد الله بن سالم مولى عثمان بن مظلوم الجمحي (٢) » .

إن كلمة « مولى » زالت على مر الزمن ، ولم تعد تذكر إلى جوار محمد بن سلام حتى لكأنه جمحي صلية ؛ وقد يفهم أنه عربي من سياق خبر أورده أبو الطيب اللغوي (المتوفى عام ٣٥١) وقد يتحدث عن دواعي تأليفه كتاب « مراتب النحويين » ويبين جهل الناس وتخليطهم : « حتى يظن قوم أن القاسم بن سلام البغدادي ومحمد بن سلام الجمحي صاحب الطبقات أخوان ! ولقد رأيت نسخة من كتاب « الغريب المصنف » على ترجمته : تأليف أبي عبيد القاسم بن سلام الجمحي ، وليس أبو عبيد بجمحي ولا عربي ؛ وإنما الجمحي محمد ، مؤلف كتاب « طبقات الشعراء » (٣) .

(٢) للرزباني ٢٠٧ ١ .

(٣) اللغوي ٦ .

ويبدو أن هذا الوم بقي على الزمن ، فقد ورد في سماع (من القرن السادس) في آخر النسخة المشقة لكتاب الأموال ص ٦١٥ - ٦١٦ : « سمع جميع كتاب الأموال على الجهة الكاتبة فخر النساء شهدة .. بحق سماعها عن أبي الفوارس طراد ابن محمد بن علي الزيني على ابن البادي عن أبي حامد الهروي عن علي بن عبد العزيز البغوي عن أبي عبيد القاسم بن سلام الجمحي : الشيوخ أبو الفضل يحيى ... وكان الفراغ منه في شعبان سنة ٥٦٧ » .

وأبو عبيد القاسم بن سلام : طلب العلم وسمع الحديث ودرس الأدب ونظر في الفقه وألف كثيراً . ومن كتبه « الغريب للمصنف » و « غريب الحديث » و « غريب القرآن » ... والأموال - أبوه روي من أهل هراة .

كان القاسم ماصراً لمحمد بن سلام ، فقد توفي بمكة سنة ٢٢٢ (وقيل ٢٣ وقيل ٢٤) في خلافة المصم .

ولنا أن نتصور أن جدّ محمد (أو جد سلام) قد أقام في البصرة مبكراً ، أيام قدامة بن مظعون (١) أو بعد « هجره عمر منافياً » ؛ وأن محمداً ولد في البصرة ، ولطالما لقّب بالبصري (٢) . ولا يتكون النسب بسهولة ومن دون صلة متينة .

أما تاريخ هذه الولادة فلم ينص عليه من ترجعوا له ؛ ويمكن أن يُقرَّب بعام أربعين ومئة للهجرة (٣) .

— كانت المصادر القديمة قلما تقول : ابن سلام ، وإنما تخصص فتقول : « محمد بن سلام » و « القاسم بن سلام » ، ولا بد من أن يكون السبب في ذلك دفع اللبس . ينظر عن القاسم : اللغوي ٩٣ ، الزيدي ١٣٨ ، ابن الأنباري ٩٣ ، ياقوت ١٦ : ٢٥٤ ، الخطيب ١٢ : ٤٠٣ ، ابن خلكان ٣ : ٢٢٥ ... زيدان ٢ : ١١٧ . وفي مقدمة كتابه « الأموال » ترجمة له منقولة عن الذهبي في تاريخ دول الإسلام وله بين مخطوطات مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة : الغريب المصنف ويقع في ٢١٨ ورقة وغريب الحديث ويقع في ١٢٠ ورقة .

(١) لقدامة بن مظعون لقامة في البصرة ، ينظر السيرافي ١٣ .

(٢) للرزباني ٢٠٧ أ ، الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، السمعاني ١٣٤ ب ، ابن الأنباري ١٠٩ ، ابن أبي حاتم ٢ : ٣ : ٢٧٨ ، ياقوت ١٨ : ٢٠٤ ، ابن الأثير ٥ : ٢٧٥ ، القفطي ٢ : ١٤٣ ، الصفدي ٣ : ١١٥ ، الذهبي — ميزان ٣ : ٦٦ ، ابن تقي بردي ٢ : ٢٦٠ ، السقلاني ٥ : ١٨٢ ، البغدادي ٢ : ٨ ، ...

(٣) اعتاداً على ما رواه للرزباني ٢٠٧ أ عن الحسين بن فهم من أن ابن سلام قدم بغداد سنة ٢٢٢ ومات سنة ٢٣٢ بعد عمر سنوات ، وما رواه الخطيب عن الحسين نفسه ٥ : ٢٢٩ ، من أن عمر محمد كان آنذاك ٨٢ سنة وأعيدت الرواية لدى السماني ١٣٤ ب ، وابن الأنباري ١٠٩ — ١١٠ ، وياقوت ١٨ : ٢٠٤ — ٢٠٥ (دون أن ينص على الخطيب ، ولله أخفا عن كتاب ابن الأنباري . وذكر ياقوت أن عمر محمد كان اثنين وسبعين ، ولا بد من أن يُردّ ذلك إلى وهم الناسخين) ومن قبل عن الخطيب ابن أبي أصيبعة ٢ : ١٣٤ .

ويبدو أن الباحثين يتمدون هذا الخبر إذ يجدّون تاريخاً لولادة محمد بن سلام . ونس الأستاذ شاکر جازماً (ص ١١) على أن مولده بالبصرة سنة ١٣٩ .

وقد تهيأت للناسي الصغير بيئة صالحة تمتدته لمكان مرموق في العلم والأدب ؛ فقد كان أبوه « سلام » ذا حظ في العلم والأدب وعلى صلة وثيقة بعلماء عصره وأدبائهم (١) . وربما كان من سواه من أفراد أسرته مثله (٢) ؛ وربما كان هذا الأب يطمح إلى أن يرى من ولده من يحتل منزلة بارزة ، وأنه كان يعمل على أن يهيء له من الفرص ما لم يتهيأ له ؛ فليس عجباً أن ينصرف ابنه عبد الرحمن إلى الحديث (٣) وأن ينصرف ابنه الآخر (محمد) إلى الحديث وغيره . وكانت البصرة (٤) آنذاك مدينة علم وأدب وفكر تضم أعلاماً كباراً في كل فن ، وكان للرواية نصيب موفور ونهضة جبارة ، ولا غرو ، فقد كان هذا الفن العجيب في إنبائه ، وقد حل البلدة - وهي القرية من البادية - عدد من الفصحاء ، وقام فيها « الميربند » ، ونشأ من مهّد الطريق لأكابر الرواة ؛ ولم يكن عجباً أن تتفتح عينا الناسي الصغير محمد ابن سلام قتريناً شيخاً جليلاً يلا الأسماع والأبصار ويلبج بذكره كل لسان ، ذلكم أبو عمرو بن العلاء (٥) .

(١) ابن سلام ١٣ ، ١٤ ، ٢١٤ ، ٣١٢ ، ٣٧٤ ، ٤٧٩ ، ٤٨٢ ، ٥١٠ ، ٥٣٨ ، ٥٥١ ، ٥٧٨ ، ٥٩٢ .

(٢) كانت الحباب بن محمد بن شعيب بن صخر الجمحي زوج بنت سلام ، وقد أنجبها الفضل (أبا خليفة الجمحي) .

(٣) بنظر بلاّت ، الملي ، الحاجري ، زكي .

(٤) أبو عمرو بن العلاء (وقيل زبان بن العلاء) . . التيمي المازني . قال عنه ابن الأنباري ص ٩٥ : « العلم المشهور في علم القراءة واللغة العربية وكان من الشأن بمكان .. أخذ النحو عن نصر بن عاصم الليثي وأخذ عنه يونس بن حبيب البصري والخليل بن أحمد وأبو محمد علي بن المبارك الزبيدي . وكان يونس بن حبيب يقول : لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شيء كان ينبغي أن يؤخذ بقوله عمرو بن العلاء كله في العربية ... »

ولد عام ٧٠ (وقيل ٦٨ ، وقيل ٢٦٥ ، وتوفي عام ١٥٤ (وقيل ١٥٩ ، ١٥٧ ، ١٥٦) .

ينظر عنه البيراني ، القنوي ، ابن النديم ، الزبيدي ، ابن الأنباري ، ياقوت ، ابن خلكان . . . دائرة المعارف الإسلامية .

ولم تكن البصرة بمزلة عن الكوفة ، ولم يكن علم المدينتين بالمفصول ، وقصد حماد الراوية البصرة فجاءه خلف الأحمر فسمع منه ، فكان خلف أول من أحدث السماع في بلده (١) ، ثم قصدها المفضل الضبي (٢) والكسائي (٣) .

وإذ كانت المدينتان في أوج عزهما العلمي قامت بغداد وشرعت تجتذب وتجمع وتغري ، وذاع عنها ما لقيه العالم الفلاني والأديب الفلاني لدى هذا الخليفة أو ذاك الوزير من حظوة وجاه ومال .

كانت هذه البيئة تهز نفس الفقي وتدفعه إلى أن يتلقى ويحصل ويصل وهكذا كان . وما عليه أكثر من أن يحضر هذه الحلقة أو تلك ، ويسمع على هذا الشيخ أو ذاك ، كما يشاء ، فليس أيسر من سبيل المعرفة . فإذا أحس من نفسه ميلاً معيناً إلى فن معين استجاب ، وإذا لمس فيها إعجاباً بأستاذ معين لزم ذلك الأستاذ قدر ما يريد وأفاد منه قدر ما يستطيع . ولا بد من أنه كان يصحب أباه مبكراً ، ولا بد من أنه بدأ يتلقى العلم منذ نعومة الأظفار ، فانه بعد أن بدأ ما يجب أن يبدأ به من القراءة والكتابة وألم بما يلزم أن يُلم به من أصول النحو مال إلى الحديث - أو مُطلب إليه أن يتجه وجهته - ولكنه - كما يبدو - لم يجد في الحديث « ضالته » ، ولم يرد أن يقصر عليه عمره فأكبَّ على الأدب والأخبار واللغة والنحو ، ومعني - أكثر ما معني - برواية الشعر .

(١) ابن الأنباري ٣٧ ، ياقوت ١١ : ٧٦ .

(٢) ابن سلام ٢١ . « كان من أكابر الكوفيين وأخذ عنه أبو زيد الأنصاري من البصريين لثقته - ابن الأنباري ٣٥ » . توفي سنة ١٦٨ .

(٣) السيرافي ٤٤ ، الزجاجي ٢١ ، وفي ابن الأنباري ٤٣ : « . . . خرج إلى البصرة وهي الخليل بن أحمد وجلس في حلقته . . . ومات الخليل وجلس في موضعه يونس . . . فجرت بينها مسائل أتر له يونس فيها ومدره في موضعه » . توفي أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي سنة ١٨٢ . . .

وهكذا كان مشايخه كثيرين ، وكان أن روى عن « جم غفير » - وإن كنا لا نعد كل من روى عنه شيخاً من شيوخه (١) لأن ذلك يخرج بنا عن طبيعة الأشياء ويوقعنا فيما لا عدَّ له ولا حصر . وليس غريباً - بعد ذلك - أن يكون كبار شيوخ محمد بن سلام كبار شيوخ البصرة . وهم : حماد بن سلمة ، ويونس بن حبيب ، وخلف الأحمر (أبو محرز خلف ابن حيّان) ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، والأصمعي (عبد الملك بن قريّب) ، وأبو زيد الأنصاري (سعيد بن أوس) (٢) .

كان حماد بن سلمة شيخ أهل البصرة في الحديث والعربية والفقه ، وكان فصيحاً مفوهاً ... (٧) أخذ عنه يونس .

وهو أول من تذكره المصادر من شيوخ محمد بن سلام في الحديث . وقد توفي عام ١٦٧ هـ (وقيل ١٦٩) وابن سلام في حدود السابعة والعشرين ؛ ولكنه منذ هذه السن « ابيضّت لحيته ورأسه » (٤) .

ويونس أكثر الشيوخ أثراً في ابن سلام وهو « من أكابر النحويين البصريين » (٥) و « إمام نحاة البصرة في عصره ومرجع الأدباء والنحويين في المشكلات » (٦) . أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وحماد بن سلمة وغيرها

(١) كما فعل الأستاذ شاکر ١٢ .

(٢) ترد أكثر أخبارهم لدى : السيرافي ، ابن النديم ، القفوي ، الزبيدي ، الخطيب ، ابن الأنباري ، ياقوت ، الففطي ، ابن خلکان ، السيوطي ... دائرة المعارف الإسلامية ، زبدان ، الرافعي (٣ : ٣٦٠ ..) - وفي تواريخ وفياتهم اختلاف .

(٣) ياقوت ١٠٠ : ٢٥٤ .

(٤) كما يروي ابن أخيه أبو خليفة ، الخطيب ٣٢٩ : ٥ ، السقلائي ١٨٣ : ٥ وغيرهما .

(٥) ابن الأنباري ٣١ .

(٦) ياقوت ٢٠ : ٦٤ .

« وقد سمع من الغرب كما سمع من قبله » (١) وكانت « حلقته بالبصرة » ينتابها أهل العلم وطلاب الأدب وفصحاء الأعراب والبادية » (٢) ووفودهم (٣) وله قياس في النحو ومذاهب يتفرد بها (٤) . وقد روى عنه سنيويه وأكثر ، وسمع منه الكسائي والفرّاء وأبو عبيدة معمر بن المثنى وخلف الأحمر وأبو زيد الأنصاري وغيرهم (٥) .

« وكان .. عالماً بالشعر نافذ البصر في تمييز جيده من رديثه ، عارفاً بطبقات شعراء العرب حافظاً لأشعارهم يرجع إليه في ذلك كله » (٦) .
لم يُرَ أبذل منه لعلم (٧) . قال أبو عبيدة معمر : اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملاً كل يوم ألواحي من حفظه » (٨) . و « قال أبو زيد الأنصاري النحوي : جلست إلى يونس بن حبيب عشر سنين ، وجلس إليه قبل خلف الأحمر عشرين سنة » (٩) .

ومن تصانيفه : معاني القرآن الكبير ، معاني القرآن الصغير ، كتاب اللغات ، كتاب الأمثال ، كتاب النوادر (١) .

-
- (١) السبراني ٢٧ ، ابن الأنباري ٣١ ، ياقوت ٢٠ : ٦٤ .
(٢) السبراني ٢٧ ، ابن الأنباري ٣٢ ، ياقوت ٢٠ : ٦٤ .
(٣) ابن النديم ٦٩ .
(٤) السبراني ٢٧ ، ابن الأنباري ٣١ ، ياقوت ٢٠ : ٦٤ .
(٥) السبراني ، ابن النديم ، ابن الأنباري ، ياقوت .
(٦) ياقوت ٢٠ : ٦٥ .
(٧) ابن سلام (عن أبي زيد) في الزبيدي ٤٨ .
(٨) القوي ٢١ ، ياقوت ٢٠ : ٦٥ ، ابن خلكان ٦ : ٢٤٢ .
(٩) ياقوت ٢٠ : ٦٥ ، ابن خلكان ٦ : ٢٤٢ .
(١٠) ينظر ابن النديم ٦٩ ، ياقوت ٢٠ : ٦٧ ، ابن خلكان ٦ : ٢٤٦ .
جاء لدى ابن النديم : النوادر الكبير والنوادر الصغير ، وورد لدى ابن خلكان : معاني القرآن الكريم - وصحبه الكثير .
ولم تصل بنا كتب يونس .
م (٥)

روى عنه محمد بن سلام الكثير ، وعن طريقه اتصل بعلم أبي عمرو ابن العلاء ، وقد دل في رواياته عنه على قربه منه . ولا غرو فقد كان أبوه قريباً منه يهد السبيل إليه على ابنه (١) ، وكان الفتى يجد عند أستاذه ضالته فكانت صلته به صلة ملازمة واختصاص فكان يشهد مجالسه ، وكان يونس نفسه يزوره (٢) .

وقد طالت الملازمة واتصلت ؛ فقد توفي يونس سنة اثنتين وثمانين ومئة وقد قارب المئة أو تعداها - وكان محمد بن سلام قد جاوز الأربعين من عمره . كان محمد بن سلام من أصغر تلاميذ يونس مناً ، فأفاد من هؤلاء التلاميذ في حياة شيخه ، وتلمذ لهم بعد وفاته - وفي تلاميذ يونس من فيهم . وخلف الأحمر وأعلم الناس بالشعر ، (٣) . وهو معلم الأصمعي ومعلم أهل البصرة (٤) . قال ابن سلام : « أجمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس بيت شعر ، وأصدق لساناً . كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه أو أثشدنا شعراً أن لا نسمعه من صاحبه ، (٥) توفي عام ١٨٠ هـ (وقيل ١٨٩ ..)

و أبو عبيدة كان أجمع الناس للعلم ، وأعلمهم بأيام العرب وأخبارها ، (٦) . قال عنه الجاحظ : « لم يكن في الأرض خارجي ولا إجماعي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة ، (٧) . توفي عام ٢٠٩ هـ (وقيل ٢٠٨ ... ٢١٣) .

(١) ابن سلام ١٤ .

(٢) الزيدي ٥٠ .

(٣) اللغوي ٤٦ .

(٤) ياقوت ١١ : ٧٦ .

(٥) ينظر ابن سلام ٢١ .

(٦) ينظر اللغوي ٤٤ : « .. ومع ذلك فانه ربما أهد البيت فلم يُعْم وزنه حتى يكسره ويُخطئ . لذا قرأ القرآن نظراً .. » ؛ ٤٥ : « وكان يميل إلى مذهب الإباضية من الحوارج وكان يبغض العرب » .

(٧) ابن الأثير ٦٨ .

و الأصمعي « صاحب النحو واللغة والتأريب والأخبار والملح » (١) . قال
الأخفش : « لم أدرك أحداً أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعي » (٢) .
وقد « تعلم تعد الشعر من خلف الأحمر » (٣) .

توفي عام ٢١٤ هـ (وقيل ٢١٥ ..)

وأبو زيد « صاحب العربية في البصرة » « أخذ عنه أكبر الناس » (٤) .
وكان يروي عن علماء الكوفة ، ولا يعلم أحدٌ من علماء البصريين بالتخو
أخذ عن أهل الكوفة إلا أبازيد ، فانه زوى عن المفضل الضبي (٥) .
كانت حلقة ينتابها الناس وكانت كثير السماع من العرب .
توفي عام ٢١٥ هـ .

وهكذا أفاد محمد بن سلام من خيرة علماء عصره وفي شتى مناحي
معرفة ومختلف مجالسهم ومناظراتهم ومناقشاتهم . يلزم هذا ، ويحضر حلقة
ذاك ، ولا تفوته الفوائد ؛ وتباً له - بذلك - أن يروي عن خلق كثير ،
وأن ترد في أخباره أسماء أعلام عديدة ، لم نخص بالذكر منهم إلا الأهم
في حياته . وإلا فهناك الآخرون والآخرون ، وحسبك أن تعلم من هؤلاء
الآخرين : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وسيبويه ؛ وانه أفاد من علماء
الكوفة الذين وردوا البصرة وحسبنا أن نذكر منهم المفضل الضبي والكسائي .

(١) ابن الأباري ٧٤ .

(٢) ياقوت ١١ : ٦٧ .

(٣) اللغوي ٤٦ .

(٤) اللغوي ٤٢ .

(٥) ابن الأباري ٨٦ .

ولا بد من أنه أفاد من أعراب كانوا يفدون إلى البصرة أو يلتقون في المربد . ومن تكررت روايته عنه على وجه يلفت النظر : « أبو الغراف » (١) ، بلغ محمد بن سلام منزلة الشيوخ وروى عنه كثيرون في شتى محالي المعرفة ، وبين هذا الكثير من كان تلميذاً أو بمنزلة التلميذ ، وأشد هؤلاء صلة به ونقلًا عنه وحفظاً لآثاره ابن أخته أبو خليفة الفضل بن الحباب الجهمي . وقال أبو الطيب اللغوي : « روى عنه - أي عن ابن سلام - أبو حاتم والرياشي والمازني والزيادي وأكابر الناس » (٢) . وهؤلاء من معدودي علماء البصرة . وأبو حاتم هو سهل بن محمد بن عثمان السجستاني ؛ والرياشي هو أبو الفضل العباس بن الفرج ؛ والمازني هو أبو عثمان بكر بن محمد ؛ والزيادي هو إسحاق بن سفيان (٣) .

ولم يقف تلاميذ ابن سلام والرواة عنه عند حدود البصرة فلقد كان له تلاميذ في بغداد ، لأنه عاش في هذه المدينة عدداً من السنين (أخريات أيامه) .

(١) لانوف عن « أبي الغراف » شيئاً يذكر . جاء في للرزباني - معجم - عمرو : أبو الغراف السلمي عمرو بن مرشد ، شاعر معروف سندي ، وهو القائل يرد على ربيعة الرقي قوله يمدح يزيد بن حاتم بن قبيصة بن للهلب ويهجو يزيد بن أسيد (السلمي) :

لفتان مابين اليزيدين في الندى يزيد سليم والأخر بن حاتم
وهي آيات . فهجا أبو الغراف ربيعة واليسن . ينظر ابن الجراح ٤٥ ، ٤٦ ، ابن سلام بدلالة فهرس أعلامه .

(٢) اللغوي ٦٧ .

(٣) وردت أكثر أخبارهم لدى السيرافي ، ابن النديم ، اللغوي ، الزبيدي ، ابن الأنباري ، اللطفي ، ياقوت . .

وفياتهم متطابقة ، في حدود الـ ٢٥٠ : أبو حاتم ٢٤٨ (وقيل ٢٥٤ ، ٢٥٥)
الرياشي قتله الزنج عام ٢٥٧ ، للمازني ٢٥٥ (وقيل ٢٤٧) ، الخطابي ٢٤٩ .

كان لا بد له من قصد بغداد - ملتقى كبار العلماء ومقر الأجلاء -
فألم بها (١) وحدثته نفسه باطالة الإقامة فيها ولكن عوائق حالت دون ذلك
وتم تتحقق رغبته إلا سنة اثنتين وعشرين ومائتين - وهو في الثانية والثمانين
فسكنها وحضر مجالسها ، وعقد فيها مجالسه ، فلقد كان شيخاً وله جلالة
ومهابة في نفوس الناس من الخاصة والعامة والعلماء والأجلاء (٢) .

مرض محمد بن سلاّم في بغداد - وربما كان ذلك منذ وصوله - مرضاً
شديداً كاد يؤدي بحياته . وقد روى الحسين بن فهم تفصيل الحال فقال :
« قدم علينا محمد بن سلام سنة اثنتين وعشرين ومائتين فاعتل علة شديدة ،
فما تخلف عنه أحد ، وأهدى إليه الأجلاء أطباءهم . وكان ابن ماسويه من
أهدى إليه ، فلما جسّه ونظر إليه قال له : ما أرى من العلة كما أرى من
الجزع ! فقال : والله ما ذاك لحيرص على الدنيا مع اثنتين وثمانين سنة ،
ولكن الإنسان في غفلة حتى يوقظ بعملة ، ولو وقفت بعشرات وقفة وزرت
قبر رسول الله ﷺ زورة وقضيت أشياء في نفسي ، لرأيت ما اشتد عليّ
من هذا قد سهل . فقال ابن ماسويه : فلا تجزع ، فقد رأيت في عرقك
من الحرارة الغريزية وقوتها ما إن سلّمك الله من العوارض بلغك عشر
سنين أخرى ، (٣) .

(١) ينظر المرزباني ٢٠٧ أ « قال ابن سلام كنت ببغداد فررت بأبي نواس . »

(٢) ابن حاتم ٢ : ٣ : ٢٧٨ .

(٣) الخطيب ٥ : ٣٢٩ وعنه بنس أو بنس : السمعاني ، ابن الأباري ،
ياقوت ، ابن أبي أصيبعة .

وقد روى الخبر المرزباني ٢٠٧ ب . - ٢٠٨ أ فقال : « قال الحسين بن فهم

قدم علينا محمد بن سلام سنة اثنتين وعشرين فاعتل فلم يبق أحد إلا حاد

وجاء بطبيب ، فجاء ابن ماسويه فرآه جرحاً فقال له : « أكثر ما في علك جزعك -

والخبر يدل على جلال منزلة محمد بن سلام ، وفي ورود اسم ابن ماسويه أكثر من دلالة ، لأن ابن ماسويه طيب الخلفاء العباسيين منذ أيام هارون الرشيد ، وإن الخليفة الواثق كان مشغولاً به ضيقاً (١) وأنه « كان معظمها ينفذاد جليل المقدار » (٢) ، مجلسه « أجمع مجلس .. بمدينة السلام لم تطب أو متكلم أو متفلسف مجتمع فيه كل صنف من أصناف الأدب » (٣) .

— فقال : ليس ذاك بحرص على الدنيا مع هذه السن ولكني كنت أحب أن أنف برفات سره فأزور قبر رسول الله ﷺ زورة . ولو فعلت ذلك لرأيت ما اشتد علي من هذا قد . هان . قال : فلا تجزع فإن في مراك من قوة الحرارة ما أن سلك الله من العوارض بلك عرسين .
وللاحظ أن القسّم انتقل إلى سر من رأى سنة ٢٢١ هـ .

والحسين بن فهم — كما جاء لدى الخطيب ٨ : ٩٢ - ٩٣ : « الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم بن محرز بن إبراهيم أبو علي . سمع خلف بن هشام البزار ويحيى بن معين ومصعب الزبيري ومحمد بن سعد كاتب الواقدي ومحمد بن سلام الجعفي وأبا خيثمة ... وكان ثقة عسراً في الرواية متيناً إلا لمن أكثر ملازمته كان يسكن الجانب الغربي ناحية الرصافة .. كان حسن المجلس .. مفتناً في العلوم كثير الحفظ للحديث .. ولأصناف الأخبار والنسب والشعر والمعرفة بالرجال فصيحاً متوسطاً في الفقه ، يميل إلى مذهب العراقيين .. مات في شهر رجب من سنة ٢٨٩ هـ .
وعن الخطيب نقل المتفاني — ميزان ٢ : ٣٠٨ .

ولا بد أن يكون في تاريخ الولادة الذي ذكره المصدران عن رواية علي لسان الحسين نفسه من أنه قال : ولدت في شهر رمضان من سنة ٢٢١ خطأ يرجع إلى النسخين أو أن يكون قوله : « قدم علينا محمد بن سلام سنة اثنتين وعشرين ومائتين » يرويه عن آخر وأنه لم يسمع محمد بن سلام — والأول أولى .
(١) ابن أبي أصيبعة . وابن ماسويه هو أبو زكريا يوحنا ، ينظر عنه ابن النديم ، ابن أبي أصيبعة ، الففطي (أخبار الحكماء ..) ... دائرة المعارف الإسلامية .
(٢) الففطي — الحكماء ٣٨٠ .
(٣) ابن أبي أصيبعة ٢ : ١٢٤ ..

وذكر الففطي المجلس س ٣٨١ - ٣٨٢ فقال : « كان ينفذ مجلساً للنظر ويعمر ذلك المجلس بلم هنا الشأن أم عبارة ويجري فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة واجتمع إليه أهل العلوم والأدب . وكان يدرس ويجمع إليه تلاميذ كثيرون » .

وقد نجا ابن سلام من مرضه ، وعاود طلاب العلم قصده للإفادة ، وعاود هو حضور المجالس ، وزاد عدد تلاميذه والمستمعين إليه والآخذين عنه ؛ وكان أشدهم به صلة وأكثرهم عنه رواية : أحمد بن يحيى ثعلب . كان ثعلب شاباً ولكنه نابغة ، وكان يقول : « طلبت العربية واللغة في سنة ست عشرة ومائتين ، وابتدأت بالنظر في « حدود » الفراء وسنني ثمان عشرة سنة ... » (١) .

روى ثعلب لقاء محمد بن سلام فقال : « أتيت محمد بن سلام ، لما قدم من البصرة ، لأقرأ عليه الأشعار والأخبار التي رويها ، فلما عرفني برئي وأكرمني ، فقال لي : أسألك عن آيات ؟ فقلت له : سل . فقال : مامعنى قول الفرزدق :

تكاد آذانها في الماء تقصها بيض الملاغيم أمثال الخواتيم

فقلت : يصف حميراً تشرب ، وأراد الخلقوم والمرى وروى : « تقصفها » ، أراد : من شدة جوعها تضرب فتكاد تنقص .

... شبه جوعها بالخواتيم ، وأراد أنها من شدة العطش لما وردت الماء انقصت جفافها في الماء حتى يكاد الماء يبلغ آذانها .

(١) الففطي ١ : ١٣٩ ، وقام الخبر « ... وبلغت خمسين سنة وما بقي عليّ مسألة للفراء إلا » وأنا أخطأ وأحفظ موضعها من الكتاب ، ولم يبق شيء من كتب الفراء في هذا الوقت إلا قد حفظته « : وينظر باقوت ٥ : ١٠٩ ، ١١٩ ، ١١٥ وفيه : « .. وكنت أعنى بالنحو أكثر من عناني غيره ، فلما أهدته أكبت على الشر وللماني » ، وينظر الزبيدي ١٥٥ ، وفيه : « .. وصنف الكتب وله ثلاثة وعشرون سنة » .

قال : فما تقول في قول علقمة :

سبلاًءه كمصا التهدي غلّ لها ذو فيئة من نوى قرآن معجوم

قلت : يعني فرساً ، شبهها بشوك النخلة لإرهاق صدرها وتام عجزها
كذلك خلقة الشوك .

يقول خلقتها خلقة الشوك . وهذا يستحب في الإناث ...

وعصا التهدي : أي كأنها عصا نبع ، لاندماجها وملاستها ، وإنما خص
«تهدياً» ، لأن النبع يثبت في بلادها ، فهم أصحاب عصي لا تفارقهم ،
فمصيبتهم ملس ، فأراد أنها فرس ملساء .

و«غلّ» لها ، أي أدخل لها في باطن حافر أو في موضع النسور ،
وإنما شبه النسور بالنوى لأنها صلاب ، وأنها لا تمس الأرض لأن
الحافر مقعّب .

وذو فيئة : ذو رجة ، وهو أن يؤكل النوى ، ثم يفت البحر
فيستخرج النوى فتلفه الإبل مرة أخرى ، ولا يكون ذلك إلا من صلابته ...
ومعجوم ، أي أنه نوى الفم ، وهو أصلب ما يكون . معجوم ، معبوض .
«قرآن» : موضع كثير النخل .

قل : فما تقول في قول جرير :

فلا يضغمنّ الليث عكلاً بغيرّة وعكلاً يشمون الفريس البنيباً

قلت : يقول إن عكلاً تخافني أن أهجوم كما تخاف الغنم الأسد ؛ وذلك
لأن الأسد إذا أثر في شاة من الغنم فرّت الغنم إذا شئت فريسته .
والضمن : الأخذ بشدة . حذرهم شتره وهجاءه ؛ فيقول هي تمزج من هجائي
إذا هجوت غيرهم فكيف إذا أوقعتهم بهم .

فقال لي : إقرأ ما شئت . وجعل يعجب ، (١) .
ويدل هذا المجلس على أمور كثيرة ، منها هدوء الشيخ وتواضعه
وأدبه - إن شئت ، ولم يكن كمن يريد أن يفرض نفسه بكل سبب ؛
ومنها أنه أنموذج لأساليب امتحان « الكفاءة » الذي يحدد الخطوة التي يخطوها
الأستاذ بعده ؛ ومنها نبوغ ثعلب - وقد ظهر علماً ، وجهد أن يدي كل
مكونه فعل التلميذ « المتفوق » ؛ وإذا كان ثعلب على هذا العلم وسعى لأن
يتلمذ على ابن سلام ، ففي ذلك ما يدل على مكانة ابن سلام وشهرته في
« الشعر والمعاني » .

كان ثعلب ثقة دينا مشهوراً بصدق اللمحة والمعرفة بالغريب ورواية الشعر ،
مقدماً بذات الشيوخ وهو حدث (٢) ؛ لم يتحدث أحد عنه وعن شيوخه
إلا ذكر محمد بن سلام (٣) .

(١) الزجائي ٩٤ .

ومن حواشي محقق الزجائي : أن بيت الفرزدق لم يرد في ديوانه ؛ وبيت
علقمة في ديوانه (الوهبة ١٢٩٣) س ١٣١ وللفضليات (ط . دار المعارف
١٣٦١) س ٤٠٤ ، وبيت جرير في ديوانه (ط . الصاوي ١٣٥٣) س ١٤ .
وينظر عن بيت جرير : ثعلب - المجالس ٢ : ٥٠ ، ابن سلام ٣٩٧ ، ٤٦٩ .
(٢) ابن الأنباري ١٥٨ .

(٣) ولد ثعلب سنة مائتين وتوفي سنة إحدى وتسعين ومائتين . وهو أبو العباس أحمد
ابن يحيى بن زيد ابن سيار - مولى بني شيخان ، إمام الكوفيين في النحو
واللغة في زمانه . أخذ عن محمد بن زياد الأعرجي وعلي بن المغيرة الأثرم وسلمة
ابن عاصم ومحمد بن سلام الجمحي والزيير بن بكار وأبي الحسن أحمد بن إبراهيم
وعبيد الله بن عبد الوارثي .
وأخذ عنه أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش وابن عرفة وابن الأنباري وأبو عمرو
الزاهد ، وأبو موسى الخامس وإبراهيم الحربي .

من كتبه « معاني الشعر » ، وما طبع له « القصص » و « المجالس » .
ينظر عنه الخطيب ٢٤٠ : ٢١٢ ، اللبني ٩٠ - ، الزبيدي ١٥٥ - ، ابن
الأنباري ١٥٧ - ، ياقوت ١٠٢ : ١٤٦ ، القفطي ١ : ١٣٨ ، ابن خلكان
١ : ٨٤ - ٨٧ ... ومقدمة عبد السلام محمد هارون على المجالس .

عاش ابن سلام بعد مرضه عشر سنين - كما قال له ابن ماسويه -
إذ « وافق كلامه قدراً » ومات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين - على رواية
المرزباني والخطيب عن الحسين بن فهم - أحد تلاميذ ابن سلام .

وورد هذا التاريخ في مصادر أخرى (١) ، وبين هذه المصادر الأخرى
ما ربط بين سنة الوفاة وحادث معروف فقال : « كان ذلك في السنة التي
مات فيها الوثاق وبويع المتوكل بن المعتصم » (٢) - وهذه السنة ثابتة ، هي
سنة ٢٣٢ ، بل إن الشهر منها معروف وهو ذو الحجة (٣) ،

وفي رواية أخرى أوردها المرزباني والخطيب - كذلك - عن عبد الباقي
ابن قانع (٤) أن ابن سلام توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين (٥) . وقد نقلتها
عن الخطيب مصادر أخرى - كما نقلت عنه الرواية الأولى (٦) ، ووردت
وحدها في مصادر أخرى لم تشر إلى المرزباني أو الخطيب بشيء (٧) .

(١) ابن الأثير ، ١١٠ ، ياقوت ١٧ : ٢٠٥ ، الففطي ٢ : ١٤٤ ، الصفدي
٣ : ١١٥ .

(٢) ابن الأثير ، ياقوت .

(٣) ابن الأثير ، حوادث ٢٣٢ : « توفي الخليفة لست بقين من ذي الحجة » .

(٤) لدى الخطيب ١١ : ٨٨ - ٨٩ : ولد سنة ٢٦٥ وتوفي سنة ٣٥١ . سمع
الحارث بن أبي أسامة ومحمد بن مسلمة الواسطي وإبراهيم بن المهيم البلدي وأحمد
ابن إسحاق الوزان وعلي بن محمد بن أبي الشوارب وعبد بن شريك البزاز وإبراهيم
ابن إسحاق بن الحسن . روى عنه الدارقطني والمرزباني . . كان من أهل العلم
والدراية والفهم ورأيت عامة شيوخنا يوتقونه ، وقد كان تغير في آخر عمره .

(٥) للمرزباني ٢٠٨ أ ، الخطيب ٥٠ : ٣٢٩ .

(٦) الففطي ٢ : ١٤٥ ، الصفدي ٣ : ١١٥ ، الذهبي - ميزان ٣ : ٦٧
(= ٣ : ٥٦٨) .

(٧) ابن الأثير ٥ : ٢٧٥ ، ابن كثير ١٠ : ٨ : ٣ ، الحنبلي ٢ : ٧١ .

وليس من السهل البت أو ترجيح إحدى الروایتين على الأخرى ؛
وربما كان عام ٢٣٢ هـ أدق - إذا كان لا بد من التمييز .
أما مكان الوفاة فليس في رواية الحسين بن فهم ما يقطع بأنه بغداد ،
أما رواية ابن قانع فصریحة في ذلك إذ تقول : « توفي محمد بن سلام الجمحي
ببغداد » (١) . ولم تشغل المصادر الأخرى نفسها بهذا الموضوع ، وذكر
الزبيدي أنه بالبصرة (٢) - ولا بد من أن تكون الرواية الأولى أصح .
وخلف محمد بن سلام من الأبناء - فيمن خلف - ولداً اسمه « عون » ،
روى عن أبيه أشياء (٣) ؛ وترك من العلم والرواية والمؤلفات ثروة جليلة
دل عليها القليل الذي وصل إلينا منها .

الدكتور علي جواد الطاهر

(يتبع)



- (١) للرزباني ٢٠٨ أ ، وفي الخطيب ٥ : ٣٢٩ : « أبنا محمد بن أحمد بن رزق
أخبرنا محمد بن عمر بن غالب حدثنا موسى بن هارون وأخبرنا السمار أخبرنا الصفار
حدثنا ابن قانع قال : مات محمد بن سلام في بغداد ... » ومن تبع الخطيب
القفطي ٢ : ١٤٥ ، ياقوت ١٧ : ٢٠٥ .
- (٢) الزبيدي ١٩٧ ، وفي القفطي ٣ : ١٤٥ : وذكر الزبيدي .. « .
- (٣) ابن سلام ٥٤٣ (الأغاني ٤ : ٢٤٦) ، شاعر ١٤ .
- وفي الخطيب ٥ : ٣٢٩ : « حدث أبو خليفة الفضل بن الحباب فقال : سمعته
- أي سمعت ابن سلام - يقول : أنبت ثلاثة أمهات : تزوجت وأطلقت فأتوا
ثم فلت مثل ذلك فأتوا ، ثم فلت الثالثة فأتوا . وها أنا ذا في الرابعة ولا أولاد .
ووردت الرواية لدى القفطي ٢ : ١٤٤ : « ... وها أنا ذا في الرابعة ولي أولاد »
وهي أوجه . ولعل سرد الخطأ في رواية الخطيب : النسخ .

نظرة في معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا. ل. كليرفيل

قله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط
ومحمد صلاح الدين الكواكبي
(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

استدراك وتعقيب

- ١١ -

رقم المصطلح	رقم المصطلح
٦٢٣٢ تهك	6232 Gélification
وأرجح تجمّد . فقد جاء في شرح هذه اللفظة في معجم غارنيسه ودولامار (١) ما يأتي : التخثر (التجلط) الكتلي لأحد المحاليل الغروانية بتكون شبكة صلبة على غاية من الدقة تحوي سائلاً في فجاجها .	
هذا وإن جمع اللغة قد أقر ترجمة لفظة (Gélatine) بهلام في بعض المواضع وأقر تعريبها بحيلتين في بعضها الآخر ، وأقر استعمال لفظة تتجاثن وجاثنة ترجمة لللفظة (Gelatinization) وهي طبعاً غير (Gélification) التي لا يصح ترجمتها إلا بالتجمد .	

(١) M. Garnier et V. J. Delamare... Dictionnaire des Termes Techniques
de Médecine

٦٢٣٣ غِراء ، آغار - آغار Gélose , agar — agar 6233
وأرجح تعريب اللفظة بجيلوز بعد أن خصصت لفظة غِراء ترجمة لـ (Colle).
ومنه اشتقاق لفظة غُرواني ترجمة لـ (Colloïde). هذا وإن مادة الجيلوز
تستخرج من طحالب البحر مما يميزها من الغِراء .

٦٢٣٤ غِراء بالسِقِّي Gélose — ascite 6234

٦٢٣٥ غِراء بالأسكولين Gélose à l'esculine 6235

٦٢٣٦ غِراء غلوكوزي ، غِراء بسكر العِنَب Gélose glucosé 6236

٦٢٣٧ غِراء مُغَلَّسَر Gélose glycinée 6237

٦٢٣٨ غِراء مائل Gélose inclinée 6238

٦٢٣٩ غِراء بسكَّر اللَّثَن (لاكتوزي) Gélose lactosée 6239

بصبغة عباد الشمس (العَبْشَم) au tournesol bleu
الأزرق

٦٢٤٠ غِراء مُغَذَّ Gélose nutritive 6240

٦٢٤١ غِراء بالمَصَلَّ Gélose — sérum 6241

وأرجح ترجمة الألفاظ تبعاً كما يلي : جيلوز بالسِقِّي ، وجيلوز
بالأسكولين ، وجيلوز غلوكوزي ، وجيلوز غليسريني ، وجيلوز مائل ،
وجيلوز لكتوزي بعباد الشمس الأزرق ، وجيلوز مغذ ، وجيلوز بالمصل .

٦٢٤٧ تكوّن ، حدوث ، نَسَلُ Gène 6247

وأقر جمع اللغة تعريب اللفظة بجينة وترجمتها بورثة أيضاً ، وجاء في
التعريف : إحدَى الوحدات الوراثية في البِصِغِي (الكروموسوم) وهي
المظهرة لصفة ما في الحيوان أو النبات البالغ

- ٦٢٤٨ بالكوتون (ذو علاقة) بالتسلسل (Gène ayant rapport au) 6248
وأرجح المنشأ (ذو علاقة أو صلة) دون التسلسل كقولنا في ترجمة
(endogène) داخلي المنشأ أو المصدر .
- ٦٢٤٩ إزعاج ، زعج ، عُسر 6249 Gène
وضيق وصعوبة أيضاً .
- ٦٢٥٠ زعج ، عُسر البلع 6250 gène à la mastication
وأرجح صعوبة البلع .
- ٦٢٥٦ تكويني 6256 Génératif, ive
وتوليدي أيضاً ، إذ سبق للجنة أن ترجمت لفظة (Générateur) بمُولِد
(اللفظتان ٦٣٥٤ و ٦٣٥٥) .
- ٦٢٥٧ رَسم (وزال) 6257 Genêt à balai
وجاءت اللفظة معربةً بحيثُست في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى
الشهابي وذكر في تعريفها : تطلق الكلمة الفرنسية على أنواع الجنستا والرسم
والوزال وجميعها من القرنيات الفراشية .
- ٦٢٥٨ علم إصلاح النسل 6258 Génétique
- ٦٢٥٩ تخليقي إنساني 6259 Génétique , génésique
- ٦٢٦٠ تخليقي مرضي 6260 Génétique pathologique
- إن ترجمة اللفظة الأولى بعلم إصلاح التسلسل حصراً غير صحيح ، لأن اللفظة
معنى أعم وهو علم الوراثة أو التسلسل (١) وأقر بجمع اللغة ترجمتها بعلم الوراثة

(١) جاء في معجم غارنيه ودولامار (M. Garnier et V. J. Delamare) في ترجمة اللفظة
الأولى ما يلي : هو العلم الذي يبحث في جميع الظواهر والأمور المتعلقة بالنسل ، ويبحث
بشكل خاص في تحديد نواحيس الوراثة الطبيعية والمرضية في الإنسان .

وجاء في التعريف : العلم الذي يبحث في انتقال الصفات من جيل إلى آخر ، وتفسير الظواهر المتعلقة بطريقة هذا الانتقال . أقول وإن من مدلول الكلمة علم إصلاح النسل أيضاً .

أما اللفظة الثانية فهي تدل على النسبة إلى الجينة أو الورثة (١) السابقة (اللفظة ٦٢٤٧) فتصبح ترجمتها جيني أو وريثي . وأما اللفظة الثالثة فترجمتها بورثي مرضي .

٦٢٦٧ مِثَال الخِلَقة ، مِثَال التولد Génotype , idiotype 6267

٦٢٦٨ ذو علاقة بمِثَال الخِلَقة وصيلة Génotypique 6268

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بطراز جيني - طراز الجنس . وجاء في الشرح ما يلي :

١ - طراز كائن حي يعرف بتركيبه الوراثي .

٢ - طراز الجنس : طراز النوع الذي يجتمع فيه معظم صفات الجنس .

وتصبح ترجمة اللفظة الثانية ما يتعلق بطراز الورثة ، والجينة وبطراز الجنس .

٦٢٧٠ ركبّة حنفاء Genou cagneux, genu valgum 6270

(١) وجاء في معجم بلاكستون (Blakiston's) في شرح اللفظة أن لها للمعاني التالية :
(١) ماله صلة بطراز الانسال والنمو (٢) ماله صلة بالورثات (٣) ما ينشأ من الورثات . وجاء في المعجم نفسه في تفسير (Genetics) بصيغة الجمع ما يلي : فرع علم الأحياء الذي يبحث في ظواهر الوراثة واختلافاتها ، كما أنه يهدف إلى البحث عن أسباب التشابه والتباين بين الوالدين ولسلها ، وتشبيهاً بين جميع المخلوقات فيما يخص صفة الوارث والورث .

- وأقر جمع اللغة ترجمة اللفظة بالصكك ولا شك بأنها أفضل (١) .
- ٦٢٧١ رُكبة الجسم الثفني Genou du corps calleux 6271
وأقر جمع اللغة : رُكبة الجسم الجاسي وأراها أفضل (٢) .
- ٦٢٧٢ رُكبي Genouillé , ée , géniculé , ée , 6272
coudé , ée
رُكبي ومُتَعَطِف ترجمة لـ (Coudé) وقد أهملتها اللجنة .
- ٦٢٧٥ رُكبة مقوّسة للوراء Genu recurvatum 6275
وأرجح رُكبة مُعْوَجَّة أو مُتَحَجِّجَة (٣) ، ويقصد باللفظة الركبة
التي تبدي تشوهاً يجعلها تنعطِف إلى الأمام جزئياً .

- (١) في اللسان : والصكك اضطراب الركبتين والمرتويين من الإنسان وغيره ،
والمت رجل أصك ، صك يصك صككا فهو أصك ويمك وقد صككت
يارجل . إلى أن قال عن ابن الأعرابي : في قديمه قبل ثم جحف وفي ركبة
صكك وفي فخذه نجي .
- في اللسان : الحذف في القدمين إقبال كل واحدة منهما على الأخرى بإيماما
وكذلك في الحافر في اليد والرجل ، وقيل هو ميل كل واحدة من الإيامين
على صاحبها حتى يرى شخص أصلها خارجاً وقيل هو انقلاب القدم حتى يصير
بطنها ظهرها وقيل هو ميل في صدر القدم وقد خيف خففاً ورجل أخف
ولسرة خفاء . وقال أيضاً : الحذف أن تقبل إيهام الرجل اليمنى على أختها
من اليسرى وأن تقبل الأخرى إليها إقبالا شديداً الخ .
- (٢) في اللسان : جسا البهي يجسا جسوا وجساء فهو جاسي صلب وخشن .
في اللسان : الثفنة من البعير والناقة الركبة وما مس الأرض من كركرت
وسدافاته وأصول أفضائه ، وفي الصحاح : هو ما يقع على الأرض من أعضاء
إذا لمستناخ وعظاظ كالركبتين وغيرهما ... إلى أن قال ففرت يده إذا ظلمت
من العمل ..
- (٣) في اللسان : حجت النود يحجته حجتا وحينة عطفه . والحجبت والحجبتة
والتعجن اعوجاج المي .

6279	Germe, V. agent	جرثومة ، رُشيم ، بَزْر	٦٢٧٩
	germe aérobie V. aérobie (germe)	انظر عامل مرضي	
6280	Germe de blé	رُشيم القمح	٦٢٨٠
6281	Germe de céréales	رُشيم الحبوب	٦٢٨١
6282	Germe dentaire	رُشيم السن	٦٢٨٢
6283	Germe morbide,	جرثوم مرضي ، جرثوم ممرض	٦٢٨٣
	germe pathogène		

لقد جاءت ترجمة اللفظة في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي جرثومة فقط وجاء في التعريف : تطلق الكلمة الفرنسية في معناها المحدود على جنين البذرة وفي معناها الشامل على الأجسام العضوية التي تولد كائناً حياً كالبرغ والمكروبات والبكتريات التي تعيش وتولد أحياء شبيهة بها . أما مجمع اللغة العربية فقد أقر ترجمة اللفظة بما يلي من الألفاظ : الحَيِّي (ج الحيات) والجرثومة والبذرة (ج البذرات) والبذرة (ج بذور) والشاطأ والأصل (في الحيوان والنبات) .

ولا أرى أن لفظة الرُشيم (١) ولا الشطأ (٢) تفيان بالمعنى المقصود والأفضل الاختصار على ترجمة اللفظة بالحَيِّي والجرثومة والأصل وجنين البذرة ، وجرثوم ممرض للفظه الأخيرة .

(١) في اللسان : والرَّشِم بالتحريك والروشم أول ما يظهر من النبات يقال فيه رَشِم من النبات ، وأرشمت الأرض بدا نباتها ، وأرشم الشجر أخرج ثمره كالخمس وعن ابن الأعرابي وأرشم الشجر وأرشم إذا أورق .

(٢) في اللسان : الشطأ لربخ الزرع والنخل وقيل هو تورق الزرع ، وفي التنزيل : كزرع ، أخرج شطأ أي مطرله وجهه شطووه . م (٦)

- ٦٢٨٤ جُرْثُومُ التَّدْعُصِ Germe de putréfaction 6284
وأرجح جرثوم التفسخ اللفظة الشائعة .
- ٦٢٨٩ مُكَوِّنُ الرُّشِيمِ (مبيض المثقوبات) Germigène (ovaire des trématodes) 6289
وأرجح مُكَوِّنُ البُذْبُذَةِ (مبيض المثقوبات) كما أقر جمع اللغة اللفظة الأخيرة .
- ٦٢٩٠ رَشِيمِي ، بَزْرِي ، إِنْتَاشِي ، تَنْشِي Germinal, le 6290
وأقر جمع اللغة جرثومي فقط ، كما أن لفظة تَنْشِي لتوجب الالتباس (١) .
- ٦٢٩١ مُنْتَشِي Germinatif, ve 6291
وأقر جمع اللغة ترجمة اللفظة بِمَنْبِت (٢) .

(١) في اللسان : النَّقْشُ البياض الذي يظهر في أصل الظفر والنَّقْشُ النَّتْفُ اللحم ونحوه والمِنْشَتاش المنقاش . البت : النش إخراج الشوك بالينشاش وهو المنقاش الذي يُنَشَفُ به الشمر ، قال : والنَّشْشُ جذبُ اللحم ونحوه قرصاً ونهشاً . قال أبو منصور : والمرب للول للمِنْشَاشِ مِنْشَاشٍ وَمِنْشَاشٍ . وَتَنْشَشَتِ الشَّيْءَ بِالْمِنْشَاشِ أي استخرجه . وأَنْشَ النباتُ وذلك حين يخرج رؤوسه من الأرض قبل أن يُعْرِقَ ، وَنَشَّهَ ما يبدو منه ، وَأَنْشَ الحَبُّ ابْنَلْ فُضِرَ تَنْشَهَ في الأرض بعد ما يبدو منه أول ما يثبت من أسفل ولوق ، وذلك النبات النَّشْشُ .

وأقر جمع اللغة في ترجمة (Germinal epithellum) الواردة في مصطلحات علوم الأحياء (المجلد الرابع من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها الجمع يولي ١٩٦٢) لفظي ظاهرة جرثومية وحلائية جرثومية وجاء في التعريف : لسيج ظهاري (حلائي) يدخل في تركيب الغدة التناسلية وتكون خلاياه الحلايا التناسلية .

(٢) وردت اللفظة في ترجمة الطبقة المنبئة (Germinative layer) في مصطلحات علوم الأحياء وجاء في التعريف : وهي الطبقة القاعدية في الظهارة الطبيعية (الحلائية الطبيعية) والتي تكون خلايا الطبقات الأخرى وقد تسمى أيضاً طبقة مايجي .

6305 Glacial, ale

٦٣٠٥ متجمّد

والصحيح ترجمه اللفظة بالجليدي أو الجمدي نسبة إلى الجليد أو الجمّد (١)،
وتخصيص لفظة تجمّد ترجمة لـ (Gélification) (٢)، وعلى ذلك فقد ورد
في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي (Glacial, icy) وجاء في شرح اللفظة
في معجم بلاكستون (Blakiston's) ما يلي : ما يشبه الجليد في منظره
كحامض الخل الجليدي (gl. acetic acid) وحامض الفسفور الجليدي
(gl. phosphoric ac.) . وسبق للجنة أن استعملت لفظة تجمّد ترجمة
لـ (Congéation) (اللفظة ٣٠٥٢) وأقر بجمع اللفظة ترجمة اللفظة بثلجي
في ترجمة لفظة (Glacial plants) بنباتات ثلجية وجاء في الشرح : نباتات
تعيش وسط الثلوج في الأقطار القطبية الباردة .

كما انه أقر ترجمتها أيضاً بالجليدي في حامض الخل الجليدي
(Glacial acetic acid) وجاء في الشرح : هو حامض الخل العرف
وسمي كذلك لأنه يتجمّد إذا انخفضت درجة حرارة الجو عن درجة ١٦٦٨ م° .

٦٣٠٧ مُغاطي، مُخاطي، لُعابي، Glaireux, euse, muqueux, 6307

euse mucilagineux, euse

(١) في اللسان : والجليد ما يسقط من السماء على الأرض من الندى ليجمد وأرض
مملوءة أصابها الجليد وجليدت الأرض من الجليد . والجليد ما سجد من الماء
وسقط على الأرض من الصقيع فجمد .

وفي اللسان أيضاً : الجمّد باليعريك الماء الجامد . الجوهر الذي بالتسكين ما سجد
من الماء وهو تقيض الدوب .

(٢) للصفحة ٧٦ من هذه المجلة .

وأرجح ترجمة اللفظة الأولى بأسي لأنها النسبة إلى الآح (بياض البيض).
كما جاء في معجم غارنيه ودولامار ^(١) (M. Garnier et V. J. Delamare)
واللفظة الثالثة بصمني ^(٢) لتخصيص لفظة لعابي ترجمة لـ (Salivaire). هذا
ولا أرى مصوغاً لاستعمال مغاطي لهذا المعنى ^(٣).

6315 Glande hémolymphatique غدة دموية لنفاوية

غدة دموية لمفية كما أقرها مجمع اللغة .

6316 Glande lacrymal غُدَّة دَمْعِيَّة

(٢) قِسمات ، سِجَارٍ دَمْعِيَّة Conduits lacrimaux (2)

وأقر مجمع اللغة قنوات دمعية .

(٤) نِقاط دَمْعِيَّة Points lacrimaux (4)

وأرجح الفوهات الدمعية وفقاً للترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي ^(٤) لكي
لا يلتبس الأمر بقطرات الدمع .

6322 Glande pinéale, غُدَّة صَنُوبَرِيَّة ، مُشاشة دِمَاجِيَّة

épiphyse cérébrale

وأرجح الاكتفاء بالغدة الصنوبرية لأن لفظة (épiphyse) تعد من
مترادفاتها واستعمال لفظة مُشاشة ^(٥) مما يدعو الى الالتباس .

(١) لقد جاء في المعجم المذكور في شرح لفظة (Glaire) ما يلي: (اشتقاق اللفظة من الآح)
مسائل تبلاتلون نرج كآح الأبيض وأكثف من الخاط للرزء الأعشبة الخساية في
بعض الحالات المرضية .

(٢) الصفحة ١٠٥ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) في الامان : المَفْط مد الشيء بتسطيه وخص بعضهم به مد الشيء اليّن كالمُفْطِ
ولمعه ، مَفْطه يَمْفُطه مَفْطاً فامْفَط وامْفَط .

(٤) (Lacrimal openings)

(٥) الصفحة ٥٦٣ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

٦٣٣٠ غُدَدٌ سُدْفِيَّةٌ ، قَعْرِيَّةٌ ، غُدَدٌ Glandes cardiaques, fundiques, du grand cul-de-sac

الرَّتَّجُ الْكَبِيرُ

وأرجح غدد الفؤاد (١) وغدد الجيب الكبير كما أقرها مجمع اللغة .

٦٣٥٤ كَيْتَن (غدد فرجية مِهْلِيَّة) Glandes vulvo —

غدد برطولين vaginales de Bartholin

أقول غُدَدُ برطولين الفرجية المِهْلِيَّةُ وَلَا أرى لفظة كَيْتَن تعني هذه الغدد (٢) .

٦٣٥٧ تَشْتَبُ اللَّخْمَةُ الْعَصِيَّةُ Glinse

والصحيح الفساد اللُّحْمِي الْعَصِيَّ أو الفساد الدَّبْقِي (٣) العصبي قياساً

على ما أقره مجمع اللغة من ترجمة (Néphrose) بالفساد الكلوي . ودرجت

على استعمال الداء الكلوي (٤) ترجمة للفظه ويمكن القول الداء اللُّحْمِي الْعَصِيَّ

أو الدَّبْقِي الْعَصِيَّ . لأن ما يعنى باللفظة كما جاء في شرح معجم بلاكستون

(Blakiston's) : تَكَاثُرُ الدَّبْقِ الْعَصِيَّ (Neuroglie) في الدماغ أو في

النخاع الشوكي بحيث يحل محل النسيج العصبي الأصل ، أو التهابه الخفيف ،

منه الموضع ومنه المنتشر ، ويمد الفساد الدَّبْقِي في الحبل الشوكي أولى العلامات

المبكرة لتغير الطارئ على النخاع في تكهف النخاع (Syringomyélie) .

٦٣٦٥ عدد الكريات الحمر (الكريات الحمر) Globulie

وأرجح عدد الكريات الحمر ،

(١) الصفحة ٦٣٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : الكَيْتَن لحمه داخل فرج المرأة ابن سيده : الكَيْتَن لحم باطن الفرج والركب ظاهره .

(٣) الصفحة ١١٢ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) الصفحة ١١٠ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

٦٣٦٦ كَرَيَّين، كَرَيَّين المَصَّل Globuline, sérum-globuline 6366
وأقر جمع اللغة تعريب اللفظة بـ غلوبولين أو جلوبولين وجاء في الشرح:
أحد بروتينات الدم لا يذوب في الماء وإنما تذوبه محاليل الأملاح المعتدلة .

٦٣٦٨ كَبَيْبَة Glomérule, pelote 6368
وأقر جمع اللغة ترجمة اللفظة بكَبَيْبَة نقلاً عن اللسان .

٦٣٦٩ التهاب كَبَيْبَات الكِلْيَة Glomérulonéphrite 6369
وأقر جمع اللغة التهاب كلوي كبيبي وكلاء كبي في موضع آخر ،
وأرى الأولى أفضل .

٦٣٧٠ ذات اللِّسَيْن، ذَبَاب تَسَه تَسَه Glossine, mouch tsé tsé 6370
وأقر جمع اللغة العَذَّام (١) الشَّوَامِي . وترجمها الأمير مصطفى الشهابي
في معجم الألفاظ الزراعية بشَذَاة وجاء في الشرح : (ج . شذا اقتبسها
من الخخص وهي تدل على ذبابة بعينها كما أنها اسم عام للذباب . وكان جمع
مصر سماها العَذَّام على حين أن العَذَّام هو العضَّاض أو البرغوث ،
جنس حشرات من فصيلة الذباب ورتبة ذوات الجناحين تنقل إلى الإنسان
أو الحيوان الذي تلسه طائفة من المثقيبات (Trypanosomes) وهي طفيليات
تحدث بالملسوع أمراضاً كمرض النوم وغيره) ولا شك أن شذاة أفضل من
عَذَّام إذا لم نعرّبها بغلوسينا وعندني هو الأرجح .

٦٣٧٢ زَرْدَمَة ، مِرْزَمَار Glotte 6373

وأقر جمع اللغة مِرْزَمَار (في الحنجرة) فقط وجاء في الشرح فتحة

(١) في اللسان : هَذَمَ يَعْذِمُ عَذْماً عضَّ ومَوَسَّسٌ عَذِيمٌ وعَذُومٌ عضوضٌ ، والعَذْمُ
العض والأكل بجهاء يقال مرس عذومٌ للذي يعضم بأسنانه أي يكدم . قال
ابن بري العَذْمُ بالشفة والعض بالأسنان .

الخنجرة في العلوم وهي اللفظة الشائعة وتفضل على زَرْدَمَة (١) .

٦٣٧٧ سُكَّرِيَّات ، مآآت الفحم
Glucides, hydrate
de carbone 6377

وأقر جمع اللغة ترجمة اللفظة بالجلوسيدات أو الجلوسيدات ، ومآآت الكربون (٢) .

٦٣٧٩ سُكَّرِيد
Glucoside 6379

وأقر جمع اللغة تعريب اللفظة بجلوكوزيد أو غلوكوزيد وجاء في الشرح :
مادة معقدة تعطي الجلوكوز عند تحللها بالماء وتوجد في كثير من النباتات
ومن أمثلتها جلوكوزيد الأجدالين في اللوز المر والشمش والساليس في الصفصاف .

٦٣٨١ دَابُوق ، غِرَاء نباتي
Gluten, colle végétale 6381

وأرجح تعريب اللفظة الأولى بفلوتين .

٦٣٨٢ تَحَلُّوْنُ الدَّم ، سَحْلَاوَة الدَّم
Glycémie, glycohémie 6382

٦٣٨٣ تَجَلُّوْنُ الدَّم (مبلغ)
Glycémie (taux de la) 6383

وأرجح ترجمة اللفظة الأولى بسُكَّرِيَّة الدَّم أو غلوكوزيته بعد أن أقر
تعريب غلوكوز ، والثاني بغلوكوزية الدَّم أو سكريته (مبلغها أو مداها) .

٦٣٨٤ عَصِيدَات
Glycérés 6384

وأفضل تعريب اللفظة بنليسريات بعد أن أقر تخصيص لفظية عصيدة

ترجمة لِـ (Athérome) (٣) .

(١) لسان : زَرْدَمَة ، خَنْقَه ، وَزَرْدَه كذا . وَزَرْدَمَة ، صر حلقه والزَرْدَمَة

للفلنسة وقيل هي فارسية وقيل الزردية من الإنسان تحت الحلقوم واللسان ، واللسان

مركب فيها . وقيل الزَرْدَمَة الابتلاع والازدحام الابتلاع .

(٢) الصفحة ٦٣٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلد .

(٣) الصفحة ٧٨ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلد .

- ٦٣٨٥ عَصِيدَات النشا Glycérés d'amidon 6385
وأرجح غليسيريات النشا .
- ٦٣٨٦ مُحَلَوِّن (غليسرول) Glycérine 6386
وأقر جمع اللغة تعريب اللفظة بجلسرين أو غلسرين ولا شك أنه أفضل .
- ٦٣٨٨ غليكوجين ، مُكَوِّن سكر العِنب Glycogène 6388
- ٦٣٨٩ تَكْوِن سكر العِنب Glycogénie 6389
وأقر جمع اللغة تعريب اللفظة الأولى بجليكوجين (النشا الحيواني)
وجاء في التعريف : مادة متعددة التسكر توجد في الأنسجة الحيوانية .
وتصبح ترجمة اللفظة الثانية قولد الغليكوجين أو تكوِّنه .
- ٦٣٩٠ بيلة سُكَّرِيَّة ، تَعَلُّسُن البول Glycosurie, meliturie 6390
وأقر جمع اللغة البول السكري وجاء في التعريف : وجود السكر في
البول ، وعندى البيلة السكرية أفضل (١) .
- ٦٣٩٣ .. سِلْمَة Goitre 6393
وأقر جمع اللغة تعريب اللفظة بالجُوتَر وهو أفضل (٢) إذ ليس للفظتي
السِّلْمَة والجُدَرَة الدارجتي الاستعمال في سوربة أن تدلا على المعنى المقصود .

(١) الصفحة ٧٥ ، من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : السِّلْمَة . بكسر الهمزة والضوأة وهي زيادة تحدث في الجلد مثل
الثدرة وقال الأزهري هي الجُدَرَة تخرج بالرأس وسائر الجلد تور بين الجلد والحم
إذا حركتها وقد تكون لسائر البدن في العنق وغيره وقد تكون من حمصة إل بطيخة .
في اللسان أيضاً : والجُدَرُ والجُدَرُ سَلَمٌ تكون في البدن خلقة وقد تكون من
الضرب والجراحات واحدهما جُدَرَة وجُدَرَة وهي الأجدار . وقيل الجُدَر إذا
ارتفعت عن الجلد وإذا لم ترتفع فهي قدبة وقد يدعى الندب جُدَرًا ولا يدعى
الجُدَر ندباً . وقال اللحياني الجُدَرُ السَلَمُ تكون بالإنسان أو البهائم والناتئة واحدهما
جُدَرَة . الجوهري الجُدَرَة خراج وهي السِّلْمَة والجمع جُدَر .

- ٦٣٩٥ سيلعة حادة أو سارية Goitre aigu, goitre
6395 épidémique
غوتر حاد أو وبائي .
- ٦٣٩٦ سيلعة شبنغرية Goitre colloide
6396 غوتر غرواني كما أقرها مجمع اللغة .
- ٦٤٠٤ سيلعة ناشئة من غدة درقية Goitre provenant
6404 d'une glande thyroïde ملحقة في العقدة
... (جذر اللسان)
accessoire de la racine
de la langue
وأرجح غوتر ناشئ عن غدة درقية ثانوية في أصل اللسان ،
- ٦٤٠٧ مسلوع ، مسلوعة Goitreux, goitreuse
6407 وأرجح مصاب بالغوتر أو مصابة بالغوتر في اللفظة الأولى وغوتري
- ٦٤٠٨ سيلعي goitreux, euse
6408 وغوترية في الثانية .
- ٦٤١١ صنع ورم حسني انظر ورم إفرنجي Gomme tumeur
6411 gommeuse V. syphilome
وأقر مجمع اللغة التورم الصمني - الصمفة . وجاء في الشرح : تورم
يظهر في الدور الثالث من أدوار الزهري الوراثي ويتقرح إذا كان في الجلد
أو في الغشاء المخاطي .
- ٦٤١٢ كثيراء Gomme adragante, tragacante
6412 وأرجح صنع الكثيراء . والكثيراء أو اسطرغالس (Astragalus) كما جاء
في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشرايبي من فصيلة القرنيات. الفراشية ،
ويصدر صنع الكثيراء عن النوع المعروف بالصمني (A. gummifer) .

٦٤١٥ صمغ الصنوبر الأصفر Gomme - gutte 6415
والصحيح صمغ الغرسيينا (١) .

٦٤١٧ صمغ صمغوري ، صمغ راتنجي ، Gomme - résine 6417
مفتقر

وأرجح الاكتفاء بصمغ راتنجي فقط (٢) .

٦٤٢٨ بورتي (نوع من السمك) Goujon 6428

لا أظن بصلة هذا النوع من السمك بالطب وبالاتيان على ذكره في هذا المعجم الطبي . وما هو صحيح ان في جانب في هذا المعنى الذي تشير إليه اللفظة الفرنسية معنى آخر ورد في معجم لاروس القرن العشرين وهو إطلاق اللفظة على أداة تشبه السهم يثبت بها قطعنا العظم المكسور ، لذا أرجح ترجمة اللفظة بسهم .

٦٤٢٩ نمطية (نزلة قصبية في Gourme, étranquillons 6429
التخليل) (بيطرة) (vit.)

ونجاء في ترجمة اللفظة في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي :

(١) لقد جاء في معجم لاروس اللان العشرين ان هذا الصمغ الراتنجي (Gomme-résine) يستخرج من الشقوق الجرافة على لحاء الشجر المعروف بـ (Garcinie de Hanbury) وجاء في ايضاح الشجرة الأخيرة ان اسمها منسوب إلى العالم غرسن (Garcin) وهي من فصيلة الكلوزينات (Guttifères) وهي تنبت في كمبوديا (Cambodge) من الهند الصينية وفي ميلان . وجاء في معجم بلاكستون (Blakiston's) ان هذا الصمغ الراتنجي يستعمل مسلاً .

(٢) في اللسان : والصمغور الصمغ الدقيق اللينوي وقيل هو الصمغ عامة وقيل الصمغور صمغ جامد يشبه الأصابع وقيل الصمغور النطمة من الصمغ والخ .
في اللسان : المتفائر صمغ شبيه بالناطف ينضجه المرطاب فيوضع في ثوب ثم ينشع بالماء فيشرب واحدها مفتقر ومفتقر ومفتقر ومفتقر ومفتقر .

كغرم . نزلة سارية وفي شرحها : الأولى معربة . مرض مكروبي ساري
يصيب جهاز التنفس . فاذا كان الداء مميتاً (١) كما يتضح من شرح اللسان
فإن لفظة نمحطة أفضل .

٦٤٤٢ نِقْرَس مع رواسب كلسية Goutte avec tophi 6442
وترجمت اللجنة لفظة (tophi) بصيغة الجمع و (tophus) بصيغة المفرد
برواسب رملية (اللفظة ١٣٤٨٨) أيضاً . واللفظة مستقاة من اليونانية بما يدل
على الطين اللين ، ويعني بها طيباً الراسب المؤلف من أورات الصود
(Urate de soude) والمستقر حول أحد المفاصل أو في عمود الأذن
في المصابين بالنقرس . ودرجت على ترجمة اللفظة بالجنْد (ج . أجناد) (٢) .

٦٤٤٨ نِقْرَسِي (جراحة) Gouttière (chir.) 6448
والصحيح نِقْرَسِي ترجمة لـ (goutteux, euse) اللفظة التي سقطت
من النص الفرنسي وهو غلط مطبعي لم يصوّب . ولفظة (gouttière)
ترجمتها ميزاب أو ميزابة .

٦٤٤٩ مِيزَاب سِنِي (مُضَغَّة) Gouttière dentaire (eu.br.) 6449
وأقر مجمع اللغة الحز (٣) السني ترجمة لـ (Dental groove) في الانكليزية.

٦٤٥٣ قَسِمة (مجرى الدَّمع في الفك Gouttière lacrymale 6453
العلوي) (du maxillaire supérieur

(١) في اللسان : النَحْطَة داء يصيب الخيل والإبل في صدورهما لا تكاد تعلم منه .

(٢) في اللسان : الجَنْد الأرض الغليظة وقيل هي حجارة تشبه الطين .

(٣) في اللسان : الحَزْ الدَّمع في الشيء الواحدة حَزَّة وقد حَزَزَت الدودَ حَزَزَه
حَزّاً والحَزّ دَمع في الدود والمُسَبَّوك والعظم غير طائل .

٦٤٥٤ قسمة العظم الظفيري Gouttière lacrimale de l'unguis 6454

تدل لفظة قسمة (١) على مجرى الدمع أي القناة التي يجري فيها الدمع ،
بينما المقصود من اللفظتين المذكورتين هو الميزاب أو الأصح الأخدود الذي
يحوي مجرى الدمع . لذا فقد أقر بجمع اللغة ترجمة اللفظة بأخدود مقابل لفظة
(sulcus) الانكليزية وتصبح ترجمة اللفظة الأولى الأخدود الدمعي (للفك
العلوي) والأخدود الدمعي للعظم الظفيري أو العظم الدمعي كما أقره بجمع
اللغة ترجمة اللفظة الانكليزية (Osis lacimalis) .

٦٤٥٥ ميزابة شمعية ، حفيرة شمعية Gouttière olfactive, fossette olfactive (embr.) 6155

وأرجع ميزاب شمعي وحفرة شمعية (أجنة) بمد أن خصصت لفظة
ميزابة ترجمة لـ (Gouttière) المستعملة في تيجير العظام (اللفظة ٦٤٤٨) .
٦٤٥٦ ميزابة ابتدائية (مُضَغَّة) Gouttière primitive (embr.) 6456
وأقر بجمع اللغة الأخدود البدائي ترجمة لللفظة الانكليزية
(Primitive groove) .

٦٤٥٧ ميزابة تنفسية ، تخطيط الشجرة Gouttière respiratoire 6457
التنفسية (مضغمة) ébauche de l'arbre
respiratoire (embr.)

وأقر بجمع اللغة البرعمة التنفسية ولا شك أنها أفضل لأنها تدل على
أن شجرة التنفس مستنشأ منها .

(١) في اللسان : القسيمات مجاري الدمع والوجوه واحدها قسمة وجاء أيضاً وقيل
القسمة ما بين العينين روي ذلك عن ابن الأعرابي وقال أيضاً القسمة والقسمة
ما فوق الحاجب ، ولتح النبدلة في ذلك كله .

- ٦٤٥٨ ميزابة فيقترية Gouttière vertébrale 6458
وأقر بجمع اللغة الأخدود الفقاري ترجمة لـ (Vertebral groove) .
- ٦٤٥٩ ميزابة (الفمين العلوي والسفلي) Gouttière vestibulaire 6459
الدهليزية (de la bouche, supérieure
et inférieure)
الحزب السبخى الشفوي (العلوي والسفلي) كما جاء في الترجمة الانكليزية (١)
وهو الأصح كما ان الأصل الفرنسي لم ترد فيه لفظة الفم بصيغة المثنى أو الجمع
بل المفرد مع فاصلة بعدها .
- ٦٤٦٤ حبة صفراء ، حشرة الفطر Grain jaune, granu- 6464
الشعاعي -lation actinomycotique
وأرجح حبة صفراء تحبب (٢) الفطر الشعاعي . فمن الشائع ترجمة
(granulation) بالتحبب وقد أقر بجمع اللغة هذه الترجمة في جملة مواضع
كلفظة محبب لـ (granulated) وحبيبة (granule) مما يعني عن
استعمال الحشرة (٣) .
- ٦٤٧١ دسم Graisse 6471
وأقر بجمع اللغة الدهن (٤) وهي الأفضل .

(١) (Alveolabial groove superior and inferior)

(٢) الصفحة ٤٧٥ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) في اللسان : حشيرة المسسل حشيراً نجيب وهو يحلل حائر وحشيرة ، وحشيرة
الدبى حثراً حشيراً ونجيب .(٤) وردت ترجمة اللفظة بشعهم في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشاذلي وجاء
في التعليق عليها : وربما سموا دسماً في أيامنا هذه على حين ان الدهن في اللغة
عصير النباتات الدسنية . أما الزيت فصير الزيتون وحده المنظر (Huile) والشحم
هذا مادة صلبة تذوب بسهولة تكون في جسم الإنسان والحيوان وما نسميه شحماً
في الشام أي (suif) هو شحم الأسماء .

- 6478 Graisseux, euse تسيم ٦٤٧٨
دهني كما أقرها مجمع اللغة .
- 6479 Gram - négatif, ve غيرام ، سَلْبِي ٦٤٧٩
وأقر مجمع اللغة سلبى الجرام (لا يصطبغ بياقع جرام) .
- 6480 Gram - positif, ve غيرام — ايجابي ٦٤٨٠
وأقر مجمع اللغة إيجابي الجرام (لا يصطبغ بياقع غرام) .
- 6483 Grande veine lymphatique الوَريد اللِّفَافِي الكَبِير ٦٤٨٣
وأقر مجمع اللغة المَسَلَك اللَّمَنِي الأَمِين ترجمة للفظَة الانكليزية
(Lymphatic duct right) وأراها أفضل لأنه ليس وريداً بالمعنى الصحيح .
- 6488 Granulations du trachome حَيَّيات الحَنَازَر ٦٤٨٨
وأقر مجمع اللغة حَيَّيات الحَنَازَر ولعلَّ التعريب بالتراخوما أفضل .
- 6490 Granule حَنَازَر حَبِّيَّة ٦٤٩٠
وأقر مجمع اللغة حَبِّيَّة فقط .
- 6492 Granulé. ée مُحَنَّرٌ مُحَبَّب ٦٤٩٢
مُحَبَّب كما أقرها مجمع اللغة .

= في اللسان : الدَّسَم الوَدَك وفي التهذيب كل شيء له ودَكٌ من اللحم والشحم
وشيء دَسِم وقد دَسِمَ بالكسر يدَسِم لهو دَسِم ودَسَم . والدَّسَم الوَدَكُ والدَس .
في اللسان : الشَّحْم جوهر السِّمَن والجمع شحوم والقطعة منه شحمة .
في المعجم الوسيط عما أقره مجمع اللغة : الدَّهْن مادة في الحيوان والنبات دَسِمَةٌ
جامدة في درجة الحرارة المادية فإذا سالت كانت زيتاً .
الزَّيْتُ في المعجم الوسيط عما أقره مجمع اللغة أيضاً : دُهْنُ الزَّيْتُون ويُطلق على
دُهْنٍ غيره مقبداً بالإضالة وغيرها فيقال زيت الحِروص والزيت الحار . والزَّيْتُ
المعدني : زيت يستخرج من باطن الأرض والزيت المطري زيت طيار له رائحة
يوجد في أوراق النبات وزهره ج زيوت .

- ٦٤٩٣ Granulée (saccharure) (سُكَّرِيَّة)
 مُحْتَثَرَات مُحَبَّات سُكَّرِيَّة
 وأرجح محبَّات (مسكَّرات) .
- ٦٤٩٧ Granulome ulcéreux ورم النواحي التناسلية
 الحبيبي القرصي
 des parties génitales.
 granulome inguinal vénérien
- ٦٤٩٨ قِلَّة الكُرَيْضَات ذات الحَيَّات ،
 قِلَّة الكُرَيْضَات الحَبَّة granulocytopénie
 وأقر جمع اللغة قِلَّة الخلايا الحَبَّة . وجاء في تعريف هذه الخلايا :
 كريات الدم البيض التي توجد فيها حَبَّيات يتباين قبلها للأصباغ في الخلايا المختلفة .
- ٦٤٩٩ Graphique, courbe, مُخَطَّط ، مُنْحَن ، رسم خطي
 عرض مُصَوَّر tracé linéaire, représentation
 graphique
- ٦٥٠١ وَدَقَّة ، حَشْر دُهْنِي مَأَقِي Grassette, pinguécula
 (شحاذ) pinguicula

وما يعنى باللفظة الافرنجية قفلاً عن معجم (M. Garnier & V. J. Delamare):
 نأى صغير بلون إلى الصفرة لا يتمدى حجمه حجم العدسة يستقر في الملتحمة
 وحشي حافة القرنية ولا يتألف من الدهن بل من كتلة من الخلايا الظهارية

أو من النسيج الضام ، وعليه فليس للفظلة ودقة (١) ولا الحثر الدهني المآقي (٢) أن تدل الدلالة ذاتها ، كما أن لفظلة الشحاذ العامية تدل على ما يعرف بالجدُّجد أو الظبظاب (٣) أو الشعيرة (orgelet) . لذا أرجح ترجمة اللفظة بتدلولها الظاهري بشحيمة أو دُهينة لأن كلاً من لفظتي (grassette) و (pinguécule) تعني تصغير الشحمة أو الدهن .

٦٥٠٨ حالة الحمل Gravidisme 6503

وأرجح التسمية قياساً على ترجمة الألفاظ الماثلة كالبركنسونية (parkinsonisme) ونحوها .

٦٥٢٠ طئم ، أبر Greffer 6520

وأقر جمع اللغة رقع .

٦٥٢١ طئم ، لقع Greffon 6521

وأرجح طئم وغرز كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية لتخصيص اللقع واللقاح ترجمة للفظلة (Vaccin) .

٦٥٢٦ مخلب زندي ، يد مخلبية Griffe cubitale, main en griffe 6526

وأقر جمع اللغة قفاح اليد . وجاء في الشرح : تشوه في اليد ينتج عن ضمور في عضلاتها .

(١) في اللسان : الودقة والودقة نقطة في العين من دم بقي فيها سيرة وقيل هي لحم نظم لها وقيل هو مرض ليس بالرمد كترحم منه الأذن وتشتد منه حمرة العين والجمع ودق . ودقت عينه هي ودقة يقال في عينه ودقة خفيفة إذا كانت لها بشرة أو نقطة شرقة بالدم .

(٢) وليس موضع الشحيمة في المآق بل في الجانب المقابل منه والمآق كما جاء في اللسان : المؤق والمآق حرف العين الذي يلي الأنف وإن الذي يلي الصدغ يقال له الاعتاظ . (٣) في الخصيتين الجدجد والظبظاب البثرة تخرج في الجفن . أقول إن ما تدمره العامة بالجنجل عرفت من الجدجد .

- ٦٥٢٧ Griffe des orteils . مخالب أصابع القدم
قفاع القدم .
- ٦٥٣٧ Gros foie marronné كبد ضخمة كستناوية
(سرطان الكبد الفدي) (Carcinome du foie)
كبد ضخمة قسطنطينية (١) كرسينومة الكبد كما أقرها مجمع اللغة .
- ٦٥٤٣ Grossesse ampullaire . حبل مجلي
وأقر مجمع اللغة تعريب لفظة (Ampule) بأمبولة فتصبح الترجمة الحبل
الأمبولي أو البوقي .
- ٦٥٤٦ Grossesse ectopique, . حبل خارج الرحم ،
extra - utérine حبل مهاجر
وأقر مجمع اللغة الحمل المنتبذ . جاء في الشرح ما يلي :
الحمل خارج الرحم : هو الذي يحدث في البوق أو المبيض أو في
التجويف البريتوني .
والحمل المنتبذ : هو الذي يحدث في أحد المواقع السابقة مضافاً إليه
الحمل في جدار الرحم أو في قرن ثانی من الرحم .
- ٦٥٤٨ Grossesse gémellaire . حبل متشيم
- ٦٥٥٠ Grossesse multiple . حبل عديد
وأقر مجمع اللغة الإنشام وجاء في الشرح : الحمل بأكثر من حميل واحد .
- ٦٥٥٣ Grossir . جثم ، عظم ، كبر
وسمين أيضاً .

(١) في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشاذلي : قسطنطينية (Marron) وجاء في
الشرح : (كستنة الكلمة الفرنسية تطلق على ثمرة أشناب زراعية مجودة من
القطن واللاطل هو الكستة في الشام وأبو فرقة في مصر . م (٧)

- ٦٥٥٨ مجموعة غوليد Groupement aldéhyde 6558
وأقر جمع اللغة تعريب اللفظة بالدهيد وهو أفضل .
- ٦٥٦٩ مجموعة فسفوريل Groupement phosphoril 6569
مجموعة فسفوريل كما أقرها جمع اللغة
- ٦٥٧٢ كَسَّفَ بِحَسَبِ الْأَنْوَاعِ Grouper par type 6572
وأرجح كَسَّفَ بِحَسَبِ التَّمَاذِجِ تاركاً لفظة نوع ترجمة لـ (Espèce)
كما فعلته اللجنة (اللفظة ٥٢٢١) .
- ٦٥٨٥ شِفَاءٌ عَفْوَى Guérison spontanée 6585
شِفَاءٌ تِلْقَائِيٌّ كما أقره جمع اللجنة .

الدكتور مسني سبيع

(للبحث صلة)



الغزالي في دمشق والقدس

(١)

لا تزال إقامة الغزالي في دمشق والقدس مفتقرة إلى تحقيق ، رغمًا عن كثرة ما كتب عن حياته وعن مؤلفاته في اللغة العربية وفي اللغات الأوربية . ولا يزال بعض الكتاب في الشرق والغرب يكرر ما جاء عن هذه الإقامة في كتاب « المنقذ من الضلال » ، على اختصاره وغموضه . دون تحقيق أو تفصيل . ولم تقف على بحث خاص بإقامة الغزالي في ديار الشام وتأتجها ، حتى في الكتاب الذي تضم مجموعة الخطب والمقالات التي ألفت بمناسبة الذكرى المئوية التاسعة لميلاده . ومقالتنا هذه هي محاولة في هذا السبيل .

كان الغزالي في الثامنة والثلاثين من عمره عندما ترك التدريس في المدرسة النظامية في بغداد ، وأعلن عزمه الخروج إلى الحج . قال في المنقذ : « فلم أزل أتردد بين تجاوب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قريباً من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وثمانين وأربعمئة ... وأظهرت عزم الخروج إلى مكة ، وأنا أكبر في نفسي سفر الشام ... ففارقت بغداد ... ثم دخلت الشام ، وأقمت به قريباً من سنتين ، لا شغل لي إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة ... وكنت اعتكف مدة في مسجد دمشق ، أصد منارة المسجد طول النهار ، وأغلق بابها على نفسي . ثم رحلت منها إلى بيت المقدس ، [فكنيت] أدخل كل يوم [مسجد قبة] الصخرة ، وأغلق بابها على نفسي . ثم تحركت في »

داعية فريضة الحج ، والاستعداد من بركات مكة والمدينة ، وزيارة رسول الله تعالى عليه السلام ، بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه . فسرت إلى الحجاز . ثم جذبتني الهمم ودعوات الأطفال إلى الوطن فعاودته ... ، (١) لم يكن الغزالي مؤرخاً ، ولم يلتزم في الكتابة عن إقامته في ديار الشام وسفره إلى الحجاز التسلسل التاريخي . فقوله « أقمت به قريباً من سنتين » قد يكون إشارة إلى كل مدة إقامته في الشام قبل الحج وبعده ، وقد لا يكون كذلك . وزاد الأمر لبساً قوله ، بعد ذكر العودة إلى الوطن وإثارة الغزلة : « قدمت على ذلك مقدار عشر سنين » . فهل هذا يشير إلى مدة الغزلة بعد العودة فقط ، أو إلى مدتها كلها من ترك التدريس في نظامية بغداد إلى العودة إليه في نظامية نيسابور ؟ ولكن الذي يعنيننا في هذا البحث هو تاريخ العودة إلى بغداد ، فهذا التاريخ مهم لإثبات مدة الإقامة في ديار الشام . والروايات في ذلك متضاربة . يقول السبكي (٢) نقلاً عن خطيب نيسار عبد الغفار (٣) الفارسي الذي عرف الغزالي ، إن هذا أقام في الشام « قريباً من عشر سنين » . وجاء مثل ذلك في رواية نقلها السبكي عن الذهبي عن ابن عساكر (٤) . ويمكن الاعتراض على كل من الروایتين : فالأولى عن معاصر ، ولكنها وردت في كتاب عاش مؤلفه بعد الغزالي بنحو قرنين ، ولا ذكر لراويين المعاصر الراوي والمؤلف الناقل . أما الرواية الثانية

(١) المقذ من الضلاله (مطبعة عطايا بالقاهرة - تعليق وتصحيح محمد محمد جابر ، من علماء الأزهر) ، ص ٤٧ - ٤٩ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (مطبوعة انصارى الحنفى . القاهرة ، ١٣٢٤) ، ج ٤ ، ص ١٠٧ .

(٣) خطيب نيسابور عبد الناصر (المجلة)

(٤) تاريخ دمشق (مخطوط القاهرة رقم ٤٩٢) ، ورقة ٣٤٣ ، كما نقل في كتاب

« مؤلفات الغزالي » لعبد الرحمن بدوي (القاهرة ، ١٩٦١) ، ص ٥٠٥ .

فهي عمَّن كان أقرب إلى عهد الغزالي من السبكي ، ولكنها مجروحة ، لأنها تناقض رواية معاصر ثقة وهو أبو بكر بن العربي (١) الذي يقول إنه سمع من الغزالي في بغداد في جمادى الثانية سنة ٤٩٠ هـ . وهذه الرواية الثانية تناقض أيضاً ما ذكره ابن الأثير (٢) تحت حوادث سنة ٤٨٨ هـ ، قال : « وفيها توجه الإمام أبو حامد الغزالي إلى الشام ... وفي هذه السفرة صنف إحياء علوم الدين ، وجمعه منه الخلق الكثير في دمشق ، وعاد إلى بغداد بعد ما حج في السنة التالية ، وسار إلى خراسان » .

فشهادة ابن العربي ، ورواية ابن الأثير ، تزيد كل منها الغموض من قول الغزالي « أقمت به قريباً من سنتين » وتثبت أنه عاد إلى بغداد في أوائل سنة ٤٩٠ هـ . ويؤكد ذلك ما جرى في بلاد الشام في السنتين التاليتين . ففي ٤٩١ هـ استولى الفاطميون على القدس ، وكانت حتى تلك السنة في يد السلاجقة . وكان الفاطميون يطعمون في بسط سلطانهم على الشام ، بل على العراق أيضاً ، والقضاء على الخلافة العباسية التي كانت حينئذٍ تحت حماية سلاطين السلاجقة .

فاذا ذكرنا أن الغزالي كان سنياً شافعيّاً ، وأنه كان من أشد أخصام الباطنية ، جاز لنا أن نشك في رغبته الإقامة في بلاد زال عن بعضها سلطان أوليائه السلاجقة ، وبعضها الآخر كانت تهدده جيوش الفاطميين . أضف إلى ذلك أن الصليبيين اجتاحتوا معظم ديار الشام في سنة ٤٩٢ هـ ، وإن

(١) القوام والمواصم (مخطوط القاهرة رقم ٢٢٠٣١) ، ورقة ٧ ب : كما نقل في كتاب بدوي المذكور ، ص ٤٦ هـ . وقد طبع كتاب ابن العربي في الجزائر وفي القاهرة بعنوان « المواصم من القوام » .

(٢) كتاب الكامل في التاريخ (طبعة لندن ، ١٨٦٤) ، ج ١٠ ص ١٧٢ .

جيوشهم دخلت القدس في رجب من تلك السنة ، وارتكبت فيها من الفظائع ما قل أن سجل التاريخ نظيره . فهل يعقل أن يبقى الغزالي مختاراً تحت حكم غير المسلمين ؟ ومع هذا فلا أثر للحروب الصليبية فيما وصل إلينا من كتابات الغزالي ، فهل شهد سقوط القدس وبقي ساكناً ؟ هذا أمر يصعب تفسيره ، حتى إذا سلمنا أن الغزالي كان حينئذٍ إما في العراق أو في خراسان ، وأن أخبار النكبة وصلته بعد أشهر من وقوعها . فإن قيل إن الغزالي وأمثاله من المتصوفة قد اعتبروا ضياع القبلة الأولى عقاباً سماوياً للمسلمين الذين حادوا عن طاعة الله في دينهم ودنياهم ، قلنا لا نجد أثراً لهذا الرأي في كتابات المتصوفة ، أي أنهم لم يعطوا الناس بضرب المثل على الأقل .

ومما يكن سبب سكوت الغزالي فانه يمكننا بناء على ما تقدم أن نقبل شهادة ابن العربي ، وإن نحسبها أكثر الروايات انطباقاً على الحوادث التاريخية ، وإن نعتمد عليها أكثر من الاعتماد على غيرها ، لأنها جاءتنا من معاصر ثقة سجلها في كتاب له ، ولم تنقل إلينا رواية عن آخرين عاشوا بعد زمن الغزالي .

(٢)

أول الناس في عهد الغزالي تركه التدريس وسفره إلى الشام تأويلاً مختلفاً ، وقد رد هو عليهم بأن السبب الذي حمله على ذلك لم يكن إلا دينياً . وخاض بعض الكتاب في أيامنا يؤولون ذلك بما يتطلب الشك في صدق الغزالي ، وهو أمر لا مسوغ له في سيرته قبل ترك التدريس وبعده . فمثلاً زعم باحث غربي (١) أن الغزالي فقد ثقة ولاية الأمور ، وكان يجدر بصاحب هذا الرأي

(١) D. B. Macdonald, "The life of al-Gazzali with Special Reference to his Religious Experience and Opinions" in the Journal of the American Oriental Society, XX (1899), P. 98

أن يقبل تأكيد الغزالي أن سفره لم يكن « لاستشعار من جهة الولاة » . وزعم باحث شرقي (١) أن الغزالي هرب خوفاً على حياته من غلاة الباطنية ، وكان يجدر بصاحب هذا الرأي أن يعلم أن سفر الغزالي لم يكن فجأة بل بعد إعلان عام وانه لم يكن خلصة بل علناً ، وان الغزالي لم يتخذ رفقاً للسفر سوى تلميذه أبي طاهر بن المطهر الشيباني (٢) . فهل كان الغزالي في مأمن من الباطنية في الشام أو في الطريق إليها ، إذا لم يكن في مأمن منهم في بغداد ؟

ولكن ما هو « السبب الديني » الذي جذب الغزالي إلى الشام ، بل ما سبب قوله « أظهرت عزم الخروج إلى مكة » ، وأنا أدر في نفسي سفر الشام ؟ ثم ما الذي جعله يذكر بعض التفاصيل عن إقامته في دمشق وفي القدس ، ولا يقول شيئاً عن زيارة مكة والمدينة ؟ ليس في مؤلفات الغزالي التي بين أيدينا ما يساعدنا على تفصيل الجواب ، فمثلاً لا نجد في بحث أسرار الحج في كتاب « إحياء علوم الدين » شيئاً عن اختبارات مؤلفه الشخصية ، وكتابه المخصص للاختبارات الشخصية وهو « المنقذ من الضلال » لا يزيدنا علماً . وقد ألقه الغزالي بعد أن جاوز الحسين ، أو بعد أكثر من عشر سنين من عودته من بلاد الشام ، وبعد أن ذاع صيته في العالم الإسلامي .

إن « السبب الديني » المباشر الذي جذب الغزالي إلى الشام هو نية الحج ، ولكنه قال إنه عزم « المقام بالشام » ، ولم يقل إنه عزم المقام بالحجاز .

(١) Farid Jabra, "la Biographie et l'Oeuvre de Ghazali reconsiderées à la lumière de Tabaqāt de Sobki" in Mélanges de l'Institut Dominicain d'Etudes Orientales du Caire, I (1954), P. 91 — 94

(٢) اتخاف السادة المقيمين (وهو شرح كتاب إحياء علوم الدين) لـ سيد محمد المرتضى الزبيدي (اقاهرة ، ١٣١١) ، ج ١ ، ص ٤٤ ،

فما هو السبب الديني الحقيقي الذي جعله يفضل الشام على العراق بل على الحجاز؟ كان العالم الإسلامي في عهده وحدة علمية دون أن يكون وحدة سياسية ، وكان طلبة العلم والعلماء يجوبون هذا العالم من خراسان إلى الأندلس وبالعكس ، طلباً للاستفادة والإفادة ، فكان كل أهل العلم عالماً متعلماً معلماً . وفي رأينا الذي سنثبت به بالبرهان التاريخي فيما يلي أن الغزالي جاء الشام طلباً للاستفادة من شيخ ذاع صيته في الزهد والعلم في كل ديار الشام ، وانتشر منها إلى العراق . وكان هذا الشيخ حينئذٍ حوالى الثمانين والغزالي لم يبلغ الأربعين ، فلم يكن في سنه على الأقل ما يمنع أن يطلب العلم عند من كان في سن أبيه . أضف إلى ذلك أنه عندما ترك التدريس في بغداد ، عزم على الزهد في الدنيا والمسير في طريق الآخرة ، ولعل صيت الزاهد الشامي قد بلغه فرغب في لقائه والاستفادة منه .

وهذا الشيخ الزاهد هو أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي النابلسي ، شيخ علماء المذهب الشافعي في ديار الشام (١) . تلقى العلم في القدس وغزة وصور ودمشق وغيرها ، ثم علّم في القدس وصور ودمشق . قال أحد أهل العلم عنه : « صحبت إمام الحرمين أبا المعالي الجويني [وهو أستاذ الغزالي] بخراسان ، ثم قدمت العراق فصحبت أبا اسحق الشيرازي [سلف الغزالي في المدرسة النظامية] ، فكانت طريقته عندي أفضل من طريقة أبي المعالي ، ثم قدمت الشام فرأيت الفقيه أبا الفتح فكانت طريقته أحسن من طريقتهما جميعاً . » (٢)

(١) راجع للمحقق في آخر هذه المقالة .

(٢) طبقات السبكي ، ج ٤ ، ص ٢٨ . وتورد القصة عنها في معجم البلدان لياقوت (طبعة وستفيلد ، ١٨٦٦) ، ج ١ ، ص ٦٠١ .

يروى أن الغزالي جاء إلى مسجد دمشق في زي صوفي ، وجلس في الركن الذي اعتاد الشيخ نصر أن يجلس فيه للتدريس ، فلما التف حوله بعض الطلبة سألهم « ما فعل الشيخ نصر المقدسي ؟ » فقالوا إنه توفي في ذلك اليوم ، وإنه أوصى أن يخلفه أعجمي وصفه يطابق ما رأوا في الغزالي . ومع أن تفاصيل هذه القصة ليست كلها صحيحة إلا أنها ذات مغزى ، وهو أن الغزالي وجد في الشيخ نصر قدوة فيما كان ينشده من الزهد في الدنيا . (أمّا الذي خلف الشيخ نصر على التدريس فهو أحد تلامذته : إمّا نصر الله أبو الفتح المصيصي (١) أو جمال الإسلام أبو الحسن السلمي (٢)) .

هذا في القصاص المتواترة . أما كتب التاريخ ففيها ما يؤكد أن الغزالي أخذ عن الشيخ نصر . قال السبكي : « كان الغزالي يكثر الجلوس في زاوية الشيخ نصر المقدسي بالجامع الأموي المعروفة اليوم بالغزالية نسبة إليه ... وصرّح شيخنا الذهبي بأن الغزالي جالس نصراً . » (٣) وأوضح من ذلك ما جاء في ابن شبة (٤) وابن العماد الحلبي (٥) ومجير الدين (٦) أنه « لما قدم الغزالي إلى دمشق اجتمع به واستفاد منه . » قد يكون هذا النص المختصر الوارد في ثلاثة كتب مختلفة من أصل واحد ، ولكن السيد مرتضى (٧)

(١) طبقات السبكي ، ج ٤ ، ص ١٠٤ .

(٢) اتحاف السيد مرتضى ، ج ١ ، ص ٤٥ .

(٣) السبكي ، ج ٤ ، ص ١٠٤ .

(٤) طبقات الشافعية (مختارات نصرها وستنفذ في غرقتن سنة ١٨٣٧) ، ص ٥ من النص العربي و ص ٣٣ - ٣٤ من الترجمة الألمانية :

Die Academie der Araber und ihre pehrer

(٥) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (القاهرة ، ١٣٥٠) ، ج ٣ ، ص ٣٩٥ .

(٦) كتاب الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل (القاهرة ، ١٢٨٣) ، ج ١ ، ص ٢٦٤ .

(٧) الاتحاف ، ج ١ ، ص ١٩ .

يقبله دون تردد . فعند ذكره أساتذة الغزالي يذكر الشيخ نصر أستاذاً له في علم الحديث ، وهو أمر غير مستغرب لما عرف عن الغزالي من قلة الثمكن في هذا العلم .

بناء على ما تقدم يصح القول ان الغزالي اعتبر الشيخ نصر قدوة له في حياة الزهد ، وانه اتخذهُ أستاذاً في علم الحديث على الأقل . ولكن اتصالحا كان قصير الأمد . فالغزالي كما ثبت لنا ترك بغداد في ذي القعدة من سنة ٤٨٨ هـ ، وعاد إليها قبل جمادى الثانية من سنة ٤٩٠ هـ . فاتصاله بالشيخ نصر كان معظمه في سنة ٤٨٩ هـ ، وهي السنة التي حج فيها الغزالي ، وزار فيها القدس والخليل . فالثابت عند كل من أرخ حياته أن الشيخ نصر توفي في محرم سنة ٤٩٠ . وقد تكون وفاته من الأسباب التي حملت الغزالي عند عودته من الحج أن يقرر مغادرة ديار الشام عائداً إلى بغداد .

(٣)

ذكر ابن الأثير ، على ما نقلناه أعلاه أن الغزالي صنف كتاب « إحياء علوم الدين » في أثناء رحلته ، وأن الناس سمعوه منه في دمشق . ويشهد ابن العربي أنه سمع الغزالي في بغداد يقرأ للناس من كتاب سماه « إحياء علوم الدين » . فيفهم من كلام ابن الأثير أن الكتاب كله كان مكتوباً ، ولكن لا يفهم ذلك قطعاً من كلام ابن العربي . هذا مع أنه لا يستبعد أن الغزالي استمد البركة والإلهام فكتب بعض كتابه في القدس وبعضه في دمشق وبعضه في الحجاز . ولكن لا برهان على أن الكتاب كما نعرفه الآن كان تاماً عند عودة الغزالي إلى بغداد . والشك في ذلك ظاهر من احتياط مجيز الدين الذي عاش بعد الغزالي بأربعة قرون : « ويقال انه صنف في القدس إحياء علوم الدين » .

أقام الغزالي في القدس في الزاوية أو المدرسة الناصرية بباب الرحمة من أبواب الحرم الشريف ، وقد سميت بهذا الاسم نسبةً إلى الشيخ نصر الذي علم فيها قبل هجرته إلى دمشق ، وقد عرفت فيما بعد بالغزالية (١) . ولعل الغزالي اختارها من زوايا القدس ومدارسها بناء على توجيه الشيخ نصر ، أو رغبةً من التلميذ في تتبع آثار أستاذه . والذي يؤخذ من نص صريح أن الغزالي كتب وهو في القدس « الرسالة القدسية في قواعد العقائد » ، وأنه بعد ذلك أدمجها في الجزء الأول من الإحياء أي في الفصل الثالث من كتاب قواعد العقائد (٢) : « وإذ رأينا أن تقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررتها ، وانهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الأولى ، إلا إذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة ، فيرقى في الدرجة الثانية إلى عقيدة فيها من لوازم الأدلة مختصرة من غير تعمق . فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر على ما حررناه لأهل القدس وسميناه الرسالة القدسية في قواعد العقائد ... »

وهذه الرسالة كاملة في ذاتها (٣) ، ويشير إليها كاتبها في غير موضعها من الإحياء بقوله : « كتاب الرسالة القدسية » (٤) . وقد راجعنا ثلاث نسخ

(١) الدارس في تاريخ المدارس للزبيدي (مطبوعة جعفر الحسني . دمشق ، ١٣٦٧) ،

ج ١ ، ص ٤١٣ - ٤١٥ ، ومطبوعات السكي ، ج ٤ ، ص ١٠٤ .

(٢) إحياء علوم الدين (القاهرة ، ١٣٣٤) ، ج ١ ، ص ٩٣ .

(٣) توجد نسخ مخطوطة مختلفة من الرسالة القدسية في المكاتب في الشرق والغرب . راجع كتاب بدوي المذكور ، ص ١٦ - ٢٧ وراجع أيضاً :

Maurice Bouyges, Essai de chronologie des OEuvres de al-Ghazali
(Beirut, 1959) , P. 108 .

(٤) زعم القس غاردنر في كتيب عن الغزالي نصره في مدراس سنة ١٩١٩ أن الرسالة لم تكتب لأهل القدس ، وإنما كتبت في السنة الأولى من إقامة الغزالي في بغداد (ص ٣٨ ، ١١١) وهذا الزعم بشقيه باطل بناء على الحقائق التي مر ذكرها .

مخطوطة . أما الأولى فهي من كتاب الإحياء وفيه الرسالة ، وهي مؤرخة سنة ٦١٠ هجرية ، وموجودة في مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية بجامعة لندن تحت رقم ٢٦٥٧٤ ، وأما الثانية فهي من الرسالة على حدة ، وهي مؤرخة سنة ٧٧٩ هجرية وموجودة في دار الكتب في القاهرة تحت رقم « مجاميع ٦٦ » ، وأما الثالثة فهي من كتاب الإحياء وفيه الرسالة ، وهي مؤرخة سنة ١١٦٠ للهجرة ، وموجودة في مكتبة جامعة لندن المذكورة تحت رقم ٤٥٨١٨ .

ونجد على صفحة العنوان في مخطوطة القاهرة كلمة بخط الناسخ هذا نصها : « وهي الرسالة التي كتبها لأهل القدس ، ثم أودعها كتاب قواعد العقائد ، ونحو الثاني من كتب الإحياء ... » . وفي آخر هذه المخطوطة ، وبخط غير خط الناسخ ، توجد هذه الكلمة : « وفرغ من تصنيفه في المسجد الأقصى ، مجيئاً لالتباس أهله ، وراجياً أن يناله بركة دعاء سكانه ... » وتنتهي الرسالة في مخطوطة جامعة لندن المؤرخة سنة ١١٦٠ للهجرة بكلمة كأنها من الغزالي نفسه ، وهذا نصها : « وقد فرغت من تصنيفه في المسجد الأقصى ، مجيئاً لالتباس أهله ، وراجياً لأن تنال بركته وبركة دعاء سكانه ... » . وفي الهامش ، وبخط الناسخ نفسه ، هذه الكلمة : « وقد فرغت من الرسالة القدسية التي أودعتها في هذا الفصل في المسجد الأقصى ، مجيئاً لالتباس أهله ، وراجياً لأن تنال بركته وبركة دعاء سكانه ... » إن الضمير في « تصنيفه » قد يعود تقديراً إلى « كتاب الرسالة القدسية » ، وقد يعود إلى كتاب الإحياء كله . ولعل القصد من قوله في الهامش « فرغت من الرسالة القدسية » هو إزالة هذا الالتباس . ولكنه لا يمكننا أن نتحقق هل ما في الهامش هو حذقة من الناسخ أو نقل عن نص ورد في نسخة أخرى ، ويعود نهائياً إلى الغزالي . . .

والرسالة القدسية فريدة في موضوعها بين مؤلفات الغزالي . قال السبكي :
 « لم أر مصنفاً في أصول الدين إلا أن يكون قواعد العقائد » . فالرسالة
 القدسية هي جزء مهم من قواعد العقائد ، كتبها مؤلفها على طريقة المتكلمين
 أصحاب الأشعري . وهي خاصة بالبتدئين لا بالعلماء المتمكنين ، وغرضها توضيح
 العقيدة ، وإثبات السنة ، وإبطال البدعة ، ففيها ردود كثيرة على المعتزلة ،
 ولكنها قلما تتعرض للفلاسفة . وتتبع في إقامة البرهان القرآن والقياس
 المنطقي ، ولكنها تغلب الأول على الثاني . فالمقل نصير النقل ، وهذا عند
 الشك مقدم على ذلك . ويتضح هذا التقديم في أقسام الرسالة الأخيرة ،
 فمعظمها قائم على أساس النقل وحده ، والمؤمن مكلف بقبوله .
 وقد أعددتنا نصاً محققاً للرسالة القدسية ، وترجمناه إلى الإنكليزية ،
 ووضعنا له الحواشي والشروح ، وكتبنا له مقدمة تاريخية مفصلة . وهذا كله
 الآن تحت الطبع في عدد مزدوج خاص من مجلة المركز الإسلامي الثقافي
 في لندن (١) .

★ ★ ★

ملحق

أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي النابلسي

توفي في دمشق في التاسع من محرم سنة تسعين وأربعمئة ، وكان عمره
 حينئذٍ فوق الثمانين ، صرف السنوات العشر الأخيرة منها في دمشق
 « يحدث ويفتي ويدرس » .

سلك منهاج الزهد والتقشف ، والورع والتبتل ، وتجنب ولاية الأمور .
« وكان يقات من غلة تحمل إليه من أرض له بنابلس (٢) » . ولا شك
أن المقصود هو منطقة نابلس لا المدينة نفسها ، فإذا كان الأمر كذلك ،
فقول ياقوت (٣) إن أصل الشيخ من « طرابلس » لا يثبت ، لأننا لا نعلم
مصدراً آخر غير ياقوت يذكره ، ولأنه يستبعد أن يملك من كان أصله
من طرابلس أرضاً في ضواحي نابلس ، ولأن باقي من أرخ حياة الشيخ
نصر يذكر أن أصله من نابلس . وغالب الظن أن « طرابلس » عند ياقوت
محرقة عن « طوباس » ، وهي قرية من أعمال نابلس ، أو أنها محرقة
عن نابلس .

ومن شيوخ الشيخ نصر ، عبد الرحمن بن الطير (أو الطيز) في
دمشق ، ومحمد بن جعفر اللياسي (أو المياشي) في غزة ، وسليم بن أيوب
الرازي في صور . ومن تلامذته جمال الإسلام أبو الحسن السلمي ، ونصر الله
أبو الفتح المصيعي ، وكثا من أخصهم به ، ومنهم (القاضي) أبو بكر بن
العربي الذي سمع من الشيخ نصر كما سمع من الغزالي قبل رجوعه إلى الأندلس .
وله مؤلفات لا يعرف منها سوى الأسماء . فمنها التهذيب ، والتقريب ،
والمقصود ، والكافي ، والإشارة ، والحجة على تارك المحجة (١) . وجاء في
وصف كتاب المقصود أنه أحكام مجردة ، وفي وصف كتاب الإشارة أنه
شرح المختصر شيخه سليم الرازي . ويذكر السبكي كتاباً آخر عنوانه الانتخاب ،
« وهو فيها بلغني كبير في بضعة عشر مجلداً . »

(١) طبقات السبكي ، ج ٤ ، ص ٢٨ وشذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٩٥ .

(٢) معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٠٠ .

(٣) طبقات السبكي ، ج ٤ ، ص ٢٨ ، وشذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٩٥ ، والألس

الجليل ، ج ١ ، ص ٢٦٤ .

وتروى عنه قصة توضح مكانة العالم عند نفسه وعند ولاية الأمور ،
وتبين أن زهد الشيخ نصر كان حقيقياً لا شك فيه . ذكروا أن تاج الدولة
تتش بن ألب أرسلان زار الشيخ يوماً ، فلم يقم هذا له ، فسأله عن أحلّ
الأموال التي يتصرف فيها السلطان ، فقال الشيخ أحلها أموال الجزية ،
فخرج تاج الدولة وأرسل للشيخ بمبلغ من المال ، وقال هذا من مال الجزية
تفرقه بين أصحابك . فرد الشيخ المال قائلاً « لا حاجة لنا به . » (١)

ودفن الشيخ نصر بالباب الصغير في دمشق قريباً من قبر معاوية ،
ونقل السبكي أن النووي قال : « سمعنا الشيوخ يقولون الدعاء عند قبره
يوم السبت مستجاب . »

عبد اللطيف الطياوي



(١) معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٠١ وطبقات السبكي ، ج ٤ ، ص ٢٨ .

الاصطلاحات الفلسفية

- ٢٤ -

الذات

في الفرنسية Essence

في الانكليزية Essence

في اللاتينية Essentia

الذات النفس والشخص ، يقال ذات الشيء نفسه وعينه والنسبة إليه ذاتي (راجع هذا اللفظ) . والذات أهم من الشخص لأن الذات يطلق على الجسم وغيره ، والشخص لا يطلق إلا على الجسم (الجرجاني) .
وللذات عدة معان :

١ - الذات ما يقوم بنفسه . ويقابله العرض (Accident) بمعنى ما لا يقوم بنفسه . والذات يطلق على باطن الشيء وحقيقته ، والعرض لا يطلق إلا على التبدلات الظاهرة على سطح الشيء . والذات ثابتة ، والأعراض متبدلة لا تبقى زمانين . ويرى بعض الفلاسفة أن الذات هو ما يقوم به غيره سواء كان قائماً بنفسه كزيد في قولنا : زيد العالم ، أو كان غير قائم بنفسه كالسواد في قولنا : رأيت السواد الشديد . وقد يطلقه بعضهم على ما يكون عامماً ، أو على ما تصدق عليه الماهية من الأفراد ، كقول المنطقيين ذات الموضوع بمعنى ما يصدق عليه ذلك الموضوع من الأفراد .
والذات أيضاً هو الموضوع ويقابله المحمول .

٢ — ويطلق الذات على الماهية (Quiddité) بمعنى ما به الشيء هو هو ويراد به حقيقته الشيء ويقابله الوجود . وقد يطلق على الماهية أيضاً باعتبار الوجود .

والذوات عند الفلاسفة الاسكوتلانديين قسماً : الذوات الأولى أو الفردية (Essences premières ou individuelles) مثل زيد وعمرو وبكر .. الخ . والذوات الثانية أو النوعية (Essences secondes ou spécifiques) مثل الإنسان . فالذوات الأولى مدركة بالحدس الحسي على حين أن الثانية مدركة بالعقل . واختلفوا في وجود الذوات الثانية فقال بعضهم إنها موجودة في العقل ، وهم المفهوميون (Conceptualistes) ، وقال بعضهم إن لها وجوداً حقيقياً خارج العقل وهم الوجوديون (Réalistes) وذهب آخرون إلى أنها لا توجد في العقل ولا خارج العقل وهم الاسميون (Nominalistes) الذين ينكرون المعاني الكلية ويزعمون أنها أسماء تحفّشها صور مختلفة مستمدة من التجربة والحس .

ومن جعل معنى الذات مقابلاً لمعنى الوجود زعم أن تصور الشيء لا يستلزم وجوده وإن الوجود ليس من مقومات الماهية كالثلث المتساوي الأضلاع فإنه لا يلزم عن إدراك ماهيته بالعقل أن تكون هذه الماهية موجودة في العالم الخارجي وكالإنسان فهو معنى مجرد ليس له من حيث هو كلي وجود في الأعيان ، بل له وجود في العقل ، والموجود في الأعيان إنما هو الأشخاص والأفراد لا غير .

٣ — ويطلق الذات في المنطق على مجموع المقومات التي تحدد مفهوم الشيء ومنه الذاتي ، وهو ما يخص الشيء ويميزه . وبين الذاتي والعرضي بهذا المعنى تضاد كالتضاد بين المجسوس والمبقول وبين الممكن والواقع . (راجع : الماهية ، والوجود ، والوجودية) . م (٨)

الذاتي

Subjectif . Essentielle في الفرنسية

Subjective Essential في الانكليزية

١ — الذاتي (Essentiel) هو المنسوب إلى الذات . ويطلق على ما يقوم الذات ويلزمه اضطراراً . وهو جزء من الماهية منحصر في الجنس والفصل . وكل خارج عن الماهية فهو عرضي . مثال ذلك النطق في الإنسان فهو ذاتي له أي يخصه ويميزه .

وللذاتي ثلاث خصائص :

الأولى أن يتمتع رفعه عن الماهية بمعنى أنه إذا تصور الذاتي وتصورت معه الماهية امتنع الحكم بسلبه عنها .

والثانية أن يجب إثباته للماهية بمعنى أنه لا يمكن تصور الماهية إلا مع تصورها موصوفة به .

والثالثة أن يتقدم على الماهية في الوجودين الخارجي والداخلي .

قال (فلون) : « ما كان ذاتياً لشيء كان متحداً به دائماً . فإذا كانت الحركة تتغير بتغير الأجسام فتسرع وتبطئ* حتى تتلاشى تماماً فمعنى ذلك أنها لا يمكن أن تكون ذاتية لها » (Fénelon, De l'existence de Dieu I, III — 2)
والذاتي ضد العرضي ، ومرادف للضروري ، وقد أطلق (بلولر — Bleuler) لفظ الذاتي (Autistique) على الاستعداد المرضي الذي يجعل الشخص منطوياً على نفسه منزلاً عن العالم الخارجي ، وتقلت هذه الصفة إلى الابهية فقبل (Autisme) الذاتية .

٢ — والذاتي أيضاً هو ما يخصّ الشخص دون غيره (Subjectif) ويطلق على معان :

— (منها) الفردي وهو ما يخصّ شخصاً واحداً تقول في وصف أحد الرجال أن تفكيره ذاتي أو شخصي بمعنى أنه اعتاد أن يجعل أحكامه مبنية على شعوره وذوقه ، وتقول في وصف الآخر أن تفكيره موضوعي أي مستقل عن عواطفه وأهوائه (راجع الموضوعي — Objectif) .

— (ومنها) الداخلي وهو ما يخصّ الذهن ويقابل الخارجي والتجريبي . تقول بهذا المعنى إن الصفات الثانية (Qualités secondes) كالحرارة واللون ذاتية لا من جهة ماهي متغيرة بتغير الأفراد المدركين لها فحسب ، بل من جهة تعذر إدخالها في نظام من التصورات المنطقية الصالحة لتفسير الأشياء ، وعلى ذلك فإن العالم الذي يريد تفسير هذه الصفات يقلبها إلى حركات واهتزازات .

— (ومنها) الظاهر والوهمي كالأحاساس الذاتية التي يتوهمها الشخص من غير أن يكون لها في العالم الخارجي سبب يحدثها .

— (ومنها) ما يخص العقل البشري ويقابله في فلسفة (كانت) الشيء بذاته (Chose en soi) .

(ومنها) ما يخصّ المدرك دون سواء كالأموور النفسية والمعنوية فهي عند بعضهم قسم من الفلسفة الذاتية على خلاف الفلسفة الموضوعية التي تبني نظرياتها على حقائق العلم .

والتركيب الذاتي (Synthèse subjective) عند (أوغوست كومت) مضاد للمعارف الوضعية (Connaissances positives) من جهة وللمذاهب الفلسفية (Systèmes philosophiques) من جهة ثانية . ويطلق الوجود الذاتي (Existence subjective) عنده على بقاء ذكر الأموات في أذهان الأحياء .

٣ — والطريقة الذاتية (Mathode subjective) تطلق على معان :
(منها) طريقة التأمل الباطني أو طريقة الملاحظة الداخلية للتبعية
في علم النفس :

(ومنها) طريقة علماء النفس الحيوانية الذين يتصورون أن للحيوان
أحوالاً نفسية مماثلة لأحوال الإنسان فيتكلمون على إدراكه وتذكره وتصوره
وحكمه ولذته وألمه وخوفه ورغبته كما لو كانت هذه الأحوال حاصلة عنده بالفعل .
(ومنها) اعتقاد المرء أن رغباته حقائق فلا يصدق إلا ما كان موافقاً
لعواطفه ورغباته .

٤ — والمذهب الذاتي (Subjectivisme) يطلق على الاتجاه الفلسفي
الذي يرجع كل حكم وجودياً كان أو تقديرياً إلى أحوال أو أفعال
شعورية فردية .

أ — فإذا كانت المسألة داخلة في (علم ما بعد الطبيعة) كان المقصود
بهذا الاتجاه إرجاع كل وجود إلى وجود الشخص المدرك ، أو إرجاع كل
وجود إلى وجود الفكر دون ما عداه من الأشياء ، وهذا المعنى قريب من
معنى المثالية (Idéalisme) .

ب — وإذا كانت المسألة داخلة في (علم المنطق) دلّ هذا الاتجاه على
الفلسفة التي تنكر القيمة الموضوعية للفرق بين الحق والباطل والصحيح
والفاسد أو على الفلسفة التي ترجع اليقين إلى التصديق الفردي .

(ج) وإذا كانت داخلة في (علم الأخلاق) دلّ هذا الاتجاه على المذاهب
الخلقية التي ترجع التمييز بين الخير والشر إلى التمييز بين السعادة الفردية
والشقاء الفردي أو إلى الانفعالات الشخصية الملائمة والمنافية .

(د) وإذا كانت داخلة في (علم الجمال) دل هذا الاتجاه على النظريات التي تجعل أحكام الفن مبنية على الأذواق الفردية . وهذا المعنى مرادف للانطباعية (Impressionnisme) .

(هـ) وإذا كانت داخلة في (علم النفس) دلّ هذا الاتجاه على ميل الفرد إلى الانطواء على نفسه بحيث لا ينظر إلى الأشياء إلا من جهته الذاتية ، لا من جهتها الموضوعية وقد يطلق المذهب الذاتي أيضاً على الفلسفة التي تمدح هذا الميل وترفض الاعتراف للأمور الموضوعية بحق التقدم على الأمور الشخصية والذاتية (راجع : الموضوعي ، والموضوعية) .

الذرائعية (أو الادائية)

Instrumentalisme

الذريعة حلقة يتعلم عليها الرامي ، والذريعة أيضاً الوسيلة والسبب إلى الشيء وجمعها ذرائع .

ويطلق لفظ الذرائعية في الفلسفة الحديثة على مذهب (جون ديوي) ومذهب مدرسة (شيكاغو) ، وهو من المذاهب العملية (Progmétique) التي تقول أن كل نظرية فهي أداة أو ذريعة إلى العمل ، لا قيمة لها إلا إذا كان لها مردود عملي . والسبب الذرائعي (Cause instrumentale) هو الوسيلة لإحداث النتيجة ، والمنطق الذرائعي هو المنطق الذي يبنى أحكامه على التجربة ، وجملة القول إن الفكر في المذهب الذرائعي ليس سوى وسيلة أو ذريعة للنجاح في الحياة . (راجع : العمل ، والمذهب العملي) .

الذرة

Atome	في الفرنسية
Atom	في الانكليزية
Atomus, atomum	في اللاتينية
Atomos	وأصله في اليونانية :

١ - الذرة في الأصل هي الجزء الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ ، أثبتها لوسيب ، وديمقريطس ، وأبيقوروس ، ولوكرس . فقال ديمقريطس إن الجواهر الفردة أبدية ومتجانسة وثابتة لا تختلف بعضها عن بعض إلا بصورها وأوضاعها وحركاتها ، وقال المتكلمون الذين أثبتوا ذلك إن الجوهر الفرد ذو وضع لا يقبل القسمة أصلاً لا قطعاً ولا كسراً ولا وهماً ولا فرضاً إلا أنهم أنكروا أن يكون أبدياً .

٢ - ويطلق المحدثون لفظ الذرة على أصغر جزء من عنصر مادي ما ، صبح أن يدخل في التفاعلات الكيماوية . وهذه الأجزاء المادية ثابتة الكيفيات ، منها الذرة الكيماوية وهي أصغر جزء في العنصر الكيماوي . قالوا إنها أصغر جزء فيه لأنهم لم يكشفوا حتى الآن عن جزء أصغر منها ولكنهم لا ينكرون أن يؤدي التحليل العلمي العميق والتقسيم الفيزيائي الدقيق في المستقبل إلى الكشف عن جزء أصغر منها وأدق .

٣ - وقد أطلق العلماء خلال هذه السنوات الأخيرة لفظ الذرة على أجزاء فيزيائية محددة ومنفصلة لا تقبل الانقسام كالنرات الكهربائية أي (الإلكترونات) أو كالنرات الكية (الكوانت) التي تكلم عليها (بلانك) .

٤ - وأطلق بعض الفلاسفة لفظ الذرة أيضاً على العناصر النفسية التي لا تنقسم وسموها بالذرات النفسية (Atomes psychiques) وهي أصغر الأجزاء التي تتألف منها الأحوال النفسية المركبة .

الذري

في الفرنسية Atomique

في الانكليزية Atomic

الذري هو المنسوب إلى الذرة أو المتصف بصفاتهما أو المؤلف منها ، كالوزن الذري (Poids atomique) أو البنية الذرية (Structure atomique) .
 (قائدة) : كانت النظرية الذرية (Théorie atomique) تقول ان الأجسام مؤلفة من الجزيئات الفردية أي الذرات ، فاستبدل (دلتون) بهذه النظرية الفامضة نظرية جديدة تقول إن الذرات في كل عنصر مادي ذات وزن ثابت ، وإن اتحاد العناصر المادية بعضها ببعض لا ينشأ عن تداخل جواهرها ، بل ينشأ عن رصف ذراتها بعضها إلى جنب بعض .
 والنظرية الذرية في علم النفس تجعل الأحوال النفسية المركبة مؤلفة من ذرات نفسية . والنظرية الذرية في علم الاجتماع ترجع بنية المجتمع إلى الأفراد على عكس النظرية العضوية (Théorie organique) التي تشبه المجتمع بالجسم المتمضي الذي يقوم بوظائفه من حيث هو كل لا من حيث هو مؤلف من الأفراد .

والمذهب الذري (Atomisme) مذهب فلسفي يثبت أن المادة مكونة من ذرات تتولد من تركيب خواصها جميع ظواهر الأجسام الحسية .
 ويطلق المذهب الذري أيضاً على نظرية الجزيئات المادية ، وعلى نظرية الذرات الرياضية أو الذرات (الفيشاغورية) التي تجعل المادة مؤلفة من نقاط رياضية ليس لها امتداد (نظرية بوسكوفيتش Boscovich) أو على الذرية الفلسفية أو المنادولوجيا (Monadologie) وهي نظرية لينيتز ، أو على الذرية

النفسية القائلة إن جميع ظواهر النفس تتحلّ إلى عناصر بسيطة أو إلى عنصر بسيط واحد كالصدمة العصبية (Choc nervenx) في مذهب سبنسر وجميع هذه الاصطلاحات لا تتخلو من الالتباس . مثال ذلك أن اصطلاح الذرية الفيثاغورية يعيدنا عن مذهب فيثاغوروس ، ومثال ذلك أيضاً أن الذرية الفلسفية لا تصدق على مذهب لينيتز تماماً بالرغم من قوله ان (المناد) هو الذرة الحقيقية في الطبيعة .

الذكاء

Intelligence في الفرنسية

Intelligence في الانكليزية

Intellectual power

Intelligentia في اللاتينية

ذكا أو ذكي فلان ذكاء سرعة فهمه وتوقد ، وذكا العقل اشتدت ، فطنته ، ويقال أيضاً ذكت الشمس اشتدت حرارتها ، وذكت الحرب اتقدت والريح سطمت وقامت ، وذكا المسك فاح .
وللذكاء في اصطلاحنا عدة معان .

١ — الذكاء سرعة الفهم وحدته أو هو جودة حدس من قوة النفس تقع في زمان قصير يقال رجل ذكي وفلان من الأذكاء أي فطن سريع الفهم ، حاذق في إدراك المواقف المعقدة .

٢ — والذكاء في اصطلاحنا قدرة النفس على حل المسائل النظرية والعملية وحذقها في إدراك طبائع الأشياء ومعرفة أسبابها . تقول فلان ذكي

أي قوي الحدس ، جيد الحكم سريع الاستدلال . والفرق بين الذكاء والعقل أن الذكاء مصحوب بالدوافع الانفعالية والحدسية على حين أن العقل مجرد منها .

٣ — وفرقوا بين الذكاء النظري والذكاء العملي فقالوا إن الذكاء النظري هو المهارة في استخراج المعاني والقوانين العامة من التجارب الجزئية ، ثم الاستناد إلى هذه القوانين لاستخراج الحلول الموافقة لها على حين أن الذكاء العملي هو القدرة على استنباط هذه الحلول مباشرة من التجارب الجزئية نفسها .

٤ — والذكاء مختلف باختلاف الناس ، وهذا مما يتفاوت في الكم والكيف أما في الكم فلأن بعض الناس يكون أكثر إحاطة من بعض ، وأما في الكيف فلأن بعض الناس أسرع ذكاء من بعض ، ومنهم من يكون أكثر غوصاً على المعاني ، ومنهم من يكون أميل إلى التقليد منه إلى الإبداع . الخ .

الذكر والذاكرة

في الفرنسية Mémoire

في الانكليزية Memory

في اللاتينية Memoria

١ — الذاكرة هي القدرة على إحياء حالة شعورية مضت وانقضت مع العلم والتحقق إنها جزء من حياتنا الماضية . وقد عرفها حكماءنا القدماء بقولهم إنها قوة تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني وتذكرها (الهاتوي) أو قولهم إنها قوة محلها التجويف الأخير من الدماغ من شأنها حفظ ما يدركه الوهم من المعاني الجزئية (ابن سينا) وتسمى عندهم حافظة أيضاً . ووظيفتها

الذاكرة بهذه المعاني كلها الحفظ والتذكر ، ويطلق الذكر على إحضار الشيء في الذهن بحيث لا يفيب عنه وهو ضد النسيان (الجرجاني) .

٢ — ويطلق لفظ الذاكرة على القوة التي تدرك بقاء ماضي الكائن الحي في حاضره . قال (ريبو) : الذاكرة وظيفة عامة للجهاز العصبي تنشأ عن اتصاف العناصر الحية بخاصة الاحتفاظ بالتبدلات التي تطرأ عليها وبقدرتها على ربط هذه التبدلات بعضها ببعض . ويطلق هذا اللفظ على الذاكرة النفسية . وهي أعلى صور التذكر وأكثرها تعقيداً ، وقد يطلق على بعض ظواهر الأجسام الجامدة أيضاً .

٣ — وقد فرق الفيلسوف (برغسون) بين ذاكرتين الأولى من جهة ماهي عادة تحتفظ بآثار الماضي على صورة حركات مخزونة في الجسد ، والثانية من جهة ماهي وظيفة نفسية تحفظ ذكريات الماضي بصورة مستقلة عن الدماغ . وتسمى الأولى بالذاكرة الحركية والثانية بالذاكرة النفسية ، وتتألف من التثبيت (Fixation) والحفظ (Conservation) والذكر (Rappel) والعرفان (Reconnaissance) والتحديد (Localisation) .

٤ — والذاكرة الانفعالية (Mémoire affective) هي القدرة على تذكر الأحوال الانفعالية السابقة كقدرة الإنسان على إحياء خوف قديم اعتراه في بعض ظروف حياته ، وقد تطلق الذاكرة الانفعالية أيضاً على ذكرى الحوادث الماضية من جهة ماهي مصحوبة بجملة من الأحوال الانفعالية . ومن العلماء من ينكر هذه الذاكرة الانفعالية فيقول إن الأحوال الانفعالية التي نتوهم إحضارها في النفس ليست سوى انفعالات جديدة أثارها إحضار صور الحوادث الماضية في الذهن . ومنهم من يرى أن من خواص الأحوال النفسية عقلية كانت أو انفعالية أن تعود إلى مسرح الشعور ،

وان الذكرى الانفعالية إذا كانت حالة جديدة كانت الذكرى العقلية نفسها حالة جديدة أيضاً لأن الماضي لا يمر بالإنسان مرتين .

٥ — وفرقوا بين الذاكرة العقلية والذاكرة الحسية فقالوا إن الذاكرة العقلية ذاكرة المعاني والأحكام والتصورات والتصديقات على حين أن الذاكرة الحسية ليست إلا ذاكرة الصور الحسية ، فإذا تذكرت ألفاظ محدثي ولهجة كلامه ورنه صوته كانت ذاكرتي حسية وإذا لم أتذكر إلا معاني حديثة كانت ذاكرتي عقلية .

٦ — وفرقوا أيضاً بين الذاكرة الإرادية والذاكرة اللاإرادية . وهذا قريب من تفريقهم بين الذاكرة الخام والذاكرة المنظمة . فتكرار الشيء الماضي تكراراً بسيطاً يدخل في باب الذاكرة الخام على حين أن تدخل العقل في تمثل الماضي وتأويله واصطفاء عناصره وتنسيقها يدخل في باب الذاكرة المنظمة

٧ — وتطلق الذاكرة في أيامنا هذه على اتصاف الآلات بالقدرة على تكرار الحركات المخزونة فيها ، ويدخل الكلام على هذه الذاكرة في علم الروابط الحركية (Cybernétique) .

الذكرى

في الفرنسية Souvenir

في الانكليزية Remembrance — Recollection

واللفظ الفرنسي مشتق من الفعل اللاتيني Subvenit

١ — يطلق لفظ الذكرى على كل ما يخطر بالذهن من الحالات الماضية حركات كانت أو صوراً فإما أن يكون إحضارها في الذهن تلقائياً فيطلق عليها اسم (الذكر) وإما أن يكون إرادياً فيطلق عليها اسم التذكر .

والذكر قد يوجد في الإنسان والحيوان ، أما التذكر وهو الاحتيال لاستعادة ما اندرس فلا يوجد إلا في الإنسان (ابن سينا) .

٢ - وقد يطلق هذا اللفظ على ما نستعيده من الصور النفسية دون الحركات المادية كما في ذاكرة الصور التي تكلم عليها (برغسون) وتكون الذكرى في هذه الحالة مصحوبة بالعرفان أي بعلما أنها جزء من حياتنا الماضية على عكس العادات الحركية التي نستعيدها من غير أن تكون مصحوبة بهذا العلم .

٣ - ويطلق هذا اللفظ في أيامنا هذه على التذكرة أي على ما تستذكره الحاجة فنقول هذه الهدية ذكرى اجتماعنا في دمشق أو ذكرى إقامتنا على سواحل البحر ، ومنه خزانة الذكريات .

الذنب

Faute في الفرنسية

Fault في الانكليزية

Fallita في اللاتينية

الذنب ارتكاب المكلف أمراً غير مشروع ، وله درجات تختلف باختلاف طبيعة الفعل ونية الفاعل ، والذنوب قسماً : الصغائر والكبائر . ولكل ذنب عقاب ، ولكل طاعة ثواب

ولا يعتبر الفعل ذنباً إلا إذا كان منياً عنه في الشرع أو الأخلاق أو مشتملاً على تقصير في الواجب ، وهو يتضمن الاعتقاد أن القاعدة التي يخالفها الفاعل قيمة في نظر الناس .

مثال ذلك : إذا اعتقد الناس أن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الشخصية وجدوا المؤثر لمصلحته الشخصية مذنباً ، ولكنهم إذا لم يعتقدوا ذلك لم ينسبوا إليه ذنباً قط . ويشترط في نسبة الذنب إلى الفاعل أن يكون مدركاً لمسؤولياته حراً في اختياره وأن تكليفه متناسباً مع استطاعته .

الذهن

في الفرنسية Entendement

في الانكليزية Understanding

١ — الذهن في اللغة الفهم والعقل ، وفي اصطلاح الفلاسفة القدماء قوة للنفس معدة لاكتساب الآراء أي العلوم التصورية والتصديقية ، أو قوة نفسانية يحصل بها التمييز بين الأمور الحسنة والقيحة ، والصواب والخطأ ، أو قوة معدة لاكتساب التصورات والتصديقات ، أو قوة مهيئة لاكتساب العلوم . وقد يطلق الذهن ويراد به القوة المدركة مطلقاً سواء كانت النفس الانسانية أو آلة من آلات إدراكها .

٢ — ويطلق الذهن في الفلسفة الحديثة على قوة الإدراك من جهة ما هي مقابلة للاحساس . ومعنى ذلك أن الذهن هو العقل ، وقد يعبر عنه بالعقل قارة وبالنفس أخرى ، وإطلاق العقل على النفس جائز .

وقد يراد بالذهن قوة للنفس معدة لإدراك الأشياء الخارجية من غير أن يكون تمثلها مقيداً بصورها المادية المرتسمة في الدماغ . فإذا كان البدن علة طبيعية أو ظرفية للصور المرتسمة في النفس أطلق على هذه الصور اسم الاحساس أو الخيال ، وإذا كانت النفس ذاتها علة ما يتكون فيها من أفكار

أطلق عليها اسم الذهن . ويسمى وجود الصور في الذهن بالوجود الظلي ووجودها خارج الذهن بالوجود الحقيقي .

٣- ويطلق الذهن أيضاً على قوة الإدراك من جهة ماهي مقابلة للاحساس تارة وللعقل أخرى .

(آ) فالذهن عند (كانت) ملكة تنسق الاحساسات بواسطة المقولات إلا أن القوة المعدة لاكتساب المعرفة لا تقتصر على تهجّي الظواهر في ضوء وحدة تركيبية معينة لقراءتها من جهة ماهي تجارب حاصلة لها بل تحتاج إلى قوة أعلى من ذلك وهي قوة العقل . لذلك قيل ان الذهن ملكة القواعد ، وان العقل ملكة المبادي . ومعنى ذلك ان في كل معرفة شرطية عنصراً غير شرطي . وكل معرفة فهي إنما تبدأ بالاحساس ثم تنتقل منه إلى الذهن ، ثم تنتهي إلى العقل ، فكان الذهن إذن ملكة متوسطة بين العقل والاحساس .

(ب) والذهن عند (شوبنهاور) ملكة ربط التصورات الحدسية ببدأ السبب الكافي (Raison suffisante) أما العقل فهو قوة معدة لاكتساب المفاهيم المجردة وترتيبها وجمعها في الأحكام والاستدلالات .

(ج) وقد يطلق العقل على إدراك الأمور الأبدية أو الأمور المطلقة ويطلق الذهن على إدراك أمور التجربة . ومعنى ذلك أن للذهن حركات متتابعة في اكتساب التصورات وتأليف الأحكام والاستدلالات على حين أن العقل يدرك هذه الأشياء إدراكاً مباشراً بفعل واحد . ومعنى ذلك أيضاً أن الذهن استدلالي يبدأ بالمقدمات والفرضيات وينتهي إلى النتائج على حين أن العقل حسي يدرك المقدمات والنتائج إدراكاً كلياً مباشراً .

(د) ويرجع هذا التمييز بين الذهن والعقل إلى أفلاطون ، فقد فرق هذا الفيلسوف بين الحدس أي المعرفة المباشرة والعقل أي المعرفة الاستدلالية فالحدس في نظره يتناول الأمور العالية ، والعقل يتناول الأمور السافلة أي الأمور الحسية التي تتألف منها العلوم . وقد قلب (كانت) هذه العلاقة فجعل الحدس أدنى من العقل ، لأن الحدس عنده لا يدرك إلا المسائل الداخلة في إطار الزمان والمكان ، على حين أن العقل يتناول المسائل العالية أي المسائل الإلهية . أما (برغسون) فانه جعل الحدس أعلى من العقل على النحو الذي فعله أفلاطون لأن الحدس عنده يغور في باطن الوجود ، ويكشف عن المطلق على خلاف العقل لا يحول إلا في سطح الوجود ولا يعنى إلا بصنع الآلات وتركيبها .

(فائدة) الذهن في اللغة الفرنسية (Entendement) مشتق من السمع (Entendre) ، وهذا شبيه بقولنا في اللغة العربية سمع الكلام فهم معناه وسمع لعلامه أو إليه أو إلى حديثه أصغى وأنصت وسمع الدعاء ونحوه أطاع واستجاب .

الذوق

Goût	في الفرنسية
Taste	في الانكليزية
Gustus	في اللاتينية

الذوق حاسة تدرك بها الكلام من حلو ومالح ومر وحامض ، وآلته الأعصاب الحسية المنبثة في اللسان . وقد يوسع معناه فيطلق على كل تجربة تقول ذقت فلاناً وذقت ما عنده .

والذوق أيضاً قوة إدراكية لها اختصاص بادراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية وقد يطلق على ميل النفس إلى بعض الأشياء كتذوقها القراءة والأحاديث الجميلة ، ويرادفه حسن الإصغاء ، وشدة الانتباه ، وكثرة العطف .

وقد يطلق الذوق أيضاً على القوة المهيئة للعلوم من حيث كمالها في الإدراك بحسب الفطرة ، أو على حذق النفس في تقدير القيم الخلقية والفنية كقدرتها على إدراك المعاني الخفية في العلاقات الإنسانية ، أو قدرتها على تذوق الشعر والأدب والموسيقى ، وتسمى القدرة على تذوق الفن طبعاً ، تقول فلان مرهف الذوق أي رقيق الطبع .

وقد يراد بالذوق الذوق السليم مطلقاً وهو الحكم على الأشياء حكماً صادقاً ودقيقاً .

والذوق في اصطلاحات الصوفية نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره (الجرجاني) .

محميل صليبا



« كلمات » من المغرب الأقصى

- ٢ -

ساقه ومقدم

لا تعجب حينما تسمع أخاك العربي في المغرب الأقصى يحدثك عن قوم زاروه فدخلوا عليه « ساقه ومقدم » . فهو بتعبيره هذا يوحى بما رسب في لهجته من كلمات فصيحة كانت في الأصل تعبيراً عن الجيش العربي الحماسي الذي يضم الجناح الأيمن ، والجناح الأيسر ، والقلب ، والمقدمة ، والساقه ، حتى قيل فيه الحميس على لسان أبي تمام :

والعلم في شهب الأرماع لامعة بين الحميسين لا في السبعة الشهب
فبارة « ساقه ومقدم » تعني في التعبير المغربي ما تعنيه عبارة « القرض والقضيض » . والتعبير المغربي يجري على ألسنة الرجال والنساء مجرى الأمثال والكنائيات .

الرمان السقري

من الأمثال المغربية : « إذا جعت كل الرمان ، وإذا شبت كل الرمان » لأنه في كلتا الحالتين لذيد شهى ، ولكن المختار الممتاز من ضروبه هو الرمان السقري ؛ ولهذا النسبة قصة يرويها لنا المؤرخون وأبو العباس المقرئ صاحب نفح الطيب في مقدمتهم :

(١) انظر نفح الطيب ج ١ ص ٢١٧ الطبعة الأزهرية . وانظر دوزي ج ١ ص ٦٥٨ ،

م (٩)

فالرمان السَّقْرِي منسوب إلى سَقَر بن عبد الله وكان من أصحاب عبد الرحمن الأموي الملقب بالداخل . بعثه بطائفة من لطائف الأندلس إلى أخته التي بقيت بالشام . فلم يكن من هذه الأميرة الأموية إلا أن بعثت لأخيها أمير قرطبة بطرائف فواكه الشام وفيها الرمان . وقد اغترسه سفر في الأندلس وتعهده وعنه أخذه الناس . وإليه نسبه .

ومن الأندلس انتقل إلى المغرب وما زال معروفاً ومشهوراً بهذا الاسم .

دار السلوان

في الاحتفال بالعرس نجد إلى جانب دار العرس داراً أخرى يجتمع فيها أصدقاء العروس ويجلس بينهم آمرأً ناهياً متخذاً الأعوان الذين يسمون في تلبية رغباته وقضاء مهاته ! وتسمى هذه الدار في العرف المغربي دار السلوان . وفيها يقضي العروس مع أصدقائه ساعات وأياماً لا تبلى جنتها ولا تذوى زهرتها .

أسود جَنَوِي

كان أكثر الرقيق في عصور المغرب التاريخية يأتي من إفريقية الغربية التي كانوا يسمون أجزاء كبرى منها باسم : غانة ، ولذلك صاروا ينسبون كل أسود اللون إلى غانة ، وتصرفوا في هذه النسبة وفي جمعها فسموا المفرد (عبد جَنَوِي) والجمع (عبيد چناوة) .

واسم (چناوة) ما زال إلى الآن مستعملاً في المغرب ويراد به جماعة من السود لها (فن) خاص في الرقص والفناء والطرب .

يخلل ويقدّس

تسمع المرأة والرجل يتحدث كل منها عن متاعبه في هذه الحياة والمشقات التي يعانها فيقول :

« ما زلت أُخلِّلُ وأُقَدِّس » والفاعلان معاً مشتقان من اسم (ذات) .
وذلك ان المغاربة في عصورهم المختلفة كانوا مولعين بالأسفار والرحلات وأداء مناسك الحج ؛ وكان كثير منهم يزور قبر (الخليل) ابراهيم عليه السلام . كما يزور مدينة القدس لمشاهدة المسجد الأقصى . وهو لا يتمكن من ذلك إلا بعد مشاق وأتاعاب الطريق فاذا رجع إلى بلاده صار يعبر عن كل تعب لحقه أو كل هول خاضه بقوله : (أخلل وأقدس) . وما زال التعبير حياً إلى الآن .

بسيط الاصبهان

عندما يسمع المغربي نغمات الموسيقى المغربية التي تسمى (الموسيقى الأندلسية) يفعل لها إن كان ذا حاسة فنية تفرق بين الأوزان المختلفة ، حتى إذا سمع (بسيط الاصبهان) قال : بسيط الاصبهان ، به تسبح ملائكة الرحمن ! ونسبة هذا الميزان إلى مدينة اصبهان أو إلى أبي الفرج الاصبهاني صاحب الأغاني ، أو إلى شخص آخر عند صاحب الأغاني واضحة لا غبار عليها . ثم تطور هذا الاستعمال المغربي لكلمة (اصبهان) فصار علماء على كل أصوات ترتفع فيقول الأب لأبنائه إذا أحدثوا صياحاً في البيت : (ما هذا الاصبهان ؟) .

وليس (الأصبهان) هو الراسب الوحيد في اللهجة المغربية من أسماء أوزان الموسيقى ، فهناك وزن آخر يسمى (العشاق) ومن المعتاد أن يستعمل في الصباح . فاذا «زل» أهل الموسيقى واستعملوه في العشية نبتهم من يحفظ المثل المغربي الشهير :

(القضية عكسية ؟ «العشاق» في العشية !) .

العُمَرِيَّة

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سريع الرضا سريع الغضب وكان صارم حق لا يكل . وقد اشتهر بهذه الصفة حتى نسبت إليه . فاذا كان هناك شخص فيه شيء من هذه الصفة نسب إلى عمر ف قيل فيه : فلان عُمَرِي أي قوي صريح سريع الرضا سريع الغضب في الحق . وما زالت هذه الصفة مشتهرة بين الناس فيقال :

فلان عُمَرِي ، أو فيه عُمَرِيَّة ، أو ما هذه العُمَرِيَّة ؟

المردية

الأمرد والجمع مُرد معروف .

والمردية في اللهجة المغربية تعني الأخلاق والصفات التي اشتهر بها أولئك المرد من السخافة والمزاح . فاذا تعجبوا من سخافة إنسان وكثرة مزاحه الخارج عن المعتاد قالوا له : « ما هذه المردية » . غير أنهم يفتحون الميم عوض ضمها .

مغلوق ومفتوح

في الألوان نجد توليدات غريبة يكثر فيها المضاف والمنسوب في اللهجة المغربية :

قلب الحجر = أطلس رمادي

شمس المشب	=	أحمر فيه صفرة
قلب الزهرة	=	ضعيف الخضرة
قلب الحموضة	=	أصفر فاتر الحمرة
شعر الجمال	=	بين الحمرة والكدره
عسلي	=	لون الحديس
عسلي	=	لون العسل
خوخي	=	لون الخوخ
كموني	=	لون الكمون
زيتي	=	لون الزيت

أما الألوان البسيطة فيزيدون لها أحياناً وصفاً آخر فيقولون : أحمر مفتوح ، أخضر مغلوق ، وهكذا .

وقد رأيت أبا العباس التيفاني يستعمل كلمتين : « مفتوح » و « مغلوق » في ألوان المعادن والأحجار التي ذكرها في كتابه : « أزهار الأفكار في جواهر الأحجار » الذي تحدثت عنه في الجزء الأول من المجلد التاسع والثلاثين من مجلة المجمع .

فلاستعمال إذن قديم . وقد رسب في اللهجة المغربية منذ قرون .

ذَهَبٌ وَذُهْبَانٌ

لا نكاد نستعمل لكلمة ذهب جمعاً ، مع أن المعاجم احتفظت له بجمع هي : أذهاب ، وذهوب ، وذهبان . واحتفظت اللهجة المغربية بجمعه على ذهبان . ويقولون في المثل : « الذهب يبحث عن الذهبان ! » ويريدون بذلك أن الثري يبحث عن مصاهرة الأثرياء .

وما زالت بفاس طريق شيرة تسمى إلى الآن « سويقة الذهبان » ،

مطرح الجِلَّة

هناك جانب من المقبرة العمومية في مدينة فاس يسمى «مطرح الجِلَّة»،
والجِلَّة مفردهما جليل والمطرح اسم مكان من طرح .
وسمي هذا الجانب بهذا الاسم الخاص نظراً لكونه مدفن أهل الفضل
والعلم منذ أجيال وقد صوّفت الألسنة هذا الاسم تصحيفاً جميلاً وصارت تقول
في غدوها ورواحها ! «مطرح الجِنَّة» بالنون . وهذا تصحيف مبارك
يباركه الأحياء والأموات !

طَاقَ مَا حَمَلَ

برغم أن المعاجم اللغوية احتفظت لنا بالفعلين طَاقَ الشيء ، وأطاقه
فاننا لا نكاد نستعمل في فصيح التعبير إلا الرباعي ، حيث ليظن أحياناً
أن الثلاثي مهجور !
واللهجة المغربية لا تستعمل إلا الثلاثي فيقولون في التعبير عن إناء مليء
بشيء : «طاق ما حمل» .
والأمثال المغربية فيها من الفصاح ما تقر به أعين الغُيَّر على لغة الضاد ،
فمسي أن تتمكن من فتح ملفها الضخم لنشر ما طوته الأيام .

فاس (المغرب الأقصى)

عبد القادر زمام



تائية دعبل الثانية

عثر أستاذنا الدكتور إبراهيم الكيلاني في المجلدة الثانية من موسوعة أبي حيان التوحيدي (البصائر والذخائر) التي يتولى وحده نشرها في دمشق ، على تائية دعبل الثانية التي لم يصل إلينا منها سوى سبعة عشر بيتاً ؛ فأقبل يحدثني عنها في تواضع جم ، وقال : إنه يريد أن ألحقها بشعر الشاعر الذي صنعه منذ سنتين ، وتولى المجمع العلمي العربي بدمشق إخراجها (١) .

وقد ذكرت ما كنت كتبه في مقدمة هذا الشعر فاسترحت إليه . قلت في المقدمة : «وما نشك أن الأيام المقبلة قد تغير من صورة هذا الشعر قليلاً ، فتتفي بعضه ، وتفصل في نسبة بعض المختلف عليه ، وتحوّل بعضه من قسم إلى قسم ؛ فإن من طبيعة هذا العمل أن يكون متحركاً لا يسكن أبداً . وكذلك نعتقد أن شعراً صحيحاً . — قد يكون كثيراً — سيزاد على القسم الأول ، مع البحث والالتفات الدائم إلى العمل ؛ فإن مثله لا يتم بعمر الفرد . وأقصى ما يتاح لنا الآن أن نكون النواة التي يجتمع من حولها شعر لم يتيسر لنا الاطلاع عليه . ثم قد يتها لنا في الأيام المقبلة أن نرى وجوه الصواب في ما عمي علينا اليوم ، فنصحح كثيراً من وجوه التصحيف والتحريف ، ونعيد النظر في بعض الروايات التي اخترناها » .

(١) شعر دعبل بن علي الحزامي - مطبوعات المجمع العلمي العربي لسنة ١٩٦٤ .

ولم يلبث الدكتور الكيلاني أن قدّم إلى صورة القصيدة ، نقلها من مخطوطة مكتبة رامبور ؛ وهي تملأ الورقتين ٣٨٤ و ٣٨٥ من المجلدة الثانية من كتاب (البصائر والذخائر) ، وعدتها أربعة وثلاثون بيتاً . فلما قررتها بما في (شعر دعبل) (١) منها وجدتها تزيد عليه سبعة عشر بيتاً (٢) . على أن بيتاً واحداً سقط منها ، وجدته في (شعر دعبل) ولم أجده في المخطوطة . فبكذا بلغت القصيدة خمسة وثلاثين بيتاً ، وهي عدّة أبيات القصيدة في أكثر الشعر العربي ، لدى أكثر شعرائه ، على الأغلب . فإذا ذكرنا أن عدد أبيات التائية الأولى الكبيرة التي قلها دعبل في آل البيت ، ونقل ياقوت ماصحاً له منها في معجم الأدباء ، بلغ ما لا يزيد كثيراً على تائيته هذه التي ضمّنها الفخر والحكمة ، فقد يرجح لدينا أن تكون هذه القصيدة تامة في أيدينا اليوم ، أو هي قريبة من التمام .

وقد رأيت أن أعيد نشرها في صورتها الجديدة ، وأضعها موضعها من (شعر دعبل) الذي نشرته ، حتى تضم إلى الكتاب فتقع في موقعها منه ، ويصحح بها موضع بيتين آخرين كانا انفرطاً عن القصيدة في المصادر التي كنت رجعت إليها في صنعة الشعر (انظر : النص ٤٣ في الصفحة ٨٠ من شعر دعبل ، والنص ١١٤ في الصفحة ١٢٥ . وقد ضم كلاهما إلى القصيدة ؛ وينبغي أن يلفيا في موضعيهما من الشعر) .

(١) النص ٤٢ في الصفحة ٧٨ .

(٢) نذكر أن بيتين آخرين انفرطاً عن القصيدة في المصادر الداخلة ووقفاً في نصين متباينين (من شعر دعبل) ؛ فتكون الزيادة في القصيدة إذن خمسة عشر بيتاً . انظر : النصين ٤٣ في الصفحة ٨٠ ، و ١١٤ في الصفحة ١٢٥ من (شعر دعبل) .

وهذه هي الصورة الجديدة للقصيدة مع تخريجها وشرحها :

★ ★ ★

- ٤٢ -

التخريج : البصائر والذخائر ٢ / الورقة ٣٨٤ - ٨٥ (عدا ٣٤) .
والآيات (١ - ٢ ، ٥ ، ٧ - ٨ ، ١٠ - ١٢ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٨ - ٢٩ ،
٣٢ - ٣٥) في ذيل الأمالي ١١١ . والآيات (٥ ، ٨ ، ١٠ - ١٢ ، ٣٢ -
٣٣ ، ٣٥) في الكامل ١ / ٣٥٤ والدر الفريد ١ / ورقة ٣٦٥ (الخامس
والثلاثون وحده في المتن) . والآيات (٣٢ - ٣٣ ، ٣٥) في الموشح ٣٨٠ -
٨١ والعمدة ١ / ٦١ . والبيتان (٢٨ و ٣٠) في محاضرات الأدباء ١ / ٣٥٣ ؛
والبيتان (٣٢ - ٣٣) فيه أيضاً ١ / ١٧٨ . والأخير في الأشباه والنظائر ١ / ٢٢٥
والعقد الفريد ٥ / ٣١٧ . والعاشر في شرح المقامات ١ / ٢٥٠ . والسابع
والعشرون في الكامل ٢ / ٨٨٧ والكوكب الثاقب ورقة ٥٤ ظ . والرابع
والعشرون في محاضرات الأدباء ١ / ٣٥٩ . (وحرفت الكلمة الأخيرة فيه
فوردت « معسوري » بدلاً من « معسرتي ») . ونسبت الآيات (٣٢ - ٣٣ ،
٣٥) توهماً إلى غير دعلب في أمالي المرتضى ٢ / ٢٧٠ .

[قال في الفخر والحكمة] :

— من البسيط —

- ١ — إذا غزونا فمعزانا بأفقرة
 - ٢ — هيات هيات بين المنزلين لقد
 - ٣ — حلت محلاً بقطر الأرض منتبذاً
 - ٤ — فما ينال بها الهيمان موده
 - ٥ — أحبيت أهلي ، ولم أظلم مجبهم
 - ٦ — أحمي حمام ، وأرمي في معارضهم
- وأهل سمي بسيف البحر من (جرت)
أنضيت شوقي ، وقد أبعدت ملتفتي
تقصّر الريح عنه كلما جرت
إلا بنص وجذب العيس بالبرة
قالوا : تعصبت جهلاً ، قول ذي بهت
وأستقلهم إذا ما رجلهم هوت

(١) سيف البحر : ساحله . وفي مخطوطة البصائر : (خرت) ، وهو تصحيف .
وفيه أيضاً : (انقرت) بفتح التاء ، وقد وردت فيه التاءات في القوافي
مبسوطة كلها ، فذكرناها هنا ؛ وسنعدّي عن ذكرها بعد .

(٢) إنضاء الشوق : إضاعفه ، كناية عن كثرة البكاء . وفي مخطوطة البصائر :
(أنضبت) ، ولعله تصحيف .

(٤) الهيمان : العطشان ، والجمع : هيام . ونصّ الناقة : استحثها استحثاً شديداً .
والبرة : حلقة تجعل في أنف البعير ، من برى .

(٥) البهت والبهتان : الكذب . والصدر في بعض المصادر : (أحبت قومي لم
أعدل مجبهم) .

(٦) استقاله : طلب إليه إقالته ، أي : إنهاضه من عثرته . ولا موضع للجزم في
(استقلهم) ولا معنى لها هنا ، فلعل الصحيح : (وأستقبل) .

- ٧ — لهم لساني بتعريظي ومُمتدحي نعم ! وقلبي وما تحويه مقدرتي
 ٨ — دعني أصل رحي إن كنت قاطعها لا بدّ للرحم الدنيا من الصلة
 ٩ — لولا العشائر ما رجيت عارفة ولا لحقت على الأيام من ترة
 ١٠ — فاحفظ عشيرتك الأدينين؛ إن لهم حقاً يفرق بين الزوج والمرة
 ١١ — قومي بنو حمير والأسد أسرهم وآل كندة والأحياء من (علة)
 ١٢ — ثبتت الحلوم؛ فإن سدت حفاتهم سلوا السيوف فأردوا كل ذي عنت
 ١٣ — هم أثبت الناس أقداماً إذا بُغِتوا وقلها ثبتت الأقدام في البغت

(٨) الدنيا : القرية ، والمذكر : أدنى .

(٩) العارفة : المعروف والعطية والخير والإحسان ، والجمع : عوارف . والتيرة :
 الثأر ، من : وتر . وفي مخطوطة البصائر : (العشائر) ؛ وقد جرى على تخفيف
 الهمز دائماً ، فذكرناه هنا ؛ ولن نذكره بعد .

(١٠) جعل الشريشي البيت شاهداً على استفعال (المرة) ، وهو — في الأصل —
 تسهيل الهمز من (المرأة) : (مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق م ٤ ص ١٣٦) .
 (١١) في بعض المصادر : (مذحج) . وفي أكثرها : (الأزد) ، والسين لغة فيها .
 وفي بعضها : (إخوتهم) .

(١٢) الحلوم : العقول ، ومفردهما : حلیم . والحفيظة : الغضب . لظلم يقع . والعنت :
 الإثم . وفي اللر : (وإن) .

- ١٤- كم نَفْسُوا كَرْبَ مَكْرُوبٍ، وكم صَبَرُوا عَلَى الشَّدَائِدِ مِنْ لَأْوَاءٍ فَانْجَلَتْ !
 ١٥- كم عَيْنِ ذِي حَوْلٍ فَقَّاتُ نَاطِرَهَا! وكم قَطَعْتُ لِأَهْلِ الْغُلِّ مِنْ حِمَّةٍ !
 ١٦- كم مِنْ عَدُوٍّ تَحَامَانِي وَقَدْ نَشِيبَتْ فِيهِ الْمَخَالِبُ يَعْدُو عَدُوَّ مُنْفَاتٍ !
 ١٧- لَوْ عَاشَ كَبْشَاتِمِيمُ ثُمَّتَ اسْتَمَعَا شَعْرِي لَمَاتَا، وَمَاتَ الْوَعْدُ ذَوِ الرُّمَةِ
 (ورقة ٣٨٥ من مخطوطة البصائر والذخائر)

- ١٨- فَصَارَ بِالْعُدُوِّ الْقُصُوصُ ، مَوْرَقُهُ خَوْفِي، فَبَاتَ وَجَاشَ الْقَلْبُ لَمْ يَبْتَ
 ١٩- تَقَدَّمَتْهُ بَنَاتُ الْقَلْبِ طَائِرَةٌ خَوْفًا لِضَنْغَمِ أَبِي شِبْلَيْنِ مُنْهَرَّتِ
 ٢٠- كَاللَيْثِ، لَوْ أَزَمَ اللَّيْثُ الْهَاصُورُ بِهِ مَا غَضَّ طَرْفًا وَلَمْ يَجْزَعْ وَلَمْ يَصُتْ

(١٤) اللأواء : الشدة والضيق .

(١٥) الحِوَال : الاحتيال والقدرة . والغل : الحقد . وإبرة العقرب ونحوها ، من : حمى .

(١٦) في مخطوطة البصائر : (يعدوا) .

(١٧) كبشَاتِمِيم : جرير والفرزدق . وهما - مع ذي الرمة - من مضر التي يعاديهما الشاعر ، لئانيته .

(١٨) العدو : المكان المتباعد .

(١٩) الضَنْغَم : العض ، ومنه سمي الأسد ضيغما . والمنهرت : واسع الشدق . وفي مخطوطة البصائر : (حوفا) .

(٢٠) الأزَم : أشد العض بالضم كله أو بالأنساب ، وفعله أَزَمَ يَأْزِمُ ، ويتمدى بنفسه أو بالحرف (الاسان) . وصات : صَوَّتَ .

- ٢١- نفسي تُنافسني في كلِّ مكرُمةٍ إلى المعالي ، ولو خالفْتُها أَبَتِ
 ٢٢- كم قد وطئتُ على أحشاءٍ مُتَعَبَةٍ للنفس ، كانت طريقَ اللَّينِ والدَّعةِ
 ٢٣- وكم زحمتُ طريقَ الموتِ مُعْتَرِضاً بالسيفِ صَلَواتاً فأداني إلى السَّعةِ
 ٢٤- والجُودُ يعلمُ أني منذ عاهدَني ماخنتُهُ وقتَ ميسوري ومَعسِرتي
 ٢٥- والضيْفُ يعلمُ أني حينَ يطرُقُني ماضي الجنانِ ، على كَفِّي ومقديرتي
 ٢٦- أهوى هَواه ، ويهوى ما أُسرُّ به ينال ما يَشتهي والنفسُ ما اشتَهتِ
 ٢٧- ما يرحلُ الضيفُ عني غِبَّ ليلتيه إلا بزادٍ وتَشْييعٍ ومَعذرةٍ
 ٢٨- قالَ العواذلُ: أودى المالُ ، قلتُ لهم : ما بين أنجرٍ ألقاهُ ومَحْمَدَةٍ
 ٢٩- أَفسدتُ ما لَكَ ، قلتُ: المالُ يُفسدني إذا تَجَلَّتْ به ، والجُودُ مَصْلَحَتِي

(٢٣) الصَّلَتُ : السيفُ المجرَّدُ من غمده . وفي غير مخطوطة البصائر : (ضيقاً) ، وهو تحريف . وفي بعض المصادر : (فأدنانِي) .

(٢٥) الجنان : القلب . ولعله يريد بالكف : الكفاف ، وهو القوت الذي لا فضل فيه . ولا نقص .

(٢٧) في الكامل والكوكب : (... عندي بمد تكربة - إلا برفد) .
 (٢٨) في أكثر المصادر غير مخطوطة البصائر : (وفخر لي) بدل : (ألقاه) . وفي المحاضرات : نعم .

(٢٩) في غير مخطوطة البصائر : (المال) بدل (الجود) ، وهو وهم .

- ٣٠- أرزاقُ ربي لأقوامٍ يُقدِّرها من حيثُ شاء ، فيُجريهم في هبتي
 ٣١- فليشكروا الله ، ما سُكري بزائدٍهم وليحمدوه ، فإنَّ الحمد ذومِقة
 ٣٢- لا تعرضنْ بمزحٍ لامرئٍ سفيهٍ : ما راضهُ قلبُهُ أجراهُ في الشِّفةِ
 ٣٣- فربُّ قافيةٍ بالمزحِ جاريةٍ مشبوبةٍ ، لم تُردِّ إنماءها ، نمتِ
 ٣٤- ردُّ السُّلَى مُستتمًّا بعدَ قَطْعتهِ كردُّ قافيةٍ مِنْ بعدِ ما مضتِ
 ٣٥- إني إذا قلتُ بيتاً ماتَ قائلُهُ ومنَ يُقالُ له ، والبيتُ لم يمتِ
 في النصف الثاني من حياته

الدكتور عبد الكريم الانساري



- (٣٠) في مخطوطة البصائر : (شيت) بدل (حيث) ، ولعله وهم . وفي غيرها : (رب) و (هبة) ، والمعنى في رواية البصائر أبين .
 (٣١) المقة : المحبة ، من : ومق . وفي مخطوطة البصائر : (فليشكروا الله) .
 (٣٢) في غير مخطوطة البصائر : (طين) أو (فطن) ، ويضطرب بها معنى البيت . وفي أمالي المرتضى : (الثبت) . وفي مخطوطة البصائر : (لمزح) .
 (٣٣) في العمدة : (في محفل) بدل (مشبوبة) ، وفي مخطوطة البصائر : (مشروبة) ، ولعل فيها تحريفاً . وفي غير المحاضرات : (مشؤومة) ، وأغلب الظن أنها محرفة أيضاً . وفي أكثر المصادر غير مخطوطة البصائر : (لم يرد إغناؤها) .
 (٣٤) السُّلَى : المشيمة ، وهي الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد . ويكون ذلك للناس والخيول والإبل .

مدرسة سالرنو الطبية

- ١ -

إن ماضي أمتنا العربية زاخر بكنوز العلم غني بمجواهر العرفان ، وإن أثمن جوهرة في هذه الكنوز « الطب العربي » كان له الأثر الأعظم في الطب عند الغربيين في العصر الوسيط . وقد استمر هذا التأثير حتى القرن الثامن عشر للميلاد . قال « دي فو » : (إن الميراث الذي تركه اليونان في الطب لم يحسن الرومان القيام به ، أما العرب فقد أتقنوه وعملوا على تحسينه وإنمائه حتى سلموه إلى العصور الحديثة) .

وقال « جورج سارطون » : (لو لم تنقل إلينا كنوز الحكمة اليونانية ؛ ولولا إضافات العرب الهامة لتوقف سير المدنية عدة قرون) .

وقالت الدكتورة « زيفرد هونكه » : (إنه لم يكن لأي قوم من الأقاليم وفي أية بقعة من بقاع الأرض أطباء أكفيا كما كان عند العرب) . قلنا إن الطب العربي انتقل إلى الغرب ، ونضيف أنه دلف إليه في انتقاله من ثلاثة طرق هي :

(١) الأندلس . (٢) صقلية . (٣) الحروب الصليبية .

وإن من ثمار هذا الاتصال - بين الطب العربي وجامعات الغرب وشعوبه - « مدرسة سالرنو الطبية » التي كانت بمثابة نقطة تجمع المعارف الطبية العربية ونقطة انطلاق لها أيضاً ، لأنها شملت مع مرور الزمن معظم جامعات الغرب في العصر الوسيط .

قالت المستشرقة الألمانية الشهيرة « زيفرد هونكه » : (لقد غمرت مدرسة سالرنو ، علوم العرب في التطبيب والداواة في سيل عرم ثم ما لبث

هذا السيل العرم من علم العرب أن قاض عن سالرنو وامتد إلى شواطئ أوربة وخليجاتها ومدنها فغمرها وأحال الصحراء جنة من نباتات الفكر الوارفة تنفياً ظلالها الإنسانية جمعاء .

فلأهمية العظمى التي استازت بها مدرسة سالرنو الطبية من الوجهة الحضارية والتأريخية وخاصة من حيث تراثنا العربي الغالي ، واستجابةً للحافز العلمي الذي دفعني للتنقيب عن الأسس التي أقامت عليها هذه المدرسة بنيانها ، وتلبيةً للدوافع القومية الهادفة إلى التعرف على مدى إسهام العرب والعلم العربي في علوم مدرسة سالرنو الطبية في القرون الوسطى أقول من أجل هذه العوامل مجتمعة أقدمت على كتابة هذا البحث .

مدينة سالرنو Salerno

إن أسلوب البحث العلمي يتطلب منا - قبل الخوض في الحديث عن مدرسة سالرنو الطبية - أن نتطرق إلى الحديث عن مدينة « سالرنو » التي احتضنت المدرسة المذكورة .

تسمى « سالرنو » بالفرنسية « سالرن »^(١) ، « Salerne » وباللاتينية « سالرنوم »^(٢) ، وأطلق عليها الرومان قديماً اسم « سالرم »^(٣) ، « Salerm » . تقع المدينة في رأس « خليج سالرنو » في البحر المتوسط على بعد (٣٠) ميلاً من مدينة نابولي من جنوب شرقها ، وتقع على نفس الخليج قرب سالرنو مدينة « إمالفي » وآثار بوستم .

(١) راجع دائرة معارف البستاني (للطبعة الأدبية بيروت سنة ١٨٧٧ م) .

(٢) المصدر السابق قس .

(٣) راجع دائرة المعارف البريطانية (ج ١٩ ، ص ٨٧٧) .

فمدرسة سالرنو أقدم مدرسة طبية في أوربة وأوّل جامعة درست الطب العربي واتبعت طرقه ووسائله العلاجية في الحياة العملية .

بقيت لسالرنو سمعتها ما دامت مدرستها في غو وازدهار ثم أصاب المدرسة التوقف فزال عنها رونق الشباب ودلفت نحو الكهولة والشيخوخة رويداً رويداً ، ومثل ذلك المدينة . وقد لفظت المدرسة أنفاسها الأخيرة بعد صراع طويل بين الحياة والموت ، وكان إغلاق أبوابها على يد نابليون بونابرت عام ١٨١١ (١) ، أما المدينة فكانت تجاهد بعد أن فقدت مدرستها قيمتها العلمية ، تجاهد من أجل البقاء فركنت إلى التجارة تستمد منها العون ، إلا أن نابولي التي نافستها بجامعتها نافستها كذلك بالمجالات الاقتصادية ، إذ أصبحت نابولي مبنائها من المدن الإيطالية الكبرى ذات التجارة الواسعة ، فسدت بذلك على سالرنو أبواب الرزق ، ومع ذلك بقيت تصارع الأحداث إلى أن قصفتها مدافع الحلفاء بقنابلها في الحرب العالمية (٢) الثانية ؛ وهي الآن من مدن إيطاليا الثانوية ، وليس فيها ما تفتخر به من تراث إلا ذكريات مدرستها الطبية وقبر البابا غريغوريوس السابع وما ينسب إليها من اختراع للبوصلة (٣) البحرية .

مدرسة سالرنو الطبية

رأيتُ من أجل الإحاطة بالموضوع من جميع جوانبه إحاطة تامة أن نرجع بالبحث إلى ما قبل تأسيس مدرسة سالرنو ، إلى العصور المظلمة لنرى كيف كانت حالة أوربة من وجهة النظر الثقافية منذ بداية القرن الخامس الميلادي .

(١) راجع دائرة المعارف البريطانية ج ١٩ ، ص ٨٧٧ .

(٢) لقد نسب اختراع البوصلة لأحد علماء سالرنو ولكن التاريخ الحضاري يؤكد أن العرب هم الذين اخترعوها .

م (١٠)

ثقافة الغرب قبل نشوء الجامعات

انطفأ مضباح العلم في أوربة بانقراض الرومان وسقوط امبراطوريتهم عام ٤٧٦ م وغلبة الأمم المتبربرة ، حيث قامت دويلات جرمانية حضارتها متأخرة ذات أنظمة قبلية بدائية ، فساد الجهل أوربة ، وأقفلت المدارس أبوابها فيها ، اللهم إلا بصيص نور خافت كان يومض منبعثاً من كوى بعض الكنائس ، فدعيت هذه الفترة الزمنية من قبل رجال التاريخ « بالمصور المظلمة » .

لقد اصطبغ التعليم في تلك الفترة وانطبع بالطابع الديني ، وعرفت العلوم التي كانت تدرس في مدارس تلك الحقبة من الزمن - وهي مدارس كنسية كما قلنا - أقول بأنها عرفت باسم « الفنون السبعة الحرة » وهي متكونة من مجموعتين الأولى ثلاثية ، شملت النحو والبلاغة والجدل ، والثانية رباعية ضمت الموسيقى والحساب والهندسة والفلك ، أما الدراسات (١) الدنيوية الحقيقية فقد اقتصرت على فنون الجدل بالخاصة . ولم يكن الطب من بين المواد التي كانت تدرس في مدارس تلك العصور المظلمة .

بقي الجهل والظلام يخنيان على أوربة حتى أصبحت في القرن التاسع تقف على آخر درجة من درجات التأخر الثقافي ، وقد أطلق على هذا العصر « العصر الميروفنجي » . ثم زال عنها شيء من الكابوس الذي كان غمياً عليها بظهور « شارلمان » حيث بدأت طلائع نهضة عرفت باسم « النهضة الكارولنجية » (٢) شملت الناحية الثقافية إضافة إلى النواحي الأخرى . فقد عمم شارلمان حيث بدأت طلائع نهضة عرفت باسم « النهضة الكارولنجية » (٢) ، شملت الناحية

(١) راجع Eyre. European civilization vol 3. p. 327

(٢) راجع Cam. med. hist. vol 5. p. 765

الثقافة إضافة إلى النواحي الأخرى . فقد عمم شارلمان المدارس والمكتبات ، وأحيا الدراسات الدينية والدنيوية والمخطوطات القديمة . وانتشر الطب العربي في عهده كذلك ، فقد ذهب آنذاك إلى أوربة بعض اليهود الذين تعلموا في المدارس العربية ودرسوا « الطب العربي » ، فانتخب شارلمان منهم رجلاً يقال له اسحق وأرسله إلى الرشيد مصحوباً ببعض الهدايا ؛ وبعد أربع سنين عاد اسحق مع ثلاثة من رجال الرشيد ومعهم (١) الهدايا ، ومنذ ذلك الحين بدأت أوربة تستنير بالثقافة العربية في شتى المجالات وخاصة الطب . وفي عهد شارلمان برزت مدارس الأديرة بتشجيعه ومعاونة رجال الدين فأصبح لكل دير مدرستان إحداها لأهل الدير من رجال الكهنوت والأخرى لأهالي المدينة وما يجاورها . ثم ساد أوربة الظلام ثانية بعد موت شارلمان عام ٨١٤ م واستمر حتى نهاية القرن العاشر تقريباً . وفي هذه الفترة قامت الأديرة « البندكتية » بعملية نشر الثقافة والتعليم فسمي هذا العصر « العصر البندكتي » . وفي أحد هذه الأديرة ترجم قسطنطين الإفريقي كتب الطب العربي إلى اللاتينية كما سنرى .

ثم جاء القرن الحادي عشر وتلاه القرن الثاني عشر اللذان يمثلان في حقيقة الأمر عصر ثورة شاملة في مرافق الحياة الأوربية . وخاصة من الناحية الثقافية والفكرية حيث اشتد الاتصال الفكري بين غرب أوربة والحضارة الإسلامية ، فتدفقت العلوم العربية وعلوم اليونان . المترجمة إلى العربية على أوربة- ، وأقبل الأوربيون بينهم على هذه العلوم الجديدة .

فإذا صح إطلاق تسمية « العصور المظلمة » على الشطر الأول من القرون الوسطى فإن الشطر الأخير من تلك القرون أي - القرن الحادي عشر فصاعداً -

(١) « راجع تاريخ الدولة الباسية لهنري م ١٢٣ » .

لا يصح أن تشمل تلك التسمية ، لأنه بداية عصر النور والنهضة . هذا وقد رأى بعض الكتاب أن يطلقوا اسم العصور الوسطى على المدة الواقعة بين القرنين الحادي عشر (٣) والخامس عشر للميلاد .

نور الجامعات في الغرب

رأينا كيف اتسع نطاق المعرفة في أوربة وكيف اشتد الإقبال على العلم منذ القرن الحادي عشر بحيث لم تعد المدارس القديمة تنفي بالغرض من نشر الثقافة الواسعة وبث الروح العلمية الجديدة . لذلك تجملت العوامل التي تدعو إلى مولد الجامعات . فولدت بعض الجامعات التي ما لبثت أن نمت وازدهرت ونضجت ثمارها فنشرت علومها ومعارفها في بقاع أخرى فتأسست نتيجة لذلك الجامعات الجديدة ، وهكذا استوقدت جامعات الغرب مصابيحها الواحدة من الأخرى في القرون الوسطى ، واستوقدت أقدم جامعة منها نورها - نسبة لعلوم الطب خاصة - من نور العرب كما سنرى .

قلنا بأن أوربة شهدت مولد الجامعات وذلك في مستهل القرن الثالث عشر ، إلا أن لفظ جامعة (Universitas) الذي انتشر في القرون الوسطى لم يكن يدل على ما نعرف الآن لهذا اللفظ من مدلول : فكان يدل في العصر الوسيط على « النقابة » أو « الرابطة » ؛ وقد أطلق على نقابات العمال وغيرها من نقابات . ثم تطور مدلول اللفظ في القرن الثاني عشر وبداية الثالث عشر حتى أصبح يدل على اتحادات المشتغلين بالعلم والتعليم من الطلاب والأساتذة . وأطلق في القرون الوسطى على ما نسميه اليوم بـ « جامعة » و « المدرسة العامة »

Studium generale بمعنى « المكان الذي يستقبل طلاب العلم » . وقد أصبح لفظ « مدرسة عامة » يعبر عن « الجامعة » في معناها الحديث شائعاً عند مستهل القرن الثالث عشر : ووجدت في هذه الفترة الزمنية ثلاثة مراكز علمية واسعة في أوربة . الأولى كانت في باريس واشتهرت باللاهوت والآداب . الثانية في بولونيا . بايطاليا واشتهرت بالقانون ، والثالثة في سالرنو واشتهرت (٦) بالطب .

والذي يعنينا من هذه الجامعات الثلاث « باريس ، بولونيا ، سالرنو » إنما هي جامعة سالرنو .

يتبع : (الموصل) الدكتور فيصل دبدوب



طُرر على معجم الأديباء

أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت

طبعة الأستاذ مرجليوث سنة ١٩٠٧ م

— ٣ —

(المجلد الأول)

- ٢٠٦ : ٩ خالفها في بيت نُوب وقد خرجنا الكلمة السمط ٩٩ ،
(١٠ / ١٩٨ : ٣) .
- ٢٠٦ : ١١ الصواب من الرسائل : (فاذا كان صائماً أفطر على شيء) .
(١٢ / ١٩٨ : ٣) .
- ٢٠٧ : ح (١) حُكَّيْهَا .
- ٢٠٧ : ١٦ البيت لصالح بن عبد القدوس السمط ١٠٥ ، (٤ / ٢٠١ : ٣)
- ٢٠٧ : ١٨ الصواب : يُضَيِّفُ أولاد ، الرسائل ، (٧ / ٢٠١ : ٣) .
- ٢٠٨ : ٨ ثعلبة بن صُعير المازني وكتبه مفضلية رقم ٢٤ ص ٢٦٢ .
- هَير هاتر الكلام القبيح ، (٩ / ٢٠٨ : ٣) .
- ٢٠٨ : ١٠ الصواب : لَدِ ظَأَرْتَهُمْ عَلَى . ظَأَرْتَهُمْ عَطَفْتَهُمْ .
(٠ / ٢٠٢ : ٣) .
- ٢٠٨ : ١٥ الرسائل : متناكر مؤثر جاءه عنه باسترسال .
وهو الصواب ، (١ / ٢٠٣ : ٣) .
- ٢٠٩ : ١ الرسائل : أخذنا منه للدنيا ، (٦ / ٢٠٣ : ٢) .

- ٢٠٩ : ٤ الصواب : أو صادفت نهلاً أو عللاً منها، (٣ : ٢٠٣ / ١١) .
- ٢٠٩ : ١١ الرسائل : ينبعث لأن يعلم أن هذه الخ ، (٣ : ٢٠٤ / ٧) .
- ٢٠٩ : ١٥ الصواب : وفي أمره متبيللين كما في الرسائل ، (٣ : ٢٠٤ / ١٣) .
- ٢٠٩ : ١٩ الصواب : من الثقيّة ، (٣ : ٢٠٥ / ٣) .
- ٢١٠ : ٣ الرسائل : كل ناطق وناطق من ذروة جبل من العلم ،
(٣ : ٢٠٥ / ٨) .
- ٢١٠ : ٧ الرسائل : من صغير وهو الصواب .
- ٢١٠ : ١٢ الصواب : من وعشاء السفر . الرسائل (٣ : ٢٠٦ / ٥) .
- ٢١١ : ١٧ الرسائل : الذين ذكرتهم هربت إليك وتطاوحت عليك ،
(٣ : ٢٠٧ / ١) .
- ٢١٣ : ٥ النُصبة العمود ، (٣ : ٢١٠ / ١٥) .
- ٢١٣ : ١١ الصواب : أن يشغل سِرّه ، (٣ : ٢١١ / ١٠) .
- ٢١٤ : ٣ الصواب : (فما كانت إلا شحناً بالمعاني) الرسائل .
- ٢١٤ : ٤ الصواب : بمصنّفاته . الرسائل ، ٣ : ٢١٢ / ١٣ .
- ٢١٤ : ١٨ الصواب : برّداً وطولاً .
- ٢١٥ : ١ نقل القفطي هذا الخبر في إنباء الرواة له قال والنسخة
كانت بخط ابن وداع [صاحب ثعلب] وهذه الطبعة من الديوان برواية ثعلب ،
(٣ : ٢١٤ / ٧) .
- ٢١٥ : ٢ الصواب : في سنة ٨٩ كما في الإنباء ، (٣ : ٢١٤ / ٨) .
- ٢١٥ : ١٨ سياقة أبي غالب تساوق سياقة المعري نفسه في اللزوم ١ :
٢٨٩ (كتابي ٢٤٠) :
- أت جامع يوم العروبة جامعا نقص على الشهاد بالمصر أمرها
الخ : (٣ : ٢١٦ / ٣) .

٢١٦ : ١ الماخور (معرب مَيَّ خُورٌ شارب الخمر فارسيّة) مجمع
الفساق والمربدين .

٢١٦ : ١٩ لعله غَزْوَان ، (٤ / ٢١٨ : ٣)

٢١٧ : ١ الصواب : من الطلبة بِشَنْتَمَرِيَّةَ ، (٥ / ٢١٨ : ٣) .

٢١٧ : ٢ الصواب : لمرو به . وعمرو بن عثمان : سيويه ،
(٦ / ٢١٨ : ٣) .

٢١٧ : ١٢ له ترجمة في البنية ١٤٠ .

٢١٨ : ١ انظر مطيح الأنفس الجواب ١٦ النفح مصر ١ : ١٧٧ ،
(٧ / ٢٢٠ : ٣) .

٢١٨ : ١١ أبو محمد . هو ابن حزم في رسالته في مفاخر الأندلسيين
(النفح مصر ٢ : ١٣٥) وفيه : (يكاد ينطق بلسان الخ) ، (٣ : ٢٢٢ / ٦٩٤)
٢١٨ : الصواب : يُنَبِّهِي .

٢١٩ : ٢ البيتان في المطمح وفيه كَلِيفَتُ بِالْحُبِّ ، (٤ / ٢٢٣ : ٣) .

٢١٩ : ٩ النفه . لعله الثقة ، (٣ / ٢٢٥ : ٣) .

٢٢٠ : ٦ الخطيب رقم ٢٠٠٩ ، (١ / ٢٢٦ : ٣) .

٢٢٠ : ١٠ الصواب : جزيت وفائي ، (٧ / ٢٢٦ : ٣) .

٢٢٠ : ١٥ الطوال كالغراب محمد بن أحمد صاحب الكسائي توفي
سنة ٢٤٣ هـ ، (٢ / ٢٢٩ : ٣) .

٢٢١ : ٤ ترجمة الخطيب ١٩٩٩ وتهذيب التهذيب ج ١ رقم ١٠٣ ،
(١ / ٢٢٨ : ٣) .

٢٢١ : ١٢ هذا المجلس رأيت في مجالس أبي مسلم نسختي النهار وكوبرول

ونسختي ص ٣٣ عن الأدباء في الأشباه ٣: ٢٣٥ وفيها (ارتفع بال باغما) وهو الصواب ، (٣٠: ٢٢٨ / ١٣) .

٢٢٢ : ٤ الصواب : ما لا ولم ، (٣: ٢٢٩ / ١٤) .

٢٢٣ : ١٧ الخطيب رقم ١٩٨٣ لسان الميزان ج ١ رقم ٦٨١ ،

(٣: ٢٣٢ / ١٢) .

٢٢٥ : ح ١ ليس عند الخطيب غير اليتين الاولين .

٢٢٥ : ٧ ديوانه ١ : ٢٢٥ وهي الطبعة التي كنى عنها المصحح بقوله

(طبعت ولم تشر) .

٢٢٦ : ١٧ الصواب : من الإقتار ، (٣: ٢٣٩ / ٥) .

٢٢٧ : ١ الآيات لا تتزن كما ترى .

٢٢٧ : ١٧ الصواب : عبد الله بن معاوية الجعفري . لا غير . ذيل

اللائي ٥٥ ، (٣: ٢٤٠ / ١٥) .

٢٢٧ : ١٨ الصواب : أبو عبد الله ، (٣: ٢٤١ / ١) .

٢٢٨ : ٤ الصواب : أنت تَفَضَّلُ (٣: ٢٤١ / ٩) .

٢٢٨ : ١٢ الصواب : والفضل التزير .

٢٢٨ : ١٨ تاريخ دمشق . لا يوجد في هذا المختار الطبع منه ،

(٣: ٢٤٣ / ٢) .

٢٢٩ : ٣ لمسل الصواب : عبد الله بن الجبّان لصانع الجبّين ،

(٣: ٢٤٣ / ٩) .

٢٣٢ : ١٤ كذا (في تلك إلى الفضائل من كل) ولا يخلو من خلل ،

(٣: ٢٥١ / ٢) .

٢٣٣ : ١٦ الصواب : فاغذوا .

- ٢٣٣ : ١٧ ترجم له الخطيب ٢١٢٥ قال وتوفي سنة ٤٠٥ هـ والتزهة
 ٢٣٣ وكناه أبا الحسين ولعله تصحيف قال وتوفي سنة ٤٥٠ هـ في خلافة القائم
 وفي المنتظم ج ٧ رقم ٤١٢ ، (٣ : ٢٥٤ / ٥) .
- ٢٣٥ : ١١ البيت في العيون الدار ١ : ٨٧ (٣ : ٢٥٧ / ٩) .
- ٢٣٦ : ٢ البيت لأبي خراش الهذلي وانظر السمط ٨٧ و ٦٠١ ،
 (٣ : ٢٥٨ / ٧) .
- ٢٣٦ : ١٢ الصواب : لا يرقاله .
- ٢٣٦ : ١٦ الصواب : عن ساكني الدار ، (٣ : ٢٥٩ / ١٤) .
- ٢٣٧ : ١ الصواب : بالجبل منكم ، (٣ : ٢٦٠ / ٧) .
- ٢٤١ : ١ الصواب : الصبائي .
- ٢٤١ : ١١ أبو القاسم هو ابن عساكر ١ : ٤١٠ ، (٣ : ٢٧٠ / ٧) .
- ٢٤٤ : ١٦ لعل الصواب يباهي ، (٤ : ١١ / ٦) .
- ٢٤٤ : ١٧ الصواب : أغر له .
- ٢٤٤ : ١٩ الصواب : في الإفراج عما .
- ٢٤٥ : ٣ الصواب : مَنْ جُنَّ من حُبِّكم .
- ٢٤٥ : ٥ فيه إلى أبي سعيد الصوفي شيخ الشيوخ ، (٤ : ١٧ / ٢) .
- ٢٤٧ : ٦ ابن عساكر ١ : ٣٩٨ . وطُرَيْث أو طُرَيْثَيْث قرية في
 رستاق نيسابور وهي في الأصل طُرَشِيز والطُرَيْثِي هذا هو أبو بكر أحمد
 ابن علي المسند الصوفي ويقال له ابن زهراء أيضاً فلا منافاة بين مافي الوفيات
 وبين ما هنا وله ترجمة في الشافعية ٣ : ١٦ ، (٤ : ١٧ / ٣) .
- ٢٤٨ : ١٨ الأسماء المهمة منه نسخة سنة ٥٨٦ بالكتبخانة السعيدية
 بحيدر آباد وأخرى بالفيضية استبول سنة ٥٧٦ هـ في ٢٠٢ ق رقم ٤٩٧ .
 ومن المتفق والمفترق الماشر في الفيضية ١٥١٥ في ١٨٣ ق (٤ : ٢٠ / ١٠) .
- ٢٤٩ : ١٠ الصواب : نعيم بن سحاذ ، (٤ : ٢٢ / ٢) .

- ٢٥٠ : ٩ المنتظم ٨ : ٢٦٧ وفيه ب ٣ يوماً قيادي وهو الصواب ،
(٤ : ٢٣ / ٣) .
- ٢٥١ : ٢ الأصل يشوي باغيّه أي طالبه والمعنى واللفظ من المتني :
أطلب العزّ في لظى وذر الذّ لّ ولو كان في جنان الخلود
(٤ : ٢٥ / ١) .
- ٤٥٢ : ٤ الصواب رأي .
- ٤٥٢ : ٨ قوله يعزها . لعله والله أعلم يغيّرها يخرجها للناس بل
الأقرب يُعيّرها من الماريّة ، (٤ : ٢٧ / ٨) .
- ٢٥٥ : ١٥ طبقات الشافعية ٣ : ١٣ في ترجمته :
يراها إذ رواها من حواها رياضاً للفتى اليقظ اللبيب
(٤ : ٣٤ / ١) .
- ٢٥٩ : ٨ الصواب : من غاور كابن عساكر .
- ٢٥٩ : ٩ الصواب : مخلصاً كابن عساكر .
- ٢٥٩ : ١٠ الصواب : وقام في الناس ، (٤ : ٤٣ / ١١) .
- ٢٦٠ : ٨ ترجمنا لأبراهيم الصولي بأول ديوانه (في الطرائف الأدبية
مصر سنة ١٩٣٧ م) ، (١ : ١٦٤ / ٩) .
- ٢٦٢ : ١٣ الصواب : ولج .
- ٢٦٤ : ١٤ الصواب : أن يلقّوه كما في الأغاني ، (١ : ١٧٣ / ٨) .
- ٢٦٥ : ٤ الصواب : أفرّق ، (١ : ١٧٤ / ٦) .
- ٢٦٦ : ١٨ مئذّلد . لنة في لدن ، (١ : ١٧٧ / ١٢) .
- ٢٦٨ : ٦ الديوان رقم ٩٢ فن دونها . . . ومن دونها . المرتضى
٢ : ١٦١ كما هنا ، (١ : ١٨٠ / ٦) .

أغلاط المنجد

- ٣ -

وفي ص ٣٦٦ يقول « غانم أبو سمرا ولد في بطاسين ، جندي لبناني خُسم في جيش الأمير بشير الشهابي » . ورأيتني أفكر ملياً لأدرك الحكمة من ذكره من غير أن يذكر له ميزة أو ينسب إليه حادثة ما على حين نراه أغفل ذكر الكثيرين من الأعلام الفحول .

وفي ص ٣٧١ يقول عند ذكر غطفان « اسم قبيلتي جزام وقيس عيلان ، قاتلوا محمداً في قرقرة القمر ثم في وقعة الخندق . الخ

وفي هذا النص العجب العجيب من الأخطاء والتلفيق . وتفنيد ذلك ، أن غطفان قبيلة مستقلة باسمها وهي حي من قيس عيلان . وقد انتسب لقيس عدة قبائل ، وهي عدنانية ، وأما جذام « بضم الجيم ثم ذال » لا جزام بالزاي ، فهي من اليمن أي قحطانية . وتزعم نسبة مضر أنهم من معد . وأما قوله قرقرة القمر فليس في ما بين أيدي الناس من مصادر موثوقة أو ضعيفة تقول ذلك إلا في هذه الرواية المفتراة ، فقد تعمّد مسح الكدر وبدلت بالقمر ، والكدر غزوة معروفة من غزوات النبي ﷺ ، فقد بلغه بعد غزوة بدر الكبرى ، اجتماع سُلَيْمٍ وغلطفان ، فلم يبق في المدينة إلا سبع ليال ، وخرج أول شوال من السنة الثانية للهجرة يريدون فبلغ ماءً من مياههم يقال له الكُدْر « بضم الكاف وسكون الراء » وأقام بديارهم في نجد نحو شهر ولم يلق كيداً ، وفي حديث عمر ، كنت زميله في غزوة قرقرة الكدر ، وتسمى كذلك غزوة ذي أمّر « بفتح أوله وثانية » .

وفي ص ٣٦١ يقول « عنزي قبيلة منهم ينتمون الى خزاعة ومنهم الى غسان يقيمون صيفهم في صحراء سوريا » أولاً قوله عنزي خطأ والصواب عنزة ثم قوله سوريا خطأ والصواب سورية ، ويبقى قوله ينتمون الى خزاعة خطأ فاحش وذلك أن خزاعة من الأزديين ، وصحبت خزاعة لأنهم لما ساروا مع قومهم من مأرب فاتوها الى مكة تخزعوا عنهم أي تخلفوا في مسيرهم ، وسار الآخرون الى الشام ، وأما غسان فهم كذلك من الأزديين تعاقدوا مع بعض أهلهم على ماء يسمى « غسان » فتسموا به وكلتا القبيلتين ، خزاعة وغسان ، قحطانية يمانية ، ولا قرابة بينها وبين عنزة ، وأما عنزة فهو أبو حي من ربيعة ، وهو عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، وهي قبيلة عدنانية ، ولا اختلاف في هذين النسبين .

والقبائل التي تنسب الى عنزة اليوم في سورية ، هم الرؤالة ، والبطينات والحسنة والفدعان والخرصة والأسبعة والهارات .

وفي ص ٣٨٣ عند ذكر فذك ، قال « كان سكانها من اليهود » أرسل النبي علياً لمحاربتهم ، تحريف وتشويه ، وذلك أن أمر فذك هو غزوة خيبر ذاتها ، « راجع التصويب في الرقم ١٨٣ » وقد بلغ يهود فذك ما وقع بأهل خيبر فبعثوا الى رسول الله ﷺ يصلحونه على النصف من فذك فقدمت عليه رسلهم بخيبر ، وقيل بالطريق ، وقيل بعدما قدم المدينة ، فقبل ذلك منهم ، فكانت فذك لرسول الله خالصة ، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب .

وفي ص ٣٩٤ عند ذكر فوقاً يقول « الملسوعون بالحيات يزورون كنيسه في انطاكية فيشفون » . وفي هذا البيان عدة أخطاء أولاً ، اللسع لما ضرب بمؤخره ، واللذع لما كان بالقم ، وعند ذكره كليونيرة في الصفحة ٤٠٠ قال عرضت نفسها للذعة حية ، كذلك خطأ والصواب اللذعة حية ، والمذع حرققة النار وقيل مس النار وحدثها وقوله انطاكية خطأ والصواب انطاكية .

وفي ص ٤١٥ عند ذكر قريزان فاطمة قال « شيخه الخاتقين العادلية والزجاجة انتهت إليها رئاسة أهل زمانها بحلب » . وما نعلم مدرسة بحلب أو غيرها تسمى خاتقة ، والصحيح خاتقاء ، وكان الصواب أن يقول الخاتقاهين ، والخاتقاء تعني مكاناً أو مقراً ينقطع فيه أهله للعبادة والدرس ، وقد نقلها مؤلف المنجد عن أعلام الزركلي الذي أثبتها خطأ .

وبما يوجب الأسف أننا نجد مؤلف المنجد استعان بنقل الكثير الكثير من أعلام الزركلي ، ولا ينوه بذكره أو بكتابه الأعلام ، مثلما نقل في قسم اللغة الكثير الكثير من معجم الألفاظ الزراعية دون ذكر مؤلفه الأمير مصطفى الشهابي .

وفي ص ٤٣٩ يقول ، « الكمكة بن عمرو بن مالك التميمي من مشاهير قواد العرب ... الخ وأسهرني التفتيش عن هذا العَلَم ، وفطنت بعد ذلك إلى البحث في الموسوعة الفرنجية . وإذا بي اجتمع إليه فيها وهو el kaka وإذا بسقم الترجمة مسخ القعقاع فكعكته لترجم وجعله الكمكة !!

وفي ص ٤٤٣ عند ذكر كليبر ، قال قتله أمين الحلبي ، خطأ والصواب ، سليمان الحلبي ابن محمد أمين .

وفي ص ٤٦٦ يقول ، « أبو لؤلؤة المجوسي من أهل نهاوند كان نقاشاً نجاراً حداداً شكا إلى عمر ثقل الخراج فنقم عليه الخليفة فقتله أبو لؤلؤة في المسجد ثم انتحر » . وفي هذا النص كثير من التجني على الحقيقة التاريخية ، فأبو لؤلؤة هذا ما كان مجوسياً بل كان نصرانياً ، وذلك برواية أوثق للتورخين الطبري ج ٥ ص ١٣ . وقوله نقم عليه الخليفة ، وما نعلم مصدراً أو مرجعاً من المراجع التاريخية قال بهذا الاقتراء . ولماذا ينقم الخليفة عليه وقد كان بوسعه أن يشفي نفسه منه بكلمة أو بإشارة حين تهدده أبو لؤلؤة

علناً بقوله : لأعملن لك رحي يتحدث بها من في الشرق والغرب ، أو هل ينقم عمر وهو بعد أن أدخل داره وهو ينزف وجعل الناس يدخلون عليه أفواجا فيسألهم أين ملأ منهم كان هذا ؟ فيقولون معاذ الله فيحمد الله على ذلك . لقد حيكث مؤامرة اغتيال عمر رضي الله عنه بتدبير كعب الأبحار اليهودي وأبي لؤلؤة وجفينة الأنباري النصرانيين والهرمزان المجوسي ، لقد كان من واجب مؤلف المنجد أن يرجع إلى الطبري ، أو إلى تاريخ الخلفاء الراشدين للأستاذ عبد الوهاب النجار من المؤرخين الثقات ، وقد عالج موضوع مقتل عمر بإسهاب ..

وفي ص ٤٧٥ يقول « يحيى بن مبارك بن المرة المقرئ المدوي اليزيدي » ، وبهذا البيان عدة أخطاء أولها الاسم وهو يحيى بن المبارك ويكنى أبا محمد ، ثم ابن المرة خطأ والصواب المرة ، ثم المقرئ بفتح الميم خطأ ، وهذا يعني المقروء أي ما قرئ والصواب بضم الميم ، ثم المدوي بفتح العين وسكون الدال خطأ والصواب بفتحها .

وفي ص ٤٩١ عند ذكر المرار بن سعيد قال « شاعر الدولة الأموية وكان لصاً » . وقد بحثنا عن ذلك في أغلب المظان فلم تقع على شيء مما رواه ، اللهم إلا أنه كان لصاً وكان شاعراً ولكنه لم يتصل بأحد من الأمويين . وقد ترجمه صاحب الأغاني ، وهو أموي صليبي ، فقال في ج ٩ ص ١٥١ من الأغاني : إنه من مخضرمي الدولتين . وقيل لم يدرك الدولة العباسية . ولقد يحار المرء كيف يقدم مؤلف كتاب ، أي كتاب ، على وضع رواية مثل هذه فيهب لصاً لقب شاعر الدولة الأموية وقد حفل عصرها بفحول الشعراء كالفرزدق وجريز والأخطل والراعي و... الخ

وفي ص ٤٩٢ يقول « مرواس بن ودية » ، خطأ والصواب مرواس ابن أديّة ، وهو أول من نادى يوم صفين لا حكم إلا الله وانسحب مع أخيه .

- وفي ص ٥٠٧ عند ذكر المقتدر بالله يقول ، « قرمط البحرين نقلوا إلى الحسا الحجرة السوداء في الكعبة » . فقوله قرمط خطأ والصواب القرامطة أو قرامطة البحرين . وقوله الحسا خطأ والصواب الأحساء . وقوله الحجرة السوداء خطأ والصواب الحجر الأسود أو الأسعد .

وفي ص ٥٥٤ يقول « هينانو » بكسر أوله ، خطأ والصواب بفتحها ، ثم يقول « من زعماء الحركة الوطنية السورية توفي في حلب ١٩٣٥ ودفن بالقرب من قبر المجاهد المجهول » . وفي هذا النص تبين على حقيقة الواقع ، وذلك ان المدفن قد اثنى خصيصاً لإبراهيم هنانو ، وقد دفن إلى جانبه سعد الله الجابري ، وأما قبر المجاهد المجهول فلا يزال ينتظر من يحل به من المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

هذا إلى أن المؤلف أغفل ذكر الثورة التي أعلنها وقادها إبراهيم هنانو بينما نجده في الصفحة ١٢١ عند ذكر الثورات يقول ، ثورة البيطرة وهي قرية في لبنان وثورة مكاريوس شاهين ، ثم لا يذكر ثورة سورية الكبرى ولا ثورات العراق وفلسطين ، ولا يأتي كذلك على ذكر ثورة الريف والأمير عبد الكريم الخطابي ولا عمر المختار بثورته بوجه الطليان وغيرها من الثورات التي قامت في وجه المستعمرين والتي هلك بسبيل التحرر فيها آلاف مؤلفة من العرب ...

- وفي ص ٥٨٦ يقول عند ذكر كاظم محمد « عالمجير نامه » ، خطأ والصواب عالمكير وتلفظ الكاف هنا فارسية . وقد وقعت أغلاط كثيرة في ضبط بعض الأعلام الفارسية والتركية مثل قوله جوق ألب وحقها أن تكتب كوك geuk ومعناها السماء وألب معناها القوي أو القوة . ومثل قوله غلبدن ينم ، وحقها أن تكتب كؤل gul - بدله ، ومعناها الجسم الوردي ، ثم يقيم بضم الغين خطأ والصواب بفتحها ومعناها من يأتيه الخبر بمن الغيب ، أي الموحى إليه .

ومثل كججي وحقها أن تكتب كچه جي الجيم الأولى فارسية بثلاث نقاط « ich » ولا يجوز الوصل بين الجيمين ، ومعناها البادي وما إلى ذلك من الأعلام الكثيرة التي أضع سقم الترجمة معناها .

وختاماً لهذه الدفعة ، من التنبيه والتصحيح وددت أن يطلع القارىء على المسخ والتشويه الذي نشأ عن سوء الترجمة والنقل مما أورده المؤلف في بعض الخرائط الجغرافية من الأعلام ولا سيما خريطة جزيرة العرب في ص ٣٤٤ : قال سباع ، خطأ والصواب السبعة أو الأسبعة بكسر الهمزة . (قبيلة) وقال عنزي ، خطأ والصواب عنزة .

وقال رويلة ، خطأ والصواب رؤولته أو اروالا .

وقال حتم ، خطأ والصواب هيم .

وقال حوشي ، خطأ والصواب حواشب أو الحواشب .

وقال عولقي ، خطأ والصواب عوالق أو العوالق .

وقال أهل مرة ، خطأ والصواب آل مرة .

وقال حمدان ، خطأ والصواب همدان بسكون الميم قبيلة بمانية .

وقال الديلم ، خطأ والصواب الدليم ، على التصغير .

وقال أبو طي ، خطأ والصواب أبو ظي بالطاء المعجمة .

وقال بوشهر ، خطأ والصواب بوشير .

وقال الصبية ، خطأ والصواب صبية .

وقال مناح ، خطأ والصواب مناح .

وقال سحار ، خطأ والصواب صحار بفتح أوله .

وقال شيام ، خطأ والصواب شام بفتح أوله .

وقال تربة ، خطأ والصواب طربة .

وقال جبل سمر ، خطأ والصواب جبل سمر بفتح أوله وثانيه المضعف .

وفي خريطة العراق :

يقول هور الحمار ، خطأ والصواب خور بفتح ثم سكون وهكذا جميع
الخورانات أو الخوارين الواردة في الخريطة . والخور مثل الغور :
المنخفض المظلم من الأرض بين النهرين .
وقال الرمادية ، خطأ والصواب الرمادي .
وقال في خريطة سورية : عين ديدار ، خطأ والصواب عين ديوار .
وقال القامشلية ، خطأ والصواب القامشلي .
وقال نهر بليخ ، خطأ والصواب البليخ .
وقال نهر ساجور ، خطأ والصواب الساجور .
وقال بحيرة عموق ، خطأ والصواب العمق بسكون الميم .
وقال الشياء ، خطأ والصواب شيا بلا تعريف ولا مد ، وهي غير
حلب الشياء بل هي بلدة في حوران .

منير السماري



التعريف والنقد

رسوم دار الخلافة

ألفه أبو الحسين هلال ابن المحسن الصابئ

وعني الأستاذ مخايل عواد بتحقيقه والتعليق عليه وشرحه

جمع هذا الكتاب ، كل ما يتعلق بدار الخلافة ، من آداب الخدمة ، وقوانين الحجابة ، ومسيرة الخلفاء ، في مواكبتهم ومجالسهم وملابسهم ومكاتبتهم وألقابهم ، وسائر عاداتهم وحالاتهم .

ومن رجع إلى هذا الكتاب ، رأى فيه صورة صادقة للعهد العباسي ، من حضارة رائعة ، إلى آداب اجتماعية ، وتقاليد مرعية ، كان يعد الخروج عنها والمخالفة لها ، حقة وسوء أدب ، قد يجران إلى معاقبة بالطرده من المجالس أحياناً ، وبالضرب والسجن أحياناً أخرى .

فمن تلك الآداب والعادات . أنه :

« ليس للوزير ، ولا حاضر في مجلس أمير المؤمنين ، أن يذكر شيئاً إلا ما يسأل عنه . أو يورد قولاً في أخبار أو مطالعة إلا ما استأذن فيه . وسبيله أن يخفض صوته في حديثه ومحاورته ، ولا يرفعه إلا بمقدار السماع الذي لا يحتاج معه إلى استفهام أو استعادة ... »

ومن ذلك :

« أن يقل الالتفات إلى جانبيه وورائه ، والتجريك ليده أو شيء من أعضائه . أو رفع رجل للاستراحة عند إعيائه . وأن يفيض طرفه عن

كل رأى إلا شخص الخليفة وحده . . . وأن لا يساراً أحداً في مجلسه ولا يشير إليه يده ولا عينيه . ولا يقرأ رقعة ولا كتاباً يوصلان إليه بين يديه ، إلا ما احتاج إلى قراءته عليه . وأن يجعل وقوفه في موضع رتبته ، اللهم إلا أن يدعو الخليفة إلى سر . . . وإذا خرج جعل خروجه تراجعاً إلى ورائه لئلا يوليه ظهره . . . » .

إلى كثير من هذه الآداب ، التي عرفنا كثيراً منها في مطلع هذا القرن ، وفي مجالس كبراء ، هم دون الخلفاء بمراحل ، ولكنها كانت آدابنا في ذلك العصر .

ومن ذلك : ما حدث به جعفر بن ورقاء الشيباني . قال :

« كنت في أيام المعتضد ، مع نظرائي من أولاد الأمراء والقواد ، مرسومين في المقام في الدار . . . وكنا نجتمع في حجرة نستريح فيها بعد انقضاء الخدمة ، وانصراف الموكب . فنزع خفافنا ونضع عمامتنا عن رؤوسنا ، ونلعب بالشطرنج والنرد . فاطلع علينا أحد أصحاب الأخبار في الدار . فكتب بخبرنا إلى المعتضد بالله - ونحن لا نعلم - فلم يبعد أن خرج خادم صغير السن ، من خواص الخدم ، وفي يده الفصل المرفوع في أمرنا ، وعلى ظهره توقيع بخط المعتضد حكايته « يستصفحون وما لهم من صافح ، فسلمه إلى خفيف الحاجب . وصنع الله لي أن لم يكن ذلك في يوم نوبتي . فحين وقف على الفصل والتوقيع ، انزعج ، ونهض . واستدعى من كان في النوبة ، فضرب كل واحد منهم عدة مقارع . فما رأي بعد ذلك إلا » لازم للتوفر على الخدمة ، متجيباً للتبذل .

ومن هذا :

« أن محمد بن عمر بن يحيى العلوي ، دخل دار المطيع في جماعة من رجال الدولة وكلهم بالسواد ، سوى محمد ، فإنه كان يلبس بياض . فخرج إليهم

مؤنس الحاجب وقال لمحمد - : ليس هذا اللباس - أيها الشريف - لباس الدار ! ولا حضورك حضور من يريد الوصول .
قال محمد : كأنك أنكرت البياض ؟ ؟ .

قال : نعم !

قال : هذا زي وزي آبائي .

قال : والأمر على هذا ، ولا رأيت أحداً من أسلافك دخل هذه الدار إلا بالسواد . ولقد حضر عمر بن يحيى : أبوك عندك في أيام المطيع لله ... وهو بسواد أسود .

قال : ما معنى سواد أسود ؟

قال : سواد مصبوغ . واني لأذكره ، وقد عرق ، والسواد يجري على جبينه وهو يمسحه .

قال محمد بن عمر : فما الذي تريده أيها الحاجب ؟

قال : أن تغير هذه اللبسة ، وتفعل ما جرت به العادة !

قال : أو أنصرف ؟

قال : الاختيار إليك .

وقام محمد بن عمر ووزل إلى زبزه وانصرف إلى داره . (١) .

وأسوأ من هذا وأوجع منه :

« أن دخل ابن أبي الشوارب القاضي - وكان من جلة القضاة - وممن يرجع بنسبه إلى بني أمية - داراً المطيع ، بخف أحمر - والأحمر كان لباس الخليفة ، والحوارج عن الطاعة - ورآه الشرايبي الحاجب . فقال له : تأتي خليفة آبائك في العناد والمباينة ؟ يا غلام ! أنزع خفه وأعلل به

(١) وهذا شبيه بما يلبسه الناس في أيامنا هذه في الحفلات الرسمية من الدنديات (البرانيط) الطويلات ، والترات المترسلات . ممّا كان يدعو إلى الضحك والمزح ، ولم يحكم به العادة والأصول .

رأسه . . . وعرف المطيع لله ذلك فلم ينكره . وانصرف ابن أبي الشوارب إلى داره ، فاحتجب فيها ولم يخرج منها حياةً وكمدًا . وكانت وفاته عقب هذه القصة . » .

هذه لمحات وجيزة من « رسوم دار الخلافة » وقد افتتح ناشر الكتاب الأستاذ العواد كتابه بكلمة في « الصابئة » : قوم المؤلف ، ثم بترجمته : مولده ونشأته . ثم إسلامه وذكر تصانيفه .

كما اختتم الكتاب بمجموعة من الفهارس : أسماء الأشخاص ، وأسماء الأمم والقبائل والجماعات والملل والنحل ففهرس للأمكنة والبقاع ، وآخر للحضارة والعمران ، وإذا كانت الفهارس تحيي الكتب فإن هذا الفهرست العمراني الأخير ، فيه من الفوائد العلمية واللغوية والحضارية ما يوجب شكر الناشر وجميل الثناء عليه .

وبحسب الكتاب قيمة ومتمعة : أن واضعه الصابي* ، وهو من هو علماء وأدباء . ومحققه وناشره الأستاذ العواد ، وهو من هو تدقيقاً وتحقيقاً .

ملاحظة :

وقد وقعت على بيتين لم يستقيم وزنها :

الأول في الصفحة الـ ٢٧ من المقدمة :

لهني عليك كريماً في عشيرته مبهداً جسمه ومن نعمه ترف
لعلها (في نعمة) فيستقيم الوزن والمعنى معاً .

والبيت الثاني في الصفحة الـ ٧٠ من الكتاب نفسه وهو :

فبي قريش وفي البيت الرفيع بها واري الزناد ما أصلد الناس
والصواب « إذا ما أصلد الناس » بزيادة (إذا) وهو ظاهر أنه من غلط الطبع .



الوزراء والكتاب

نصوص ضائعة

جمعها الأستاذ مخاضل عواد وعلاق عليها

وهذا كتاب آخر ، حققه الأستاذ عواد وأخرجه للعالم العربي كنزاً من كنوز العلم والأدب والتاريخ . والكتاب للجيشياري وقد سبق أن طبع طبعة ناقصة ، فعثر الأستاذ عواد على جملة حسنة من الأخبار جمعها من المصادر المخطوطة والمطبوعة ، فألحقها به ، وبذلك تم الكتاب وعمت الفائدة ، وطبع هذا الكتاب كما طبع الكتاب السابق : « رسوم دار الخلافة » طبعاً حسناً على ورق صقيل . واحتوى هذا من الفهارس المفيدة ما احتواه ذلك . فجزى الله الأستاذ عواد عن العلم والأدب خير جزاء .

(ع)



الكاظمي في ذكراء الثلاثين

أهدى مكتبة المجمع الأستاذ الأديب المؤرخ السيد عبد الرحيم محمد علي عضو رابطة الأدب الحديث في القاهرة — مؤلفه « الكاظمي في ذكراء الثلاثين ». وقد جاء في مقدمته أنه السلسلة الرابعة من تتبعاته عن شاعر العربية الأكبر أبي المكارم عبد الحسن رحمه الله تعالى .

نشأ شاعر العرب متصوفاً ديناً شديداً الحياء ، بعيداً عن كلام الفحش والمجون ، وكان من أيام صباه ميالاً بطبعه إلى الشعر والأدب ، فحفظ الألوف الكثيرة من الشعر العربي والإسلامي ، ونظم الشعر الجيد ولم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره ، ثم كان رجلاً لا كالرجال في الدفاع عن العروبة في جميع أقطارها وأمصارها ، والوقوف في وجه جميع الطاعنين والطامعين في أهلها من الشعوبيين والأعداء وأهل الأهواء ، وكفاه بذلك شرفاً وفخراً .

لم يكن اشتغال فقيد العرب العظيم في فنون الأدب ونظم الشعر لغرض دنيوي كطمع في مال أو جاه ، أو رغبة في خدمة الحكومة والترقي في مناصبها وإنما كان يباعث القلب والحب ، ويدافع الإيمان والوجدان ، وبالرغبة الملحة في أن تكون أمتنا العربية من أقوى الأمم في المحافظة على عروبته واستقلالها والدفاع عنها . وكان في طبعه وخلقه حلقة اتصال بين الجامدين والجاحدين ، ونقطة اعتدال بين الغالين والمقصرين ، وكان أبو المكارم يرتجل الشعر ارتجالاً في كل موضوع يريد أو يراد منه ، وقد تبلغ القصيدة الواحدة المرتجلة الخمسين بعد المائة ، وعلى وزن واحد وروي واحد ، وهو ما لم يؤثته غير أفراد من رجال المصور ، « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » .

كان رجلَ العروبة — بما وهبه الله تعالى من سلامة الذوق ، وقوة الاستعداد ، وتوقد الذهن ، وفقه النفس ، واستقلال الفكر ، والاقتناع بحاجة المسلمين إلى مجارة الأمم الغربية ، في الفنون التي عليها مدار العمران ، والقوة في هذا الزمان ، مع المحافظة على أصول الإسلام وهدية وآدابه ، فلا عجب أن يكون شاعر العرب بكل هذه المزايا والخصائص ظاهر الحجة ، قويّ المعارضة شديد المعارضة ، لا يبالي في سبيل الحق سطوة حاكم ، ولا يخاف في الله تعالى لومة لائم .

ومن شعره الدالّ دلالة واضحة على غيرته على بلاد العرب ، وانتصاره للإسلام والمسلمين ، قصيدته التي نظمها في اعتداء إيطاليا لما تعدت على طرابلس الغرب ، في عهد الدولة العثمانية ، وقصيدة ثانية في جرأة دول البلقان الصغرى على دولة الخلافة العظمى ، ولما انفصل العرب عن الترك أصبح الكاظمي شاعر العربية وأهلها حيثما حل وارتحل ، ففراراً من الاستبداد اضطرّ إلى مغادرة موطنه (العراق) إلى الهند ثم إلى مصر حيث استقر به المقام ، وفي تلك البلاد الإسلامية العربية منها والعجمية ، وقف شاعرنا على معالم هذه الأمة في مختلف جهاتها ، وعرف منها الحق والباطل ، والخطأ والصواب ، فأخذ يوجه إليها النصيح والتذكير ، بقصائده الطولى ، فكانت منها لها من غفلتها ورقدتها ، وكانت من أقوى أسباب يقظتها وحركتها . اتصل في العراق برجل الحرية والنهضة الإسلامية السيد جمال الدين الأفغاني ، فألهب الأفغاني أفكاره ومشاعره ، وكان من قبل متأثراً متأثراً بالفا بأستاذه السيد إبراهيم الطباطبائي الذي صحبه في الكاظمية والنجف ، وروى عنه شعره الحضري بمعانيه ، البدوي بأسلوبه وقوافيه ، وصار مثله ينظم القصائد الطوال ، وزاد عليه بقوة البداة والارتجال ، ثم عزى عليه المقام في موطنه فهاجر إلى مصر كما قدمنا ، واتصل هنالك

بالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبد ، فقد تر الإمام أدبه وعطف عليه ، وعين له مرتباً شهرياً كان يصله إلى داره آخر كل شهر ، رحمه الله وجزاه خيراً الجزاء . وكان للكاظمي كبير اتصال بنائب الرئيس السابق لمجمعنا العلمي — بدمشق الشيخ عبد القادر المغربي ، أيام كان محرراً بجريدة المؤيد التي كان يرأسها الشيخ علي يوسف ، رحمه الله تعالى .

توفي الفقيد الكبير الكاظمي رحمه الله (١٩٣٥) من بعد أن رزق من زوجته عائشة بنت الأديب المعروف السيد محمد التونسي بنين وبنات ، ولكن من بقي من أولاده هي بنته (رباب) ، فرباها تربية عالية ، وأدخلها المدارس فكانت طيبة أسنان إحصائية .

محمد بهجة البيطار



سنن الترمذي

لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سوره الترمذي (٢٠٩ — ٢٧٩ هـ)

أشرف على التعليق والطبع مزنة عيد الدعاس

لما رأى علماء المسلمين في الصدر الأول تأثير القرآن في جذب قلوب الناس إلى الإسلام ، وأن الإسلام لا يحفظ إلا به ، أجمعوا على حفظ اللغة العربية ودونوا الدواوين ووضعوا لها الفنون ، وإنشأ الحامل لهم على ذلك هو حفظ كتاب الله المنزل ، وفهمه والعمل به .

وإن كتب السنة الصحيحة ليست إلا مفسرة للقرآن الكريم ، مينة له ، فهي تفصل بحمله ، وتوضح مشكله ، وهل يستطيع مسلم أن يفهم أركان الاسلام البدنية أو المالية كالصلاة والزكاة والصيام والحج على الوجه الصحيح من دون أن يدرس سنة الرسول ﷺ في العبادة ، وسيرته الخلقية والعملية «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر» الأحزاب الآية ١٢ «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» الجبر (٧) .

وهذا كتاب السنن لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي هو أحد الكتب الستة المشهورة في علم السنة ، وهما صحيحا البخاري ومسلم ، وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، والرسالة التي بين يدي الآن هي الجزء الأول من سنن الترمذي التي يطبعها أجزاء وتباعاً الأستاذ عزت عبيد الدعاس ، خريج الأزهر الشريف ، وقد جاء في مقدمته أنه ضم في مكتبته الكتب الخمسة وفتش عن سنن الترمذي فلم يجدها في المكاتب ، فقام جزاء الله خيراً بتجديد طبعه ليحصل عليه هو ومحبو السنة النبوية ، وذكر في المقدمة ما استفاده من الشروح المطبوعة لهذه السنن ومن غيرها ، ابتغاء ما علق على الأحاديث للوقوف على الأحكام المستنبطة من الحديث أو لمعرفة بعض رواته . وقد صدر الكتاب بترجمة للترمذي (٢٠٩ - ٢٧٩) هـ وهو تلميذ الإمام البخاري ، ذكر فيها أقوال العلماء والشرح في مزايا سننه وخصائصها ومنها قول ابن العربي في شرحه على الترمذي حلاوة مقطع ، ونفاسة منزع ، وعذوبة مشرع . . . فالقارىء له لا يزال في رياض موقنة ، وعلوم متفقة متسمة . . . وكتاب الترمذي ألفه صاحبه على أبواب الفقه وغيره ، واشتمل على الصحيح والحسن والضعيف ، مع بيان درجة كل حديث في موضعه ووجه الضعف ، وبين مذاهب العلماء في كل المسائل . وختم الطابع الأستاذ الدعاس مقدمته بإيراد ملاحظات مهمة في أقوال الترمذي ومصطلحاته ، وما قالها الشراح في تفسيرها .

وكم سرنا أن يعنى بهذه السنن أستاذ من خريجي الأزهر الشريف ومدرس في مدارس المعارف . وعندي في الختام كلمة نصح وتذكير لإخواني أساتذة المدارس الرسمية وغيرها على اختلاف درجاتها ، وهي أن تكون اللغة العربية فيها لغة محادثة وكتابة وخطابة .

عروبة المدن الإسلامية

هوذا كتاب بكر في موضوعه ، صافٍ في ينبوعه . أصيل في مصنوعه ومطبوعه . وارف في أفانينه ومجموعه . مشرق في مصروفه وممنوعه ، شامخ في مخفوضه ومرفوعه . بحيل في غريبه ومسموعه . طريف فذٌّ في تابعه ومتبوعه . عربي في حرفه وعقله وضلوعه . جليل في طلوعه وسطوعه . حفيظ في بخوره وشموعه ، وآيات وجده وولوعه ، وتجويد فصوله وفروعه (١) .

انه كتاب (عروبة المدن الإسلامية) الذي قيّد أوابده ، وحقق شوارده واستثنى روافده وانتخل شواهد الملامة الأستاذ ناجي معروف عميد كلية الآداب في جامعة بغداد ، وقد جاء فتحاً جديداً ناطقاً بفضل الحضارة العربية الباذخة التي خلقت تراثاً فكرياً رائعاً . كما أنشأت بما شيدته من المدائن تراثاً عمرانياً راسخاً جامعاً . يرد الطرف نشوان خاشعاً . ويجلجل في السمع مدوياً قارعا ، ويملأ التاريخ تياهاً ناصعاً ، ويسكب على مفرق الزمن عطراً ضائماً . وينشر على الشعوب نوراً ساطعاً .

وآية هذا الكتاب الجليل في بحثه الفريد الأصيل ، أن صفحاته لا تزيد على ثمانين ، ولكن هذه الصفحات القليلة هي حصيدة ستة وثلاثين مؤلفاً تقع في أكثر من مئة وعشرين جزءاً وكان أمراً شديداً العسر والعناء ، أن يغوص المؤلف على الدرر الفريدة في الدأماء ، وينتزعها من جوف الظلماء ، ويزفها تحفة ناريخية تهز خواطر الألباء ، وتثير الإعجاب والاطراء .

نعم ، وإنه لصعب أن تقع العين على جنة فسيحة الأرجاء ، سامقة الأغصان رقاقة الأفياء ، عبرية الأنفاس والأنداء ، شية الثمار سخية المطاء .

(١) لازميل الفاضل نظير زيتون عضو المجمع والى بالسجع تفرد به . وقد أثبتنا كلماته تنويهاً بطلو مترجحه في الأسجاع وخلافاً لخطة المجلة .
(لجنة المجلة)

ترادفت فيها الفواكه بيضاء في حمراء . وصفراء في خضراء ، في طعوم
وألوان وبشاشة واحتفاء ، نعم كان صعباً أن يخترق المؤلف أجودها في
جنة التاريخ العربي الهدباء ، من ثمار حرّة أينعت برعاية المفكرين البصرياء ،
وعناية الجهابذة العلماء ، ويعتصرها دزناً من الصباء ، في فكر وضياء .
ويراعة زهراء ، وحرف أريحيّ معطاء .



يتألف الكتاب من مقدمة وهي نظرة في مصادر الخطط . وتمهيد يعالج
تخطيط المدن عند العرب وسبعة فصول وعشرة ملاحق أو جداول . فالفصل
الأول يضمّ دراسة في بناء المدن العربية في الجاهلية ، والثاني بناء المدن
العربية في الإسلام ، والثالث ، ملاحظات في المدن الإسلامية والرابع ملاحظات
عامة والخامس الفترة التي سبقت بناء المدن العربية في الإسلام ، والسادس
التحريات لتخطيط المدن العربية . والسابع التصاميم الهندسية لبناء المدن
العربية ، وقد عالج المؤلف البحاثة في هذه الفصول السبعة بأسلوب علمي
تاريخي بارع كل ما تضمنته من موضوعات في فضل اليد العربية التي أنشأت
في الجاهلية والإسلام مئات المدن العامرة الزاهرة في مختلف الأمصار والأقطار ،
مما يدل بما لا يقبل الجدل والتأويل ، على أن اليد العربية كانت في كل
تاريخها الطويل الحفيل في جاهليتها وإسلامها بدءاً خيرة بناعة شهدت للحضارة
عمراناً راسخاً باذخاً شامخاً جال فيه تاريخ البشرية جولات مشرقات متأرجحات ،
عصيات مستكبرات ، طوفت حولها العصور منتجعات مسترفدات ، ويا للعزائم
العربية كم لها من فتوحات ، ويا للأيدي العربية كم لها من مكرمات ومعجزات .



وإذا تصفحنا جداول المدن العشرة ، عثرنا في الجدول الأول على قسم من أسماء المدن العربية في الحجاز واليمن واليامة والبحرين شيدها العرب في العصر الجاهلي ، وقد ذكر المؤلف الألفي أسماء اثنتين وثمانين مدينة — على سبيل المثال لا الحصر ، كما أشار . فهناك عدد كبير من المدن الأخرى والقرى والحصون التي تشبه المدن مما حفلت به المعاجم وكتب البلدان أغفل ذكرها .

وهذا الجدول على إيجازه يؤكد الحقيقة العربية التاريخية الأولى وهي أن العرب الأقدمين ، على بداوتهم وجاهليتهم ، كانوا مطبوعين على العمران وتشيد المدن والقرى والحصون وسواها من المظاهر العمرانية الرفيعة ، ولا يخفى على أحد أن العمران والحضارة هما ركنان صنوان تنبعان من عين واحدة هي الفكر المبدع الخلاّق .

أما الحقيقة العربية التاريخية الثانية ، فنلقاها في الجداول التسعة الأخرى وقد ضمت أسماء المدن التي شيدها العرب في العصور الإسلامية المختلفة في آسيا وإفريقية وأوربة وجزر البحر المتوسط وقد بلغ عددها في مختلف الأصقاع التي انتشر فيها لواء الدول العربية الإسلامية ، حسبما جاء في الجداول مئة وثمانين وثمانين مدينة هي اليوم وبالأمس من أشهر المدائن . وقبل أن تنتقل إلى صلب الموضوع لا بد لنا من الإشارة إلى بعض المدن الأندلسية التي أوردها المؤلف في جدول العاشر ، وعزا تشييدها للعرب ، مثل قرطبة ومرسية ومجريط واشبونة وهي لشبونة عاصمة البرتغال وإشبيلية وغرناطة ، ومثلها طرسوس فهذه المدن على ما يؤكد التاريخ كانت قائمة قبل الفتح العربي الإسلامي ، ولا شك أن العرب استحدثوا فيها عمراناً جديداً ، ولكن هذا لا يعني أن اليد العربية هي التي اختطت تلك المدن وشيدتها وقدمتها تراثاً عمرانياً عربياً للحضارة .

ومما يسترعي الانتباه أننا نثر في جداول المدن التي بناها العرب في بعض الأقطار التي بسطوا عليها سلطانهم ، على أسماء غير عربية ، ولعلهم أطلقوا عليها الأسماء الأعجمية من باب التسامع نذكر منها مكران وقد بنيت في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وباجدًا (بين رأس عين والرقعة) في خلافة عبد الملك بن مروان ، وقم في زمن ابن مروان نفسه ، وتبريز (فارس) في خلافة المتوكل ، ومراغة شيدها مروان بن محمد عندما كان والياً على أرمينية وأذربيجان ، ومنستير (تونس) في خلافة مروان بن محمد ، ثم اردشت ودهستان والياتاخية وممرقند ونيسابور وسوها .

وهناك أيضاً مدن بناها العرب في أقطار اجنبية وهي عربية ذات كواسم أعجمية مثل أسد آباد ، أي مدينة أسد ، وهو أسد بن عبد الله القسري بأنها ، ومثلها نصر آباد ومهدي آباد وسعيد آباد وموسيا باز أي مدينة الخليفة موسى الهادي الخ .



ولا بد لنا دعماً للحقيقة العربية التاريخية الأولى أي العمران في عصر الجاهلية ، من أن نستشهد بما أورده المؤلف الحاذق في هذا الصدد إذ قال : « ونستطيع أن نؤكد أن ما بناه العرب قبل الإسلام في الحجاز ونجد وحضرموت وعمان واليامة والبحرين قد يبلغ المئات من المدن بين كبيرة وصغيرة ، غير القلاع والحصون التي تشبه المدن ، كما يمكننا أن نؤكد أن ما في الجزيرة العربية من هذه المدن إنما كان من إنشائهم وحدهم دون أن يشاركهم في اختطاطها أحد على الأرجح ، نذكر منها على سبيل المثال : مكة ويثرب والطائف واليامة وصنماء وعدن والحجر ومأرب ونجران والقطف وناعظ الخ ولا يزال كثير منها باقياً حتى اليوم . ص ١٣ ، » .

ويتابع المؤلف الفاضل : « وإذا كنا قد عينا بدراسة الحضارة العربية قبل الإسلام فلأننا نرى من دون أدنى شك أن العرب مهدوا بحضارتهم تلك الحضارة العربية التالية التي ازدهرت في العصر الإسلامي والتي كان لها تأثير في مختلف بقاع العالم وفي تقدم شعوب الشرق والغرب . وإذا أخذنا بالرواية التي تقول إن معبد النوبهار في مدينة بلخ قد شيد بتأثير مكة وتقليداً للكعبة في وضع الأصنام حوله وهي (الحمى) أدركنا مبلغ تأثير هذا العصر الجاهلي في الشرق أيضاً . قلنا وهذا يعني أن العمران في العصر الجاهلي كان طريق العرب في العصور الإسلامية إلى نشر العمران والحضارة في مختلف الأمصار .

ويتابع المؤلف فيقول : « لئن اشتهر العرب في بناء عدد كبير من المدن في العصر الجاهلي ، فإن ذلك يدل على خصائص حضارتهم ومزايها البارزة التي ساعدت كثيراً على نموها في الإسلام . لهذا يمكننا أن نعتبر العصر الجاهلي من أهم مصادر الحضارة الإسلامية في كثير من الأمور المهمة ولذلك كانت دراسة العصر الجاهلي ضرورة جداً لتفهم التاريخ الإسلامي وتاريخ الأديان وتاريخ الأدب العربي ، وأخيراً تاريخ الحضارة العربية والفن العربي . ص ١٣ » .

غير أننا إذا توغلنا في مجاهل التاريخ العربي الجاهلي ، إذا توغلنا واستقصينا الزمن السحيق ، عثرنا على عمران غريب عجيب يدهش عقل الأريب ويهر بصر اللبيب ، عفت آثاره أو كادت ؛ كان ذلك في عهد العرب الأقدمين مثل عاد وثمود وطسم وجديس والمالقة والتبابعة وسواهم ممن كانت مدينتهم وقصورهم وحصونهم وقلاعهم يُعزى بناؤها لروعها وعظمتها وغفامتها إلى جن النبي سامان ، إذ كانوا لا يصدقون أن يداً بشرية وعقلاً

بشراً وفناً بشراً تستطيع أن تخطط وتهندس وتبني مثل هذه المدائن والمباني الفاتكة الخارقة . كما كانت لهم معرفة واسعة وهندسة بارعة في شؤون الري وتمديد شباكه في مناطق شائخة ؛ وعندنا من ذلك خبر سد مأرب الذي سقى كل فم ، وأروى كل أرض ، وخضب كل خضرة ، وحنحن على كل ظمان ، من إنسان وحيوان ، ونبات عريان ، وجاد استبد به الحرمان .

وكان من الطبيعي أن ينهار العمران بعد انهيار هذا السد الذي رافق الزمان ، وأنشأ الحضارة والسلطان .

ومما يجدر ذكره لهذه المناسبة أن العرب بعدما استقرّوا في الأندلس حملوا إلى تلك البلاد هندسة الأسداد (لا السدود كما يجمعونها خطأ) وسائر ما يتعلق بالري وسواقيه واقتبس عنهم البرتغاليون وكانت البرتغال آنذاك مقاطعة إسبانية ونقلوا كلمة السدّ إلى لغتهم فقالوا Agude ، كما اقتبس الأسبان ونقلوها إلى الإسبانية فقالوا Azud و Azuda وأثبتها الأسبان والبرتغاليون في معاجمهم كما شاعت على ألسنة العوامّ واقلام الكتّاب . نعم إن الأسداد العربية في الأندلس لم تكن كبيرة ضخمة شديدة الاتساع كسدّ مأرب مثلاً أو كالأسداد الكهرمائية الحديثة ، ولكنها كانت تفي بحاجة ذلك العصر ، ولا شك أن الأسباني والبرتغالي عندما يذكّران — السدّ — يذكّران العرب وفضلهم على العمران .



أما الحقيقة العربية التاريخية الثانية أي العمران في العصور العربية الإسلامية فهي بارزة كالشمس في وضوح النهار ، بدليل متى مدينة جديدة بناها العرب في مختلف الأصقاع الممتدة من الجزيرة العربية إلى الشمال الإفريقي فالأندلس وصقلية وسواها من الجزر في البحر المتوسط ؛ أضف إليها إيران

والهند وأذربيجان وتركستان وقد استخرج أسماءها المؤلف الألمي من بطون المصادر التاريخية المتعددة .



ولكن هناك حقيقة عربية تاريخية ثالثة وهي براعة العرب في صنع التماثيل الرخامية والمعدنية والأعمدة والزخرفة المعمارية وسبك المعادن وسائر ما يتعلق بهذه الفنون التي أنكرها بعضهم على العرب وخصوصاً صنع التماثيل والنقوش والزخارف كما فعل الإغريق والرومان .

ولكن سائر الصناعات الفنية الباذخة ارتفع مستواها في العصور الإسلامية وتفننت بها اليد العربية تفناً مذهشاً يذهل الألباب ؛ ففي الطبري أنه أهدى إلى عبد الله القسري (١٢٠ هـ) قصران أحدهما فضة والآخر ذهب . وفي (مصانع الدور في منازل السرور) أن يعقوب بن الليث الصفار والي خراسان أهدى إلى الخليفة العباسي المعتمد على الله مسجداً من الفضة برواقين يصلي فيه خمسة عشر رجلاً .

وذكر ابن الجوزي في (المنتظم) أن للمقتدر بالله العباسي كان يملك قرية من فضة ثمن بمئات ألوف الدراهم ، وكانت صورة لقرية فيها البقر والغنم والجمال والجواميس والأشجار والنبات والمساحي (المجارف) والناس . الخ . وذكر أيضاً أنه كان في دار الشجرة ببغداد في خلافة المقتدر أيضاً ، شجرة من الفضة وزنها نصف مليون درهم عليها أطيار مصوغة من الفضة تصفر بحركات جعلت لها ؛ كما كان في تلك الدار أيضاً ٣٨ ألف ستر من الستور الديباج المذهب بالطرز المصورة بالجلمات والفيلة والخيل والجمال والسباع والطرز الخ ، وفي تلك الدار شجرة في وسط بركة مدورة فيها ماء صاف وللشجرة ثمانية عشر غصناً عليها الطيور والمصافير من كل نوع ، مذهبة ومفضضة ، وأكثر قضبان الشجرة فضة وبعضها مذهب وهي تتمايل في أوقات ،

ولها ورق مختلف الألوان يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجر ، وكل من هذه الطيور يصفر ويهدر ؛ وفي جانب الدار يمنة البركة تماثيل خمسة عشر فارساً قد ألبسوا الدياج وغيره وفي أيديهم مطارد على رماح يدورون على خط واحد ؛ وفي الجانب الأيسر مثل ذلك .

ويتابع المؤلف البجائة حديثه فيورد ما عثر عليه في مؤلفات ابن الجوزي والمقرئ من روائع الصناعات الفنية التي تحير وتدهش مثل الاستعراض الكرنفالي الذي أقامته بغداد (٤٨٨ هـ) وقد أظهرت فيه أنواع الملاهي من الزمور والحكايات والخيالات منها الفيل المصنوع من البواري المقيمة (المزقة) وتحتة رجال يسرون به ، وعملوا زرافة كذلك ، وعملوا سميرة (قارب أو زورق) تجري في الشوارع وفيها الملاحون يجدفون ، كما عملوا ناعورة تدور معهم في الأسواق ، وعرضوا قلعة خشب تسير على عجلات وفيها غلمان يضربون بقسي البندق والنشاب ، وأخرجوا نولاً على عجل (دواليب) وفيه حائك ينسج . وجاء الخبازون بتور وتحتة مايسر به ، وكان الخباز يرمي الخبز إلى الناس . وفي احتفال ولي العهد (٥٤٧ هـ) في بغداد برزت قبة عليها صور بعض الأمراء بحركات تدور ، كما ظهرت قبة أخرى فيها خيل تدور وعليها فرسان بحركات ، وعرضوا أربعة أرحاء تدور وتطحن دقيقاً لا يدري أحد كيف دورانها .

أما الزخارف العربية ، وهي ما يسميه الفريجة (أرايكو) ففيها البرهان الناصع على أن العرب هم صنّاع الأيدي وأصحاب مزايا فنية خصبة خلاقة وقد جاءت هذه الزخارف على شكل كتابات كوفية أو نسخية وعلى أشكال هندسية وشجرية وعلى صورة فسيفساء الخ .

ويحلونا في هذه المناسبة أن ننبّه الأنظار إلى أن البلاط المصنوع الذي يسمونه في الشرقي العربي (موزاييك) الملوّن الجميل هو في الأصل عربي ، أجنم الأسيان والبرتغاليون عن العرب الأندلسيين وكانوا يطلقون عليه المزوق ، والمزوق هو الأصل العربي للفظة موزاييك الفرنجية .

وقد حذق العرب الحياكة بخيوط الفضة والذهب والقصَب وسائر منسوجات الحرير بأشكالها وألوانها المختلفة . ولقد اشتهرت هذه الأقمشة وانتشرت في كل صقع ، ثم أخذت هذه الصناعة تتضاءل شيئاً فشيئاً حتى تلاشت أو كادت . وبعدئذٍ عمدت مصانع النسيج في أوربة إلى حياكة أقمشة تشبهها وتحاكيها ، وأطلقت عليها أسماء مصادرها العربية فقالوا « داماسين وموسيلين » نسبةً إلى دمشق والموصل وكأنها طرازٌ مما كانت تنسجه اليد العربية ، ولا تزال هذه المصانع الأجنبية تحوكيها حتى اليوم .

وإذا كان العرب قد حذقوا حياكة المنسوجات النفيسة الثمينة ، فقد برعوا أيما براعة في حفر الزخارف على الجبس والآجر والرخام والحجر والنحاس والخشب والماج والفضة والذهب ، ونقش الزخارف على الورق والرق أيضاً .

هذا غيض من فيض استشهدنا به للدلالة على الملكة الفنية عند العرب ، وخصب هذه الملكة ومعجزاتها في الأشغال الفنية الدقيقة على اختلاف الأشكال والأغاط .

فإنك إذن ثلاث حقائق عربية تاريخية يجب إعلانها ونشرها والتنويه بها ، وهي تدل بوضوح على عراقة العمران والفنون في طبيعة العربي جاهلياً ومسلماً .



ولا بأس بعد هذا أن نستطرد إتماماً للفائدة ، فقد يجوز أن يتساءل بعضهم في خبائة أو براءة ويقولون : كيف نوفق إذن بين هذه الحضارة العربية الرائعة التي خلفت للعالم تراثاً عمرانياً وحضارياً شامخاً باذخاً بدهش الأذهان ، ويغالب الزمان ، وينطق بميزة العربي في الابتكار والإبداع والالتقان ، ومعالجة سائر أسباب الفنون والبيان ، نعم كيف نوفق بين هذه الحضارة العربية الرائعة الفائقة ، وقول ابن خلدون في الفصل السادس والعشرين من مقدمته وهو « ان العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب » ؟

ففي رأي علائمة العصر الرئيس الأمير مصطفى الشهابي ، وهو رأي وجيه صائب ، في نظري منطقي ثاقب . يشاركه فيه أقطاب العلماء المحققين ، والمستشرقين والمثقفين ، أن ابن خلدون إنما أطلق كلمة (العرب) على الأعراب العائشين في الخيام ، لا على العرب الساكنين في المدن والأمصار . والبون شاسع كما لا يخفى على أحد بين أهل الوبر أي البدو وأهل المدرأي الحضرة القاطنين في المدائن العامرة ، كما أن حديث ابن خلدون في الفصل المذكور ، إنما ينطبق على أبناء البوادي الخشوشين الرحال دون سواهم ، وهذا أمرٌ يجب التنبيه عليه ، ومن عجب أن طبعات مقدمة ابن خلدون من أقدمها إلى أحدثها لم تطبع طباعة علمية وافية ولذلك لم تُعَنَ بإيضاح هذه النقطة دفعا لما يقع فيه بعضهم من خطأ في التفسير . ولقد أحسن الأستاذ ساطع الحصري عندما عالج هذا الموضوع في دراسة مسهبه دقيقة أثبت فيها بالأدلة الناصعة والبراهين الدامغة أن العرب الذين عتاهم ابن خلدون في الفصل المذكور هم الأعراب أبناء البادية والخيام ، لا أبناء الحواضر من العرب (١) .

ثم إن ابن خلدون وهو المؤرخ العلامة لا يجهل ما خلفه العرب في الأندلس خاصة من تراث عمراني باذخ ، هو اليوم مصدر اعتزاز للأسبان ومحط أنظار السيّاح ، ومورد عظيم من الذهبان للاقتصاد الإسباني .

وبعد ، فحسب مؤلف البجائة المدقق الأستاذ ناجي معروف عميد كلية الآداب بجامعة بغداد ، انه كشف عن صفحة متألفة جديدة في مهابق تاريخنا المتأرج النضير ، فاذا العمران العربي جاهليا وإسلاميا كوكب منير . وإذا الحضارة العربيّة ينبوع ثرار نير ، وإذا الفكر العربي أنوار وأزاهير . نعم حسب كتاب (عروبة المدن الاسلامية) هذا الفضل ليفوز بأبلغ تلمية تزجها العروبة والتاريخ والأدب ، إلى مؤلفه العلامة الجليل .

نظير نيتونه



(حصص)

(١) دراسات عن مقدمة ابن خلدون للأستاذ ساطع الحصري طبعة دار المعارف بمصر .

حسان بن ثابت

حياته وشعره

عدد الصفحات (٢٢٤) من القطع الصغير طبع بمطبعة دار الفكر الحديث
في لبنان عام ١٩٦٥ تأليف الدكتور إحسان النص المدروس في كلية
الآداب بجامعة دمشق

حسان بن ثابت شاعر له ميزتان ، أولاها أنه شاعر ، وثانيها أنه شاعر
النبي عليه الصلاة والسلام فله احترام وإجلال لدى المسلمين عامة ، لأنه
الشاعر الذي اختاره عليه الصلاة والسلام للدفاع عنه ضد شمراء المشركين ، وقد
أحسن الدفاع فكان من الصحابة الأولين .

ولهذا الشاعر أيضاً صفحتان من العيش فقد نظم قصيداً من شعره في
الجاهلية ونظم القسم الآخر في العهد الإسلامي وقد عرف بأماطيه في الفساسة
من آل جفنة وكانوا في بلاد الشام وهو القائل فيهم :

لله در عصاة نادمهم يوماً بخلق في الزمان الأول

كما مدح المناذرة في الحيرة ، والنعمان بن المنذر خاصة ، على قول بعض
المستشرقين ، ولكن مؤلف الكتاب يشك شكاً يقرب من الإنكار في صحة
اتصال حسان بالمناذرة ، ويستند في شكه إلى حوادث التاريخ .

وقد بدأ المؤلف بمقدمة أشار فيها إلى أن كتابه (يضم المحاضرات التي
ألقاها على طلبة قسم اللغة العربية في كلية الآداب) وأشار إلى أمر هام في
موضوع البحث وهو أنه حاول إبراز صورة الشاعر - حسان بن ثابت -
(كما عرفها التاريخ لا كما صورتها الأخبار المفتعلة والأساطير الموضوعة على

حد قوله) . ثم يأخذ المؤلف بالدراسة فيذكر حياة الشاعر في فصل ويدرس شعره في فصل آخر وينهي الكتاب بفهرس يضم مصادر بحثه ومما يلفت النظر ويساعد على تفهم البحث جدول وضعه المؤلف يبين فيه نسب الشاعر واتصاله بقبيلة الأزد التي تفرع منها فرعا الأوس والخزرج اللذان يتصل بهما نسب الشاعر ، و جدول آخر يوضح نسب الشاعر واتصاله ببني مالك بن النجار وهم أسرة حسان بن ثابت .

إن هذه الدراسة تشتمل على تمحيص مفيد ونقد نافع ، وكأن المؤلف ينظر من بعيد إلى طه حسين في طريقته الناقدة التي أفادها من دراسة الفيلسوف الفرنسي ديكارت ، كنظره إلى الخلاف الأدبي بين حسان والحنساء في بيته الشهير :

لنا الجففات الغريلمن بالضحى وأسيافنا يقطرون من نجدة دما
فالمؤلف ينكر أشد الإنكار هذا النقاش الأدبي الذي لم يعرف إلا في المصور المتأخرة . ولا بد من الإشارة هنا إلى ورود بعض الأخطاء المطبعية التي لا يسلم منها كتاب عربي مع الأسف ولكنها أغلاط لا يضيع معناها المعنى وهي لا تمنعنا من القول أن هذه الدراسة قد قدمت لنا بحثاً وافياً عن شاعر لم يدرس بعد دراسة وافية .

أحمد الجندي



معالم وأعلام في بلاد العرب

القسم الأول - القطر السوري : الجزء الأول

عدد صفحاته ٣٨٨

تأليف : أحمد قدامة

طبع بمطابع ألف باء في دمشق ١٩٦٥ م

هذا كتاب مرتب على حروف المعجم ، يبحث في المدن والقرى والمدارس والمساجد والقصور وأبواب المدن وأحيائها والجبال والأنهر والأودية والأمكنة الأثرية .

أما التراجم فقد ترجم المؤلف لبعض الأنبياء والخلفاء والأمراء والوزراء والولاة والقواد والفلاسفة والأطباء والأدباء والمحامين والقضاة ورجال السياسة والدين والإدارة وغيرهم ممن سبقوا إلى رحمة الله ومن بقوا على قيد الحياة ، وقد ترجم أحياناً لأناس ليسوا من سورية كلفوضين الساميين الفرنسيين . وابقراط الطبيب اليوناني ، حيث قال المؤلف « ص ٧ » : وكان في بساتين دمشق موضع يعرف باسم صفة بقراط ظلت معروفة إلى سنة ٦٤٦ هـ .

وذكر المؤلف في معجمه بعض الشعوب غير الإسلامية العربية والأجنبية ممن لهم علاقة بالقطر السوري قبل الإسلام وبعده ، وعدد في مؤلفه بعض المذاهب الدينية وفرقها .

وأورد الأستاذ قدامة في مؤلفه بعض العشائر والعائلات والنسب والألقاب والكنى للأسر والأشخاص ، وفسرها ، وعرفها ، وردّها إلى أصولها . كما فسر بعض الألفاظ الأجنبية التي لا تزال مستعملة لدى المعاصرين في سورية وأبان تحريفها وردّها إلى أصولها .

وخلاصة القول فقد أورد المؤلف في معجمه أبحاثاً متنوعة في مواضيع مختلفة فذكر بعض الكتب المقدسة وبعض الصناعات والانتقالات والثورات السورية والمكايل والموازين والأشهر والجمعيات والنوادي والأحزاب السياسية وجامعتي دمشق وحلب والخط الحجازي وغير ذلك .

هذا يحمل ما في الكتاب من مباحث وموضوعات ، وقد رتبها المؤلف على حروف المعجم ، فذكر المترجمين بما يشتهرون بنسبهم ، وهذا ربما انطبق على المحدثين منهم ، وأما القدامى فمن السير أن يترجموا كما يترجم المعاصرون ، لأنه لهم عدة نسب وألقاب يتعذر أحياناً على المرء أن يختار أحدها جازماً .

وأما مصادر الكتاب فقد ذكرها في مقدمته ، وكان الأجدر أن تذكر في صلب كل مادة مع بيان الجزء ورقم الصفحة ، ليتسنى للباحث الرجوع إليها ، وقد اعتذر المؤلف عن ذلك فقال في مقدمة كتابه : أوردت بعد أكثر التراجم أهم المصادر عنها ليعود إليها من أراد التوسع ، أما للعالم فقد تعذر إيراد مصادرها لوفرة عدد العالم ، ثم لقلة عدد المصادر عنها ، فلو كررت تحت كل معلم مصادره لتضاعف حجم الكتاب ، ولذا اكتفيت بسردها بمجموعة في أول الكتاب .

وقد لاحظنا في تراجم المعاصرين عدداً منهم ، قد ذكرت ولادتهم على غير حقيقتها ، إما أن المؤلف قد رجع إلى هوياتهم الشخصية الرسمية أو نقلها من مصادر مذكورة على غير حقيقتها ، أو اعتمدها أصحابها كما هي في سجلات الأحوال المدنية .

قد ذكر المؤلف فؤاد بن رضا الحلبي : أنه ولد بدمشق ١٩٠٦ م ، وأحيل على التقاعد بلوغه السن القانونية «وهي ستون عاماً» ، وتوفي في ٥ نيسان ١٩٦٤ م (ص ٣٣٠) .

ومن الأخطاء التي عثرنا عليها في (ص ٣٥٩) : نهر جنجغ ينبع من ضواحي بلدة القامشلي ، مع أنه ليس من ضواحي القامشلي كما ورد في مادة جنجغ (ص ٢٥٠) : وهو ينبع في الأراضي التركية على بعد نحو عشرين كيلومتراً من الحدود السورية .

وهناك بعض الأخطاء والهفوات التي لا يخلو منها كتاب ، ولا سيما مثل هذا المعجم المتنوع الأبحاث والموضوعات ، وقد ختم المؤلف مقدمته بقوله : وختاماً أعلن بكل جرأة وتواضع أن هذا الأثر ، وقد كان نتيجة جهد فردي ، ليس إلا محاولة بدائية وتجربة أولى لوضع معجم كامل لبلادنا ، وهي محاولة مر بها كل معجم من نوعه ولا بد من إعادة وتكرار ، ومن تصحيح وتقويم ، ومن تهذيب وزيادة وهذا لا يتم إلا في سنوات ، وفي جو رحب من التشجيع والعون وتواتر الجهود ، ومن أجل هذا أتوجه بالرجاء الحار إلى كل قارئ يطلع على خطأ أو هفوة أو نقص أو ملاحظة تسن له أن يتفضل بالكتابة إليّ ليتمكن تدارك ذلك في الملحق الذي يصدر في آخر الكتاب . وله مني جزيل الشكر ، ومن الوطن حسن الثواب .

عمر رضا كحالة



المستدرك على الكشف عن مخطوطات

خزائن كتب الأوقاف

تأليف : عبد الله الجبوري

طبع في مطبعة المعارف بغداد (سنة ١٩٦٥)

تأسست مكتبة الأوقاف العامة ببغداد في عام ١٩٢٨ م وقد جمعت كتبها من تسع خزائن ومما أوقفه بعض أهل البر والإحسان ، فبلغ عدد كتبها ٣٦١٤ مخطوطاً في اللغات العربية والفارسية والتركية والكردية .

وقد سبق أن المرحوم الدكتور محمد أسعد طلس قد صنف فهرساً لهذه المكتبة ، وطبع بنفقة مديرية الأوقاف العامة ببغداد في سنة ١٩٥٣ م في ٤٢٨ صفحة من القطع الكبير .

ثم وردت إلى المكتبة بين عامي ١٩٥١ - ١٩٦٠ م مخطوطات كثيرة ، كان مصدرها جامع المصرف ، جامع القبلانية ، جامع الآصفية ، خزانة محمد سعيد الطبقجي ، خزانة عبد الحليم الخاقاني ، وخزانة علي حيدر الباجه جي .

ولما تسلم مصنف هذا الفهرس أمانة المكتبة المذكورة في عام ١٩٦٣ م ، عمد إلى تصنيف هذا المستدرك الذي بلغ ٤١١ صفحة ، فهرس فيه المخطوطات التي وردت إلى المكتبة بعد تصنيف فهرس الكشف ، فوضع لكل مخطوط رقماً متسلسلاً من ١ - ٤٠٧ ، وذكر عنوان المخطوط بحروف بارزة ، وطول الكتاب وعرضه ، وترجم مؤلفي هذه المخطوطات وأشار إلى المصادر التي اعتمدها في الترجمة ، ووصف المخطوط فذكر أوله وآخره ،

فمحتوياته ومادته ، ثم ذكر تملكه والإجازات والسماعات إن وجدت ، وأشار إلى مكان طبعه وتاريخه إذا تحقق ذلك .

ثم وصف المخطوط وصفاً مادياً ، من حيث تجليده ونوع ورقه وخطه ، وذكر اسم ناسخه وتاريخ ومكان نسخه .

وأما الموضوعات التي حواها هذا المستدرك فهي : القرآن الكريم ، القراءات والتجويد ، تفسير القرآن الكريم وعلومه ، الحديث وعلومه ، السيرة النبوية وقصص الأنبياء ، الفقه ، المواعظ والحكم ، الحكمة والفلسفة ، الكلام والفرائض ، الردود والفرق ، التصوف والأخلاق الدينية ، الآداب ، الشعر ، علم الوضع ، اللغة ، النحو ، الصرف ، البلاغة ، العروض ، المنطق ، الرياضيات ، الهيئة والفلك ، الطب والكيمياء ، التاريخ والطبقات والتراجم ، البلدان والجغرافية ، مواضيع مختلفة ، والمجاميع .

ويلاحظ من تنسيق وترتيب هذه الموضوعات أنها لم تنسق على قواعد معينة ، أو منهاج خاص ، وكان يحسن بالمصنف الفاضل أن يصنف فهرسه على التنسيق الشري فيذكر الكليات العامة أي التأليف العامة التي تحتوي على أبحاث مختلفة كالمجاميع وغيرها ، ثم الفلسفة ، فالدين ، فالعلوم الاجتماعية ، فاللغات ، فالعلوم الطبيعية ، فالعلوم العملية ، فالفنون الجميلة ، فالآداب اللغات ، فالتاريخ .

وبالختام نشكر الأستاذ المصنف على ما بذل من جهد في إخراج هذا المستدرك ، راجين له التوفيق في إخراج غيره من فهارس المخطوطات .

(ع.ك)



الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة

بقلم الشيخ محمد بهجة البيطار

رسالة تشتمل على نحو سبعين صفحة في مناقشات علمية بين الشيخ محمد الخالصي والشيخ محمد بهجة البيطار تتعلق بالأذان وقيام الليل وصلاة التراويح والصحابة والسلف في الكتاب والسنة وبيعة الرضوان وما ذكرته السنة من فضائل الصحابة ومذهب زيد والزيدية والنسخ في القرآن وفي جمعه وفي حديث النزول وتصحيح خطأ ابن بطوطة ، وفيها ردود للأستاذ البيطار على مسائل الأستاذ الخالصي بإيجاز وبيان مدعوم بالأدلة من الكتاب والسنة تثبت فضائل الصحابة ، وقد اطلع على هذه الرسالة المتممة في العراق الشيخ بهجة الأثري فشكر الأستاذ البيطار على هديته بكلمة تصلح أن تكون تقریظاً للرسالة فقال : « ولقد أفدت من جليل استدلالكم العلمية المنطقية في هذه الرسالة البليغة في بيان وجهة الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كما عودتمونا دائماً في كل ماتفيضونه في مؤلفاتكم من علم غزير ومنطق سديد ولنة مهذبة عالية في تقويم الاعوجاج وتسديد الانحراف نفع الله المسلمين بعلومكم وهداكم وزادنا بوجودكم إفادة وإمتاعاً . »

عز الدين الشروحي



آراء وأنباء

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق في سنة ١٣٨٥ / ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م

أعضاء العاملون

١ - الرئيس : الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي	
٢ الدكتور أسعد الحكيم	١٠ الدكتور شكري فيصل
٣ = أجمد الطرابلسي	١١ الأستاذ عارف النكدي
٤ الأمير جعفر الحسني (أمين المجمع)	١٢ الدكتور عدنان الخطيب
٥ الدكتور جميل صليبا	١٣ الأستاذ عز الدين التتوخي (نائب الرئيس)
٦ = حسني سبح	١٤ الشيخ محمد بهجة البيطار
٧ = حكمة هاشم	١٥ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكي
٨ = سامي الدهان	١٦ = محمد كامل عياد
٩ الأستاذ شفيق جبري	١٧ الأستاذ محمد المبارك

أعضاء المرسلون

الجمهورية العربية السورية	الجمهورية العربية المتحدة
١ الدكتور عبد الرحمن الكيالي	٦ الأستاذ أحمد حسن الزيات
٢ الأستاذ عمر أبو ريشة	٧ الدكتور أحمد زكي
٣ = محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)	٨ = طه حسين
٤ الدكتور قسطنطين زريق	٩ الأمير يوسف كمال
٥ الأستاذ نظير زيتون	لبنان
	١٠ الأستاذ أنيس المقدسي

١١ الأستاذ بشارة الخوري (الأخطل الصغير)	٢٧ الأستاذ علي الفقيه حسن	المملكة الليبية
١٢ الدكتور صبحي الحمصاني	٢٨ الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب	الجمهورية التونسية
١٣ = عمر فروخ	٢٩ = محمد الطاهر ابن عاشور	المملكة المغربية
فلسطين	٣٠ الأستاذ عبد الله كنون	تركيا
١٤ الأستاذ قدري حافظ طوقان	٣١ = علال الفاسي	الأستاذ أحمد آتش
المملكة الهاشمية الاردنية		ايران
١٥ الأستاذ محمد الشريقي		٣٣ الدكتور علي أصغر حكمت
الجمهورية العراقية		الهند
١٦ الأستاذ أحمد حامد الصراف		٣٤ الأستاذ آصف علي أصغر فيضي
١٧ = ساطع الحصري		٣٥ = أبو الحسن علي الحسيني الندوي
١٨ = عباس الزاوي		باكستان
١٩ الشيخ كاظم الدجيلي		٣٦ الأستاذ عبد العزيز الميمني
٢٠ الأستاذ كوركيس عواد		٣٧ = يوسف البنوري
٢١ الشيخ محمد بهجة الأثري		فرنسة
٢٢ الدكتور مصطفى جواد		٣٨ الدكتور بلاشير (رجيس)
٢٣ الأستاذ منير القاضي		٣٩ الأستاذ كولان (جورج)
السودان		
٢٤ الشيخ محمد نور الحسن		
المملكة العربية السعودية		
٢٥ الأستاذ حمد الجاسر		
٢٦ = خير الدين الزركلي		

٤٠ الأستاذ لاوست (هنري)	النمسة
٤١ = ماسه (هنري)	٥٠ الدكتور اشتولز (كارل)
بريطانية	٥١ الأستاذ موجيك (هانز)
٤٢ الأستاذ أربري (أ. ج.)	إيطاليا
٤٣ = جيب (ه. ا. ر.)	٥٢ الأستاذ جبرائيل (فرنسيسكو)
المانية	هولاندة
٤٤ الأستاذ ريتز (هاموت)	٥٣ الدكتور شخت (يوسف)
٤٥ = هارتمان (ريشارد)	الدانيمرك
السويد	٥٤ الأستاذ بدرسن (جون)
٤٦ الأستاذ ديدرق (س.)	فنلانة
الولايات المتحدة الاميركية	٥٥ الأستاذ كرسيكو (يوحنا هتن)
٤٧ الدكتور ضودج (يارد)	البرازيل
٤٨ الأستاذ فيليب حتي	٥٦ الأستاذ رشيد سليم الخوري
اسبانية	
٤٩ الأستاذ غومز (اميليو غارسيا)	



أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

- ٢٣ الأستاذ قسطنطين الحمصي
 ٢٤ الشيخ كامل الغزي
 ٢٥ الأستاذ ميخائيل العقال
 ٢٦ الشيخ بدر الدين النعساني
 ٢٧ = راجب الطباخ
 ٢٨ = عبد الحميد الجباري
 ٢٩ = عبد الحميد الكيالي
 ٣٠ = محمد زين العابدين
 ٣١ الدكتور صالح قنبار
 ٣٢ الشيخ سليمان الأحمد
 ٣٣ الأستاذ ادوار مرقص
 ٣٤ الشيخ سعيد العرفي
 ٣٥ البطريك ماراغناطيوس افرام
 ٣٦ الشيخ امين سويد
 ٣٧ الدكتور جميل الخاني
 ٣٨ الاستاذ متري قندلفت

الجمهورية العربية المتحدة

- ٣٩ الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
 ٤٠ = رفيق العظم
 ٤١ = أحمد كمال
 ٤٢ = أحمد تيمور
 ٤٣ = أحمد زكي باشا
 ٤٤ الدكتور يعقوب ضرّوف

الجمهورية العربية السورية

- ١ الشيخ طاهر الجزائري
 ٢ = سليم البخاري
 ٣ = مسعود الكواكبي
 ٤ الأستاذ إلياس قدسي
 ٥ = أنيس سلوم
 ٦ = جميل المظم
 ٧ = سليم عنجوري
 ٨ = عبد الله رعد
 ٩ = رشيد بقدونس
 ١٠ = أديب التقي
 ١١ الشيخ عبد القادر المبارك
 ١٢ الأستاذ معروف الأرناؤوط
 ١٣ السيد محسن الأمين
 ١٤ الأستاذ الرئيس محمد كرد علي
 ١٥ = محمد البزم
 ١٦ = سليم الجندي
 ١٧ الشيخ عبد القادر المغربي
 ١٨ الأستاذ الرئيس خليل مردم بك
 ١٩ الدكتور مرشد خاطر
 ٢٠ الاستاذ فارس الخوري
 ٢١ الأب جرجس شلحت
 ٢٢ = جرجس منش

٤٥	السيد محمد رشيد رضا	لبنان
٤٦	الأستاذ حافظ إبراهيم	٦٩ الأستاذ حسن بهيم
٤٧	= أحمد شوقي	٧٠ الأب لويس شيخو
٤٨	الشيخ أحمد الاسكندري	٧١ الشيخ عبد الله البستاني
٤٩	الأستاذ أسعد خليل داغر	٧٢ الأستاذ جبر ضومط
٥٠	= داود بركات	٧٣ = عبد الباسط فتح الله
٥١	الدكتور أمين المعلوف	٧٤ الشيخ عبد الرحمن سلام
٥٢	الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	٧٥ = مصطفى الغلاييني
٥٣	الشيخ عبد العزيز البشري	٧٦ الأستاذ عمر الفاخوري
٥٤	الدكتور أحمد عيسى	٧٧ = بولص الخولي
٥٥	الأمير عمر طوسون	٧٨ = أمين الريحاني
٥٦	الشيخ مصطفى عبد الرازق	٧٩ الأمير شبيب أرسلان
٥٧	الأستاذ انطون الجميل	٨٠ الشيخ إبراهيم المنذر
٥٨	= خليل مطران	٨١ الأستاذ جرجي نبي
٥٩	= إبراهيم عبد القادر المازني	٨٢ الشيخ أحمد رضا
٦٠	= محمد لطفي جمعة	٨٣ الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف
٦١	الدكتور أحمد أمين	٨٤ = فيليب طرازي
٦٢	الأستاذ عبد الحميد العبادي	٨٥ الشيخ فؤاد الخطيب
٦٣	الشيخ محمد الخضر حسين	٨٦ الدكتور نقولا فياض
٦٤	الدكتور عبد الوهاب عزام	٨٧ الشيخ سليمان ظاهر
٦٥	= منصور فهمي	٨٨ الأستاذ مارون عبود
٦٦	الأستاذ أحمد لطفي السيد	فلسطين
٦٧	= عباس محمود العقاد	٨٩ الشيخ سعيد الكرمي
٦٨	= خليل ثابت	٩٠ الأستاذ نخلة زريق

٩١ الشيخ خليل الخالدي	ايران
٩٢ الأستاذ عبد الله مخلص	١٠٩ الشيخ أبو عبد الله الزنجاني
٩٣ = محمد اسعاف النشاشيبي	١١٠ الأستاذ عباس إقبال
٩٤ الأستاذ عادل زعير	الهند
٩٥ الأب ا. س. مرمجي الدومنيكي	١١١ الحكيم محمد أجمل خان
الجمهورية العراقية	فرنسة
٩٦ الأستاذ محمود شكري الألوسي	١١٢ الأستاذ فران (جبرئيل)
٩٧ = جميل صدقي الزهاوي	١١٣ = هوار (كليمان)
٩٨ = معروف الرصافي	١١٤ = بوقا (لوسيان)
٩٩ = طه الراوي	١١٥ = مالتجو
١٠٠ الأب انستاس ماري الكرملي	١١٦ = كي (ارتور)
١٠١ الدكتور داود الحلبي	١١٧ = باسه (رينه)
١٠٢ الأستاذ طه الهاشمي	١١٨ = ميشو بلير
١٠٣ = محمد رضا الشبيبي	١١٩ = مارسيه (وليم)
الجمهورية الجزائرية	١٢٠ = دوسو (رينه)
١٠٤ الشيخ محمد بن أبي شنب	١٢١ = ماسينيون (لويس)
١٠٥ الأستاذ محمد البشير الابراهيمي	بريطانية
المملكة المغربية	١٢٢ الأستاذ مرجليوث (د. س.)
١٠٦ الأستاذ محمد الحجوي	١٢٣ = بفن
١٠٧ = عبد الحي الكتاني	١٢٤ = براون (ادوارد)
توكية	١٢٥ = كرينكو (فريتز)
١٠٨ الأستاذ زكي مفاخر	١٢٦ = غليوم (الفرد)

المائة	إيطاليا
١٢٧ الأستاذ هومل	١٤٢ الأستاذ جويدي (اغنازيو)
١٢٨ = ساخو (ادوارد)	١٤٣ = نالينو (كارلو)
١٢٩ = هوروفيتز (يوسف)	١٤٤ = غريفي (اوجينيو)
١٣٠ = دارتمان (مارتين)	سويسرة
١٣١ = ميتفوخ (اوجين)	١٤٥ الأستاذ مونته (ادوارد)
١٣٢ = بروكين (كارل)	١٤٦ = هس (ج. ج. ٠)
المجر	بولونية
١٣٣ الأستاذ غولد صير (اغناطيوس)	١٤٧ الأستاذ كوفالسكي (ت. ٠)
١٣٤ = ماهر (ادوارد)	تشكوسلوفاكية
الولايات المتحدة الاميركية	١٤٨ الأستاذ موزل (الوا)
١٣٥ الأستاذ ماكدونالد (د. ب. ٠)	هولاندة
١٣٦ = هرزفالد (ارنست)	١٤٩ الأستاذ هورغرنيه (سنوك)
١٣٧ = سارطون (جورج)	١٥٠ = اراندوك (ك. ٠)
الاتحاد السوفياتي	١٥١ = هوتسا (م. ت. ٠)
١٣٨ الأستاذ كراتشكوفسكي (أ)	الدانمارك
١٣٩ = برتلز (ايفيكين)	١٥٢ الأستاذ بوهل (ف. م. ب. ٠)
اسبانية	١٥٣ = استروب (ج. ٠)
١٤٠ الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكال)	السويد
البرتغال	١٥٤ الأستاذ مترستين (ك. ف. ٠)
١٤١ الأستاذ لويس (دافيد)	البرازيل
	١٥٥ الأستاذ سعيد أبو جرة



ملاحظات ستى نفوز وعلمية

(١) تنتهي سُورِيَّةُ بِياءٍ غير مشددة تليها تاء . — نشرت في المجلد

السابع والثلاثين (سنة ١٩٦٢ ص ٣٠٦) من هذه المجلة صورة كتاب كنت أرسلته إلى وزارة التربية والتعليم ، بعنوان « سوريا وسورية » ، وبينت فيه أن القاموس والتاج وجملة من المراجع الموثوق بها لم تذكر هذه الكلمة إلا بياء غير مشددة تليها تاء لا ألف . وبعد أن أذاعت الوزارة هذا الكتاب أخذ الموظفون والكتاب والمذيعون يهون اسم قطرنا بالتاء بدلاً من الألف . ولكنني لاحظت أن معظمهم ما برحوا يشددون ياء سورية حتى يومنا هذا فيقولون مثلاً : « إن سورِيَّةَ قطر عربي » بتشديد ياء سورية ، وذلك غلط . والصحيح تخفيفها ، في تلك الجملة فيقال : « إن سورِيَّةَ قطر عربي » . ومن الطبيعي أن تشديد الياء إنما يكون في النسب إلى سورِيَّةَ ، وذلك في مثل قولنا : « مصنوعاتٌ سورِيَّةٌ » أي منسوبة إلى سورِيَّةَ . أما في الإضافة فيقال : « مصنوعاتٌ سورِيَّةٌ » بلا تشديد .

(٢) إِسْكَندَرُوتة . — سمعت من محطة الإذاعة بدمشق ، ومن أفواه

بعضهم أحاديث عن إسْكَندَرُوتة التي فصلت عن سورية في زمن الانتداب الفرنسي عليها . ووجدت الكثيرين يسمون تلك الكورة السورية إسْكَندَرُون والإسْكَندَرُون بلا تاء في آخر الكلمة بعد النون . وكلا اللفظين غلط . والصحيح إنهاء الاسم المذكور بالتاء ، وعدم إضافة ال التعريف إليه ، على ما ورد في معجم البلدان . لياقوت .

(٣) نقطتا الياء المتطرفة . — اعتادت المطابع في سورية ولبنان

وغيرها من الأقطار العربية أن تستعمل حرفين من الياء : الأول تحته نقطتان وهو يدل على الياء ، والثاني ليس تحته نقطتان وهو يدل على الألف المقصورة . أما في القطر المصري فحرف الياء المستعمل في الحالين خالٍ من هاتين النقطتين . ولذلك يضل القاريء في قراءة مثل كلمات على ودتي وجرجي ودلهي وموسيقى وكثير من أشباهها فلا يدري هل آخر حروفها ياء أم ألف مقصورة ، لأن ياءاتها بلا نقط . وقد أخذت بعض المطابع تزيل هذا اللبس بوضع ألف فوق الياء غير المنقطة . ولكن أليس من الأسهل والأصلح الدوام على ماهو متبع في ديار الشام منذ القديم وهو استعمال حرف الياء منقطاً للدلالة على الياء ، وغير منقط للدلالة على الألف المقصورة .

(٤) الفرس للذكر والأنثى . — لا يطلقون في الشام كلمة الفرس

إلا على أنثى الخيل ، على حين أن هذه الكلمة تطلق في المعجمات وفي كتب الخيل القديمة على الذكر وعلى الأنثى أي على الحصان وعلى الحِجَر . ففي المخصص : (ج ٦ ص ١٣٥) « الفَرَس واحد الخيل والجمع أفراس ، الذكر في ذلك والأنثى سواء ، وأصله التأنيث ، وتصغيره بهاء وغيره . وحكى ابن جني فرسة فإن كان كذلك فإنما ذهبوا إلى التوثق من التأنيث ابن جني : الذكر منها حِصان . . . والأنثى حِجَر » .

وفي لسان العرب : الفَرَس واحد الخيل والجمع أفراس الذكر والأنثى في ذلك سواء ولا يقال للأنثى فيه فرسة وحكى ابن جني فرسة الخ .

وفي القاموس المحيط : الفرس للذكر والأنثى ، أو هي فرسة .
وفي تاج العروس نقل الزبيدي في الشرح كلام من عاشوا قبله .
والخلاصة أن الاختصار على التأنيث ، كما في الشام ، غير صحيح .
والصحيح أن يقال هذا الفرس للذكر ، وهذه الفرس للأنثى

(٥) تدل كلمة الغنم على الضأن والمعز وغيرهما . — لا تطلق

كلمة الغنم في الشام إلا على الضأن ، على حين أنها تدل في كتب اللغة على الضأن والمعز وأشباههما . ففي اللسان : « الغنم الشاء لا واحد له من لفظه ... وهو اسم مؤنث موضوع للجنس يقع على الذكور وعلى الإناث ... وتقول هذه غنم لفظ الجماعة . فإذا أفردت الواحدة قلت شاة » .

وفيه : « الشاة الواحد من الغنم يكون للذكر والأنثى ... وقيل الشاة تكون من الضأن والمعز والظباء والبقر والنعام وحمر الوحش ... وقيل في الجمع شياه ... قال ابن سيده : والجمع شاء » . وفي المختص « ج ٧ ص ١٧٦ » : والجمع شاء وشياه ... الخ .

ومن الواضح أن لفظ الغنم لا يقتصر مدلوله على الضأن ، بل يشمل الماعز من دواجن الحيوان المشهورة . وقصر المدلول في الشام على الضأن غير صحيح .

(٦) العنز لا العنززة . — في اللسان : « العنز الماعزة وهي الأنثى

من المعزى والأوعال والظباء . ففي الشام لا تطلق العنز إلا على الماعزة . ثم إنهم يضيفون إليها تاء فيقولون « عنززة » . وزيادة التاء غلط ، لأن هذه التاء لا تدخل على كلمة عنز إلا إذا أطلقت على الحبارى فيقال عنز وعنززة ، على ما جاء في لسان العرب . والعنز في كتب اللغة معان كثيرة منها : العقاب وأنثى الصقور والنسور وضرب من السمك وطيء من طير الماء ، والعنز الأكمة ، والعنز الباطل الخ

(٧) ليمون الجنة . — اسم جميل سمي به علمياً الليمون المعروف

عند الإنكليز والأمريكيين باسم الكريب فروت (Grape · fruit) ، وهو اسم حرفته العامة في دمشق فصار يسمى غير يَفْثُون وكير يَفْثُون .

ومن المعروف عند دارسي النبات أن تصنيفات جنس الليمون Citrus كثيرة ، وأن النباتين كانوا يدخلون الكريب فروت في نوع الليمون الهندي Citrus decumana المسمى Pamplemousse بالفرنسية والفراسكين في لهجة الدماشقة ، فيجعلونه صنفاً أي ضرباً من ذلك النوع . ومنذ سنين قليلة جعلته حديقة النبات الملوكية في انكلترة نوعاً نباتياً مستقلاً وسمته علمياً Citrus paradisi أي ليمون الجنة . والظاهر أن مقترح هذا الاسم يسمى Macfarlane ولذلك صرنا نجد هذا الليمون منسوباً إليه في الموسوعات الحديثة أي أن اسمه العلمي أصبح Citrus paradisi macfarlane أي ليمون الجنة ، مكفرلان .

وما برح علماء النبات يعدون ليمون الجنة هذا إما هيناً وإما نتيجة افتجاء أي طفرة من الليمون الهندي .

(٨) مشتقات عجيبة من الأعيان — ذكرت في كتاب المصطلحات

العلمية في اللغة العربية ، قراراً كان يجمع اللغة العربية في القاهرة اتخذه وهو : « اشتق العرب كثيراً من أسماء الأعيان . والجمع يحيز هذا الاشتقاق — للضرورة — في لغة العلوم » . ومن الأمثلة على ذلك قولنا كهرب — من الكهربا ، ومغنط — من المغناطيس ، وحرج — من الحرجة . كما قال القدماء ذهب — من الذهب ونحس — من النحاس الخ .

ومما استوقف نظري لغرابته بضعة مشتقات قديمة جاءتني بها الباحثة المجدة الأنسة ملك هنانو المداومة على الجمع من مخطوطة (سير النبلاء) للذهبي في ترجمة أبي خليفة الفضل بن الحباب الجُمَحي الأعمى البصري المتوفى سنة ٣٠٥ للهجرة . فالذهبي يقول في ترجمة أبي خليفة هذا : « الإمام العلامة الأديب الإخباري شيخ الوقت ... قال الصولي كنت أقرأ على أبي خليفة كتاب طبقات الشعراء وغير ذلك » .

ثم يذكر الذهبي قصة وقعت لأبي خليفة مع أمير البصرة جاء فيها أن الأمير دعاه إلى مأدبة ، فلما خرج سأله عما جرى له فقال : أحضرني مأدبته فأبطأ وأدَجَّ ، وأفرخَ وقَوَّجَ لَوْدَجَ (كذا في المخطوطة بالذال وبلا واو العطف) . ومنه أطمعنا أو قدم إلينا البط والدجاج والفراخ والفالودج واللوزنج . أرى ابن خليفة وهو عالم استعمل هذه الأفعال المشتقة للتفكه ؛ فكلها لم تثبت بهذه المعاني في الأمهات المشهورة من المعجمات العربية . أم تراه تشبّه بالإمام علي (رض) في قوله نيرزونا كل يوم من حلوى قدمت إليه يوم النيروز ، وقوله في المهرجان مهرجوننا كل يوم .

(٩) اسم قَمَر الدين . — يطلق هذا الاسم في الشام ومصر وغيرها

من البلاد العربية على عصير الشمس يجفف في الشمس على ألواح من خشب فيصير شرائح تسمى قمر الدين . وهو إذا مُرث بالماء يحطّل منه شراب لذيد أكثر ما يستعمل في مصر ولا سيما في رمضان . وصناعة قمر الدين تكثر في الغوطة على ما هو مشهور .

ولم أهتمد إلى زمن وضع هذا الاسم ، فهو ليس حديثاً بل ذكره ابن بطوطة (٧٠٣ — ٧٧٩ هـ) في رحلته فقال في ص ١٨٦ : « ... وفي قونية للشمش المسمى بقمر الدين وقد تقدم ذكره » .

وذكر القلقشندي (٨٢١ هـ) في صبح الأعشى (ج ٥ ص ٣٥٢) الجملة الآتية : (... وفيها «أي قونية» يوجد الشمس المعروف بقمر الدين » . ولعل الثاني نقل الجملة المذكورة عن الأول . ومن الطبيعي أن المراد بكلمة الشمس هذه الشرائح المجففة لا ثمر الشمس . فتمى وضع هذا الاسم ولأي سبب ؟

(١٠) الإضبارة والملف . — منذ قامت الحكومة العربية السورية

عقب الحرب العالمية الأولى طلب من المجمع العلمي العربي أن يوصي بكلمة عربية صحيحة تستعمل في الدوائر الحكومية بدلاً من كلمة دوسية (Dossier) الدالة على جملة أوراق متعلقة بشخص أو بقضية أو بغير ذلك ، فأشار المجمع بكلمة «إضبارة» وهي صحيحة وحسنة وجمعها أضابير . ففي اللسان : الإضبارة الحزمة من الصحف وهي الإضمامة . وعن ابن السكيت يقال جاء فلان بإضبارة من كتب وإضمامة من كتب . وهي الأضابير والأضاميم . وعن الليث إضبارة من صحف أو سهام أي حزمة الخ .

وفي القاموس : والإضبارة بالكسر والفتح الحزمة من الصحف ج أضابير . فمن البين إذن أن كلمة الإضبارة هي اصطلاح حسن يجوز استعماله أمام كلمة Dossier الفرنسية . أما كلمة الملف فلا وجه لها . وهي اسم آلة من لف الشيء بالشيء أي ضمه إليه ووصله به . وهي بمعنى الدوسية محدثة تستعمل في مصر . ولذلك أثبتت في المعجم الوسيط . وذكر أنها محدثة . وعرفت فيه بأنها : «الإضبارة تجمع أوراقاً مختلفة في موضوع واحد أو أكثر» .

والإضبارة تستعمل في ديار الشام منذ نحو نصف قرن على ما مر ذكره ؛ أما الملف المحدثة فقد أخذت تنتشر فيها حديثاً بتأثير صحافة مصر وإذاعاتها .



أمثلة

من الأغلاط الواقعة في لسان العرب

- ٦ -

(٦٠)

من لطائف المطبعيات ما ورد على الهامش في مادة علف .
 قال المصحح : « ضبط في الأصل والصحاح بـ "المكيم" فافهم يا فهم !
 قد يكون المقصود من « بـ "المكيم" بكسر الميم والله أعلم على رأيهم .
 هذه غلطة مطبعية إذا ذكرت فمن باب الدِّعَاب ولكن في تفسير
 هذه المادة غلط دماغي يظهر عمله السيئ في كثير من كتب اللغة ،
 وهو الاتِّكَال الدائم وبصورة قطعية على ما قال فلان وقال فلان - فين
 « ابن برّي أنكره » و « ابن جني أثبتته » و « في الصحاح كذا »
 و « قال في القاموس كذا » تحدث الفوضى . - مثاله : قال اللسان
 « والمعلف (بكسر الميم) موضع العلف » - فكتب المصحح على الهامش
 « قوله » والمعلف موضع العلف ضبط في الأصل والصحاح وصرّح به
 في المصباح . وقال في القاموس « هو كمقعد » - كتبه مصححه . فالمصحح
 ألقى المسؤولية على ابن منظور والجوهري والفيثومي من جهة وعلى الفيروزابادي
 من جهة ولم يشأ ترك الاعتداد بمن قال - وهو لو اعتدّ بمطابقة ما قيل
 لأحكام اللغة (وهي فوق كل فردٍ منها كان) لكتب على الهامش : « اتفقوا
 على أن المعلف موضع العلف - والموضع مكان وما يدل عليه يقال له اسم
 المكان واسم المكان لا يكون بكسر الميم بل بفتحها فالمجد مصيب في قوله
 كمقعد أي معلف بفتح الميم . » و انتهى الأمر .

. * * *

(٦١)

مادة ص و ب — أَصَوَّبَ .

قال : « وأصابه بكذا فجعله به وأصابهم الدهر بنفوسهم جاحهم فيها ففجعهم - ابن الأعرابي : ما كنت مصاباً ولقد أصيبت وإذا قال الرجل لآخر أنت مصاب قال أنت أَصَوَّبَ منّي حكاة ابن الأعرابي » .

(١) أَفْعَلَ التفضيل لا يُبْنَى مِمَّا فوق الثلاثي .

(٢) = = لا يُبْنَى مِمَّا هو للمفعول .

فأنت أَصَوَّبَ مني تفضيل من مصاب وهذه من الرباعي والمفعول .
فالقول فاسد مضلل .

أمّا الصحيح فهو ورود أَصَوَّبَ من صاب بمعنى صاب السهم قَصَدَ الرميّة ولم يحْدِ ومنه رأي صائب وكذلك صاب النيث - وأنا أرى غيرَ هذا المذهب أَصَوَّبَ . هذه جملة من « العمدة » وبنائها صحيح .

★ ★ ★

(٦٢)

مادة قن — اسْتَفْتَنَ .

لا يذكر اللسان فعل استفن . [ولا غيره ذكره في ما اطّاعت عليه]
وهذا الفعل وارد في شعر جرير - ولكن المطالبة به ليست لأنه وارد
في شعر جرير وحسب بل لأن صاحب اللسان استشهد بيت لجرير فيه
هذا الفعل .

قال : « القوُس [بضم القاف] صومعة الراهب قال جرير وذكر امرأة :
لا وَصِّلْ إِذْ صُرِفَتْ هَنْدٌ وَلَوْ وَقَفَتْ . لا ستفتنتني وذاليسحّين في القوُسِ

وفي المادة ذاتها يقول **فَتَّان** (بضم الفاء) جمع **فَتَّان** (بفتحها) - ولا يقدم شواهد .

وزن **فُعَّال** (بضم الفاء) جمع لفاعل صحيح اللام وصفاً لمذكر أو لمؤنث : **حراس** ، **طلاب** . وندر استعماله في معتل اللام وغير فاعل :

وفُعِّلُ لفاعل وفاعله وصفين نحو عاذِلٌ وعاذله^(١) ومثله **الفُعَّال** في ما ذكرنا وذان في **المُعَلِّل** لاماً ندرا فقله إمّا غير صحيح وإمّا غير تامّ - فإنّ وجدَ شاهداً لشاعر معترف به في بيت ليست فيه ضرورة وزن أو قافية فعليه بعد تقديم الشاهد أن يقول وهذا جمع شاذّ أو نادر وما الداعي إلى هذا سوى وقاية الطالب خطر القياس عليه فالنادر لا يقاس عليه .

وفي هذه المادة أيضاً يقول إنَّ أبا بكر رأى بلالاً وقد **مطّي** في الشمس (بتشديد الطاء - مجهول من الرباعي) وفي مادة **م ط و** يقول إنَّه رأى بلالاً وقد **مطّي** (بلا شدة مجهول ثلاثي) - ولا يذكر الفعل الرباعي **مطّي** في المادة . فإنّ وجد هذا الفعل الرباعي للبالغ في معنى الثلاثي كما استعمله في **ف ت ن** وجب ذكره في **م ط و** . وإن كان غير موجود في اللغة وجب تصحيح ما كتبه في **ف ت ن** .

★ ★ ★

(٦٣)

مادة **ف ض ي** - أفضى .

نصّه صريح صحيح . « أفضيت إليه بسيرتي » - الفعل يتعدّى بالياء . ولكن إذا قرأنا مادة **ب ط ن** نجد « أنّ المؤمنين نهّوا أن يفضوا إليهم

(١) لهما في ألفية ابن مالك .. (لجنة المجلة)

أسرارهم، وهي ليست مطبعية لآثته وضع فتحة على الراء الثانية أي أنه أعربها مفعولاً به .

★ ★ ★

(٦٤)

مادة خ ش ي .

يقول : « هذا المكان أخشى من ذلك أي أشدّ خوفاً » .
لنبتدى بتفسيره الواقع بعد أي : أشدّ خوفاً ، بموجب ما يقوله هو في مادة خ وف ، معناها الذي يخاف أكثر من غيره . فهل ينطبق هذا المعنى على ما يعنيه في عبارة هذا المكان أخشى من ذلك ؟
وفي أسفل الصفحة يقول مكرراً : وهذا المكان أخشى من هذا أي أخوف منه . جاء فيه التعجب من المفعول وهذا نادر وقد حكى سيويه منه أشياء .

كرّر الخطأ ولكنه في التكريرة قال وهذا نادر وكان عليه أن يقول هذا في المرة الأولى .

استند في قوله الأوّل إلى بيت للعجاج « قطعت أخشاه إذا ما أحبّجا » ولا يصح الاستناد إلى بيت شعر مخالف للقواعد لضرورة الوزن وإن كان قائله العجاج . وفي المرة الثانية استند إلى « وقد حكى سيويه منه أشياء » وهو استناد ضعيف لأنه لم يذكر الأشياء المحكيّة ولأن أحكام اللغة أعلى من سيويه .

ثم إنه قال « جاء فيه التعجب من المفعول » . وهو يعني التفضيل . الصيغة واحدة ولكن التعجب شيء والتفضيل شيء آخر فلا يجوز أن يخلط الواحد بالآخر في المعجم .

عود إلى السطر الأول : « أي أشدّ خوفاً » .
في تفسير الخطأ « أخشى من ذلك » خطأ آخر . فبدلاً من أشدّ
خوفاً كان عليه أن يقول أشدّ إخافة .

★ ★ ★

(٦٥)

مادة م ل و - تملّى .

يقول : تملّى العيش ، تملّيتُ حياً ، تملّى إخوانه أي تمتّع (به أو بهم) .
فِعْلٌ تَمَلَّى يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ (بلا واسطة) إلى المفعول بهِ والأمثلة
التي قدّمها تبين ذلك . ولكنّه في مادة ل ب س خالف نفسه
فقال لبس قوماً تملّى بهم دهرأ فعدّى الفعل بالحرف . ومجد الدين فعل
فعل ابن منظور والأمثلة نفسها فكأنها نقلت عن كتاب واحد .. وجاء بعدها
«نقلنا عصرنا والذي قبله» فأوردوا الأمثلة عينها بالخطأ ذاته - أمّا الزنجشري
فانه قال لبستُ أي تملّيتُ عمره ولبس أباه = تملّيته .

★ ★ ★

(٦٦)

مادة س ط ر : أسطورة .

قال : « الأساطير أحاديث لا نظام لها . قال أبو الحسن لا واحد لها .
وقال أبو عبيدة جميع سطر على أسطر ثم جمع أسطر على أساطير - وقال
الليثاني واحد الأساطير أسطورة وإسطير وإسطيرة وقال قوم أساطير جمع
أسطار وأسطار جمع سطر - وقال سطر الأساطير وسطر علينا
أتانا الأساطير » - وعلى هذا النسق جرّ .

كل ما قالوه في هذه المادة شبيه بما قالوه في الاسطرلاب والمند
وإبليس وشمت فلا يعتد به ، في العصور التي ظهرت فيها الأساطير
لم تكن كتابة ولا تسطير - فالأساطير كانت تروى عصوراً طوالاً قبل
أن تستطر . وأكثر الأمم القديمة أساطير اليونان ويقال للقصة عندهم
إستوريا Istorja فجاءت إلينا كما جاء إبليس « ديابلوس » .

★ ★ ★

(٦٧)

مادة ص ر ر - مصر

قال : « والصَّرَصَر دويبة تحت الأرض تصير أيام الربيع » .
الخطأ في قوله تحت الأرض ظاهر وتصير في أيام الصيف أيضاً ،
إلا إذا كان قصده أن الصيف كان يقال له الربيع الآخر .

★ ★ ★

(٦٨)

مادة ر ب ع - ربيعة

قال : « وربيعة الفرس أبو قبيلة رجل من طيبي وهو ربيعة بن زار
ابن معد بن عدنان وأخوه مضر الحمراء » .

وفي مادة ط و - طيبي .

قال « طيبي » أبو قبيلة من اليمن وهو طيبي بن أدد بن زيد بن كهلان
ابن سبأ بن حمير - وعدم الضبط لا يحتاج إلى التبيين .

يتبع : (سنيولو) نوفي داور فربان



بيان عن أعمال مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي)

في دورة سنة ١٩٦٤ — ١٩٦٥

يسعدني أن أقدم إلى السادة الزملاء بياناً موجزاً عما أنجزه المجمع خلال الدورة السابقة من المشروعات التي كان أقرها مجلسكم الموقر ، ومن أهم هذه المشروعات طبع (١٦) كتاباً بالإضافة إلى المثابة على إصدار مجلة المجمع . إن المجلة سارت سيرها الطبيعي وصدرت أعدادها في مواعيدها ، وكان الجزء الأول من المجلد الأربعين جزءاً ممتازاً خاصاً بذكرى البدء بإصدار ذلك المجلد الأربعين من المجلة ، وامتاز هذا الجزء بزيادة حجمه ووفرة مواده وتنوع أبحاثه ، واشترك بتحريره نخبة من أعضاء المجمع العاملين والمراسلين ومن أعلام أدباء البلاد العربية . وقد نال هذا الجزء إعجاب كل الذين اطَّلَعُوا عليه من عرب ومستشرقين .

أما في موضوع الكتب المخطوطة فقد تم طبع أكثر الكتب المقررة ، ونأمل أن ينجز الباقي منها خلال المدة الباقية من هذه السنة ، ويحول ما يبقى منها إلى الدورة القادمة ، وقد تم فعلاً طبعها أو قاربت نهاية طبعها وعددها أربعة عشر كتاباً وهي :

١ — المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث : بقلم الأستاذ الرئيس الأمير مصطفى الشهابي .

٢ — أخلاق الوزيرين (أو مثالب الوزيرين) لأبي حيان التوحيدي : بتحقيق الأستاذ محمد بن قاويت الطنجي .

٣ — جمهرة المغنين لتحليل مردم بك : بمراجعة الأستاذين عدنان مردم بك وأحمد الجندي .

م (١٤) .

- ٤ — ما بنته العرب على فعال للصغاني : بتحقيق الدكتور عزة حسن .
 - ٥ — الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره لسليم الجندى (الجزء الثالث) :
بتعليق وإشراف الأستاذ عبد الهادي هاشم .
 - ٦ — تراجم الأعيان من أبناء الزمان للبوريني (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور
صلاح الدين المنجد .
 - ٧ — شعر دعل الخزاعي : صنعة للدكتور عبد الكريم الأشر .
 - ٨ — ديوان عبد الرحمن ابن النقيب : بتحقيق الأستاذ عبد الله الجبوري
ومراجعة الأستاذ أحمد الجندى .
 - ٩ — قرعة العيون في أخبار باب جيرون لابن طولون الصالحى : بتحقيق
الدكتور صلاح الدين المنجد .
 - ١٠ — الوهراني ورقعته عن مساجد دمشق : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
 - ١١ — فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم الحديث) : وضع الأستاذ الشيخ
ناصر الدين الألباني .
 - ١٢ — فهرس المجلدة العاشرة من تاريخ دمشق لابن عساكر : وضع الأنسة
ملك هنانو .
 - ١٣ — جزء من ديوان الفرزدق : بمقدمة وتعليق الدكتور شاكر الفحام
(سيأشر طبعه قريباً جداً) .
 - ١٤ — معجم مصطلحات الآثار القديمة . (فرنسي عربي) وضع الأستاذ الأمير
يحيى الشهابي ومراجعة لجنة بجمعية ومن موظفي مديرية الآثار (سيأشر
طبعه هذا العام ونأمل أن يتم طبعه خلال النصف الأول من السنة القادمة) .
- وقد تأخر طبع بقية الكتب المقرر طبعها في السنة المالية الحالية لعدم
انجاز تحقيقها ولذلك حل محلها غيرها من الكتب الجديدة التي لم تقترح
في الدورة السابقة .

الشؤون الإدارية :

- ١ — إن موضوع ملء المقاعد الشاغرة بين الأعضاء العاملين والأعضاء المراسلين لم يتخذ أي قرار بشأنه لأنه يتعذر تأمين النصاب القانوني اللازم للانتخاب بسبب غياب أكثر من ثلث الأعضاء العاملين عن سورية .
- ٢ — تم استملاك واستلام القسمين من المقارين المجاورين لدار الكتب الظاهرية وهدمت الأبنية القديمة القائمة عليها تمهيداً لتنفيذ مشروع التوسيع في قاعات المطالعة والمستودع . وقد طلبنا إلى وزارة الأشغال العامة أن تعهد إلى أحد مهندسيها ليتولى وضع التصميم المطلوب تنفيذه .
- ٣ — وافق الجمع تنفيذاً للاتفاقية المبرمة بين سورية والاتحاد السوفياتي — على استخدام خير روسي عالم بحفظ المخطوطات وترميمها وصيانتها ، ليعمل في دار الكتب الظاهرية مدة ثلاثة أشهر ضمن اختصاصه وأن يتحمل الجمع نفقات إقامته وتنقلاته في سورية .
- ٤ — تم جرد محتويات خزانة كتب الجمع والمستودع والأثاث بناء على طلب وزارة المالية ، وقد استغرق هذا الجرد بضعة أشهر .

اهتزاز الكتب :

أهدى ابن دمشق البار السيد فخري البارودي خزانة كتبه الثمينة إلى الجمع وبلغ عددها نحو أربعمئة مجلد تضم جملة نفيسة من الكتب والمجاميع الموسيقية النادرة مع مخطوطات من تأليفه الخاصة . وقد وجه إليه الجمع كتاب شكر وتقدير على هذه المأثرة الحميدة .

— دار الكتب الوطنية الظاهرية —

عدل الدوام في دار الكتب من ست ساعات إلى اثنتي عشرة ساعة يومياً وزيادة ساعتين إضافيتين في أيام الامتحانات المدرسية ، وكان لهذا التدبير أطيب الأثر في نفوس المواطنين المخلصين من رواد المكتبة ، وابدئ موظفو ومستخدمو المكتبة جهداً مشكوراً لتحقيق رغبات المطالعين .

أغلقت المكتبة أبوابها أثناء العطلة الصيفية وانصرف موظفوها والمستخدمون للقيام بمجرد عام لمستودعات الكتب المخطوطة والمطبوعة ، وتم هذا الجرد في تلك المدة لأول مرة منذ تأسيس المكتبة وتم في دقة وتنظيم .

ابتاع المجمع للمكتبة جهازاً حديث الصنع لنقل نسخ ثانية عن الأفلام الأصلية للمخطوطات المصورة حتى تتمكن المكتبة بواسطته من تلبية الطلبات التي تردها للحصول على أفلام مصورة لبعض المخطوطات من دون أن تلجأ إلى تكرار استعمال المخطوط في كل مرة يراد تصويره وذلك صيانة للمخطوط وحفظه من التداول المستمر .

انتهت المكتبة من وضع فهرس لكتب الحديث المخطوطة وقد عهد بوضعه إلى الأستاذ الشيخ ناصر الدين الألباني وبأشر المجمع طبعه وانتهت من وضع فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم الطب) : وضعه الأستاذ الدكتور سامي حمارة . كما أنها جادة في إنجاز فهرس كتب اللغة والأدب المخطوطة وهذا الفهرس باشرت وضعه أمينة المخطوطات السيدة أسماء الحمصي .

ودخل المكتبة بطريقة الإهداء أو الشراء (١١٠٧) مجلدة ورسالة مخطوطة ويضاف إلى هذا العدد (٤٢) مجلدة مخطوطة أخرى جمعت من الدشت الموجود في المستودع ، وهذا أكبر عدد يدخل من المخطوطات إلى المكتبة خلال سنة واحدة .

الرفيات :

فقد المجمع عضواً من أعضائه المراسلين وعلماء من أعلام اللغة العربية وهو :
المرحوم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي تغمده الله برحمته ورضوانه .

مشروعات المجمع

للدورة الحالية (١٩٦٥ - ١٩٦٦)

إن نشر التراث العربي القديم هو من أكبر مهام مجمعنا ومن أبرز الأعمال التي حققها ، وقد حظي عمله بتقدير أهل الفضل في البلاد العربية وإعجاب المستشرقين في البلاد الأجنبية ، لذلك أولينا هذه الناحية ما تستحقه من الاهتمام ، وعزم المجمع في هذه الدورة أن يطبع بالإضافة إلى المجلة الكتب التالية :

- ١ - خريدة القصر وجريدة العصر للمهاد الأصفهاني في (قسم بلاد المغرب) :
بتحقيق الدكتور شكري فيصل .
- ٢ - الاعرايات لخايل مردم بك : بتعليق وإشراف الأستاذين عدنان مردم بك وأحمد الجندي .
- ٣ - تاريخ دمشق لابن عساكر (القسم الثاني من المجلد الثانية) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
- ٤ - الدلائل في شرح غريب الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي : بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي .
- ٥ - فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم الطب) : وضعه الدكتور سامي حمارنة .
- ٦ - فهرس مجلة المجمع العلمي العربي (الجزء الرابع للمجلدات ٣١ - ٤٠) :
وضع الأستاذ عمر رضا كحالة .

٧ — التلخيص في معرفة أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري : بتحقيق الدكتور عزة حسن .

٨ — زجر النابح لأبي العلاء المعري : بتحقيق الدكتور أمجد الطرابلسي .

٩ — ديوان الغزي : بتحقيق الدكتور شكري فيصل .

١٠ — كتاب المفوات النادرة لغرس النعمة الصابي : بتحقيق الدكتور صالح الأشر .

١١ — معجم مصطلحات الآثار القديمة (فرنسي — عربي) : وضع الأستاذ الأمير يحيى الشهابي ، ومراجعة لجنة من أعضاء الجمع ومن مديرية الآثار القديمة .

١٢ — شرح أرجوزة أبي نواس « وبلدة فيها زور » لابن جني : بتحقيق الأستاذ الشيخ بهجة الأثري .

١٣ — مقدمة كتاب الحشائش والأدوية لدسقوريدس بترجمة مهران بن منصور ابن مهران وتعريف الدكتور صلاح الدين المنجد .

ومن الأمور التي تقلق الجمع ضيق بناء المكتبة الظاهرية في حالتها الحاضرة ، وقد فكر الجمع منذ عدة سنين في إصلاح البناء وتوسيعه ، ولم يتوفق لذلك . والآن تمكن الجمع بعد جهد سنوات من استملاك ما يحتاج إليه لتوسيع المكتبة وعزلها عن العقارات المجاورة الخطرة . واعتمد المالك اللازم ، ولكن تأخير إنهاء الدراسة الفنية لهذا المشروع حال دون مباشرة العمل ونأمل أن يتم ذلك خلال السنة القادمة .

هذه خلاصة أعمالنا وأوضاعنا فأرجو أن يتفضل الزملاء الأفاضل بإبداء ما عندهم من الملاحظات سواء فيما تم من الأعمال أو فيما يراد عمله . وفقنا الله جميعاً في خدمة لغة القرآن وفي نشر كنوز الأجداد .

أمين الجمع

(جلسة ١٩٦٥/١٠/٧)

مفتي الحسيني



إهداء كتب

أهدت المواطنة الفاضلة الآنسة فلاك طرزي دار الكتب الوطنية (الظاهرية)
بمجموعة من المخطوطات الثمينة والطبوعات القيمة من مخلفات جدها الكبير
الشيخ عبد الغني النابلسي . وهي بادرة طيبة تسجل لها مع الشكر ، آملين
أن يكون عملها هذا أسوة حسنة للذين عندهم من المواطنين الكرام شيء
من هذه المخطوطات والطبوعات لأن في ذلك خدمة جليلة للغة العربية وقراءها .



أغلاط مطبعية وتصويبات

صفحة	سطر	غلط	صواب
٧٥١-	١٢	مجله	مجلته
٧٥٢	٧	ونسبه	ونسبة
✓	٩	يصحها	يصحها
٧٥٤	١٥	صيفه	صيفه
٧٥٥	٢١	وقعت	وقد وقعت
٧٥٧	٢١	واستعمال	واستفحال
٧٥٨	٩	مواطنيهم	تواطنهم
٧٦٤	١٤	منها	منها
٧٦٤	١٦	وهما	وهو

صفحة	سطر	غلط	صواب
٧٦٧	١٤	للجبال	الجبال
٧٦٩	٢٢	في احتراز	لاحتراز
٧٧١	٨	من كثرة	كثرة
٧٩٨	١٣	ألفاظ عربية المأدة	خرجتها العامة على صيغة
		خرجتها العامة في صيغة	معروفة إلا أن اللفظة
		لم تسمع عن العرب	لم تسمع عن العرب
٨٠٣	٦	على صيغة لم تسمع	على صيغة معروفة
		عن العرب	إلا أن اللفظة لم تسمع
٨٠٤	٢١	للقدم	للقدم
٨٠٥	٣	بمصر على من (مَلَّ)	في مصر على من (قَلَّ)
٨٠٥	١٧	فهذه وأمثالها أكثر	فهذه وأمثالها كثير
٨٠٦	١	فالزنفه	الزنفه



مجلة

مجمع اللغة العربية دمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

١ نيسان (أبريل) سنة ١٩٦٦ م ١١ من ذي الحجة سنة ١٣٨٥ هـ

تأويلات

في المصون في الأدب، لأبي أحمد المنكري أن أوّل من وضع
 المزيّة أبو الأسود، جاء إلى زياد بالبصرة فقال: إني أرى العرب قد
 خالطت هذه الأعاجم، وقد تغيّرت ألسنتها، أفتأذن لي أن أضع كلاماً
 يعرفون - أو يقرّون - به كلامهم، قال: لا، جاء رجل إلى زياد
 فقال: أصلح الله الأمير، توفّي أبانا وترك بنتاً، فقال زياد: توفّي
 أبانا وترك بنتاً! ادعوا لي أبا الأسود، فقال له: ضع للناتن ما أردت
 أن تصنع لهم.

جاء هذا الخبر في فصل عنوانه: تاريخ المزيّة، وقد ذكرت في
 هذا الفصل طائفة من الذين برعوا في النحو، ولكن الذي يهمّنا في الخبر
 أن المضمر الذي عاين فيه زياد كان فيه تباعد بين العامة والفضة،

فهل كان ذلك العصر أوّل التباعد ، أم جاء قبله زمن بعدت فيه العربية عن الفصحى ، وهل تناهى إلينا قليل أو كثير من مفردات العامة وتراكيبها في لغتها ، نظن أن هذا الأمر لا يزال ثلثة في تاريخ أذنبنا ، فكثير من حياة العامة في تلك العصور ، فضلاً عن لغتها ، لا يزال مطويّاً عندنا . وكل ما نعرفه في هذا الباب أنه على قدر القرب من خطط العرب ، ولا سيما أهل الحجاز ، والبعد عن بلاد العجم كانت سلامة الألسنة من الفساد ، وعلى قدر المجاورة للفرس والنبط وغيرهم كان الوقوع في الخطأ واللعن .

وقد امتدّ تغيّر ألسنة العامة حتى عصر الكسائي فقد أراد الكسائي أن يشتري باين ، فوقف على نجّار فقال له : بكم ذاك البابان ، والنجّار عامي لم يأل هذه الطبقة من الكلام ، فقال للكسائي : بسلحتان ! فحلف الكسائي ألا يكلم عامياً إلا بما يوافقه ويشبه كلامه .

إمام من أئمة النحو والعربية ، مؤدّب ولد الرشيد ، إذا قام ليلبس نعله لحاجة يريد بها ابتدرها الأمين والمأمون فوضعاها بين يديه ، وإذا اعتلّ علّة منكّرة أتاه الرشيد ماشياً ، متفرّجاً وخرج من عنده وهو مغموم جداً ، يسخر منه نجّار عامي لحرصه على اللغة وتفاديه من الخطأ واللعن .

المهم في كل ما تقدّم أن لغة العامة في عصر زياد ، ثم في عصر الكسائي ، وهو عصر الرشيد كانت تختلف عن لغة الخاصة وقد استمرّ هذا الاختلاف ، فقد جاء في القرن السادس إمام النحو في اليمن ، الحسن بن اسحاق اليمني ، يخاف ما كانت يخافه الكسائي ، فلم يخاطب العامة إلا بما يحسنون من كلامهم ، فقال :

لمرك ما اللحن من شيمتي . ولا أنا من خطأ اللحن .
ولسكني قد عرفت الأثام . فخاطبت كلاماً بما يحسن .

وفي هذين البيتين دليل على أن الخاصة كانت تضطر إلى الانحدار إلى لغة العامية في المحادثات حتى يتم التفاهم من جهة ، وحتى لا يقع شيء من السخرية ، من جهة ثانية ..

أما المصر الذي نعيش فيه فلا يزال اللاحن شائعاً ، حتى في لغة الخاصة ، وإن كنا نجد في بعض لغة العامية ارتفاعاً إلى الفصحى في المفردات والتراكيب ، ونعتقد أن بين لغة العامية في هذه الأيتام وبين لغتها قبل أربعين أو خمسين سنة فرقاً ليس ييسر ، وعلى الرغم من شيوع الخطأ واللاحن في لغة العامة من عصور بعيدة فقد عاشت في آفاقها تراكيب كثيرة ومفردات كثيرة فيها روح الفصاحة ، من هذه التراكيب قولنا : أكل الدهر عليه وشرب ، أو قولنا : إذا لم تستح فاصنع ما تشاء .

أمّا المثل الأول : أكل الدهر عليه وشرب ، فإننا نستعمله في أحاديثنا للإشارة إلى كل أمر قديم أو شيء عتيق ، فكل أسلوب من أساليب الحياة مرّة عليه الزمن الطويل حتى بطل صلاحه فإنما تعبّر عنه العامية ، حتى الخاصة بقولهم : أكل الدهر عليه وشرب ، غير أن إماماً من أئمة الأدب في القديم قد فسر لنا هذا المثل تفسيراً يختلف عن فهم العامية والخاصة له ، يقول المبرّد في كامله : ومن أمثال العرب إذا طال عمر الرجل أن يقولوا : لقد أكل عليه الدهر وشرب ، إنما يريدون أنه أكل هو وشرب دهرًا طويلاً ، قال الجعدي :

كم رأينا من أناس هلكوا أكل الدهر عليهم وشرب

والعرب تقول : نهارك صائم وليالك قائم ، أي أنت قائم في هذا وصائم في ذاك ، ثم أفاض المبرّد في الاستشهاد في هذا المجال ، فأصل معنى هذا المثل : أكل الدهر عليه وشرب ، بحسب رأي المبرّد أن الرجل قد طال

عمره حتى أكل هو وشرب دهرًا طويلًا ، فإذا صحَّ تفسير المبرد ، وهو من أئمة الأدب ، فلم يبق من أصل معنى المثل شيء في يومنا هذا ، فقد تصرّفت العامة والخاصة فيه كل تصرّف ، حتّى نقلوه من وجه إلى وجه .

أمّا التركيب الثاني فهو قولنا : إذا لم تستح فاصنع ما تشاء ، ظاهر معناه أن الرجل إذا مات فيه الحياء فيلصق ما يشاء فلم يبق منه موضع للوم . أو تبكيت أو خجل ، وما شابه ذلك ، وهذا تركيب شائع في مخاطبات العامة والخاصة ، إلا أن أحد الأئمة ذهب في تفسير هذه الجملة مذهباً يختلف الاختلاف كله عما نذهب إليه ، قال ياقوت في معجم الأدباء : وحدّث المبرد قال : سمعت المازني يقول : معنى قولهم إذا لم تستح فاصنع ما شئت ، أي إذا صنعت ما لا يستحي من مثله فاصنع منه ما شئت ، وليس على ما يذهب إليه العوام ، قلت : وهذا تأويل حسن .

فإذا صحَّ تأويل المازني لهذا القول المأثور : إذا لم تستح فاصنع ما تشاء ، فما أدري ما بقي من أصل معناه الذي تفهمه العامة والخاصة ، فقد خرجنا بمعناه عن أصله حتى لم يبق له أثر .

ولّا بأس بأن نتقل من هذه التأويلات إلى لفظٍ مستفيضٍ في كلام العامة والخاصة على السواء ، إثّا نسمع كل يوم في مخاطباتنا وأحاديثنا هذا اللفظ : متكاتفون ، ونحن نريد بهذا الاسم أنهم متضافرون ، متعاونون ، والظاهر أن هذه المادة قد حرّفت ، ففي أخبار الخوارج في كامل المبرد وردت هذه الجملة : ثم انهم تراجعوا وتكاتفوا ، وقد وردت : تكاتفوا ، بالنون لا بالتاء ، ووضّح الأخفش معنى هذا اللفظ وردّه إلى أصله فقال : تكاتفوا ، أعان بعضهم بعضاً واجتمعوا وصار بعضهم في كنف بعض . . .

فلا شك في أن ورود لفظة : كنف قد حلَّ المشكلة ، ولم أجِد في معجم الفيروزآبادي لفظ : تكاتفوا ، بالتاء ، وإنما وجدت فيه : تكاتفوا ، بالنون .

★ ★ ★

ما هي نتيجة هذه التأويلات :

إذا تباعدت العامة والفصحى من أحقاب مديدة فقد بقيت في العامة جمل ومفردات عاشت سنين طويلة ، مثل الجمل التي ذكرتها في هذا المقال ، وسواء أفهمنا معاني هذه الجمل على الوجه الذي وضَّحه المبرِّد والملازني والأخفش أم فهمنا معانيها على الوجه الذي تصرَّفنا فيه ، إن لغتنا العامة قد اتسع أفقها بأمثال هذه الجمل من بقايا الفصحاح ، أمّا القول في هذه التأويلات من حيث الخطأ والصواب فإنما يرجع إلى أئمة اللغة في هذا العصر ولست واحداً منهم .

شفيق جبري



الاصطلاحات الفلسفية

- ٢٥ -

رأس المال

Capital في الفرنسية

Capital في الانكليزية

Capitalis في اللاتينية

. إذا استقرض المرء مبلغاً من المال وجب عليه أدائه مع فوائد عند
الأجل . ويسمى المبلغ الأصلي المجرد من الفوائد برأس المال .
غير أن بعض علماء الاقتصاد يوسعون معنى هذا اللفظ فيطلقونه على
كل ثروة منتجة كالزراع والمساكن والمعامل والآلات والأدوات والأوراق
المالية والتاجر بخلاف المال كل والملابس وأدوات الزينة فانهم لا يعتبرونها
رؤوس أموال .

وإذا قصرنا الآن كلامنا على الناحية الفلسفية فقط أطلقنا اصطلاح رأس
المال على المعنيين الآتين :

- ١ - يطلق رأس المال على كل ثروة من جهة ما هي جالبة لصاحبها دخلاً .
والمقصود بالدخل هنا العوائد والأرباح وبدلات الإيجار وغيرها .
- ٢ - ويطلق رأس المال أيضاً على كل ثروة من جهة ما هي معدة
لإنتاج ثروات أخرى .

ورأس المال عنوان كتاب (كارل ماركس) (١٨٦٧) وهو انجيل الاشتراكية الاقتصادية المعاصرة ، جاء فيه أن قوانين تطور الأمم تابعة للأحوال المادية ، وأن الظواهر الاقتصادية تؤثر في كل حركة اجتماعية ، وأن النظام القائم على رأس المال حالة مؤقتة ، وأن قيمة الشيء ترجع إلى كمية العمل المدخلة فيه ، الخ .

ويطلق لفظ (الرأسمالية) Capitalisme في أيامنا هذه على النظام الاجتماعي الذي يكون فيه العمال غير مالكين للثروات التي يستثمرونها . ويطلق أيضاً على مذهب من يرى أن الفصل بين العمل ورأس المال أصلح لزيادة الإنتاج وتحقيق الرخاء والعدل وتوفير الخير والسعادة . والرأسمالي هو المنسوب إلى رأس المال تقول رجل رأسمالي أو مشروع رأسمالي ، أو نظام رأسمالي ، الخ .

الرأي

Opinion	في الفرنسية
Opinion	في الانكليزية
Opinio	في اللاتينية

الرأي في اللغة الاعتقاد والعقل والتدبير ، تقول رآه رأي العين ، أي ظنه بحسب مقتضى مشاهدة العين . وقيل : الرأي اعتقاد النفس أحد التقيضين عن غلبة الظن ، وقيل أيضاً : الرأي إجابة المناظر في المقدمات التي يرجى منها إنتاج المطلوب .

والرأي في اصطلاحنا حالة للنفس تقوم على اعتقادها صدق القضية مع التسليم بأنها قد تكون مخطئة في اعتقادها . لذلك قل (كانت) : الرأي هو اعتقاد صدق القضية مع الشعور بأن الأسباب الموضوعية والذاتية لذلك الاعتقاد غير كافية .

وكل قضية فرضها فافرض فهي رأي . والفرق بين الرأي واليقين أن اليقين هو الاعتقاد المستند إلى أسباب موجبة تنتج المطلوب اضطراراً ، كاعتقادنا أن $2 \times 2 = 4$ ، على حين أن الرأي هو الاعتقاد الذي تكون فيه أسباب الإيجاب أقوى من أسباب النفي ، كاعتقادنا أن الاقتصاد الموجّه أفضل من الاقتصاد الحر . وإذا كانت أسباب الإيجاب مساوية لأسباب النفي توقف العقل عن الحكم ووقع في الشك . فالرأي إذن هو الاعتقاد المحتمل ، لا الاعتقاد اليقيني ، وهو وسط بين الشك واليقين .

والرأي العام (*Opinion publique*) هو الاعتقاد الجماعي أو الحكم الذي يشترك فيه الجمهور . وهو لا يوجب أن يكون أصحابه شاعرين بما فيه من خطأ أو ضعف .

الرؤيا

الرؤيا ما يرى في النوم ، وجمعه رؤى . وقد يطلق لفظ الرؤى على أحلام اليقظة ، (*Réverie*) . والفرق بين الرؤيا والرؤية أن الرؤيا مختصة بما يكون في النوم على حين أن الرؤية مختصة بما يكون في اليقظة . فالرؤيا بالخيال ، والرؤية بالعين ، والرأي بالقلب . ومنه رؤى المصلحين الاجتماعيين وأحلام الفلاسفة راجع لفظ الحلم (*Rêve*) ،

الرؤية

Vision	في الفرنسية
Vision	في الإنكليزية
Visio	في اللاتينية

الرؤية هي المشاهدة بالبصر ، وقد يراد بها العلم مجازاً ، وإذا كانت مع الإحاطة سميت إدراكاً .

وتطلق الرؤية في الفلسفة الحديثة على وظيفة حاسة البصر (راجع لفظ البصر) . قال (برغسون) : للرؤية عند مختلف الحيوانات درجات متفاوتة ، فحيث تكون قوتها واحدة يكون التعقيد في بنيتها واحداً . وإذا أطلقت الرؤية على الشاهدة بالنفس سميت حدساً ؛ (Intuition) ، (راجع لفظ الحدس) .

وقد تطلق الرؤية على مشاهدة الحقائق الإلهية أو على المشاهدة بالوحي أو على الإدراك بالوهم أو المشاهدة بالخيال .

والرؤية في الله (Vision en Dieu) نظرية للفيلسوف (مالبرانش) جاء فيها أن الإنسان لا يدرك الأشياء والقوانين مباشرة ، بل يدرك صورها في الله لاتحاده المباشر به .

ومن الفلاسفة من نفي رؤية الله محتجاً بقوله تعالى : « لا تدركه الأبصار » أي لا يرى بصورة أو شكل مخصوص ، ولأن الرؤية مختصة بالآخرة . ورؤية الذات (Autoscopie) نوعان : خارجية وداخلية . فالخارجية (Autoscopie externe) هي التوهم ، وهي أن يرى المرء نفسه ماثلة أمامه ، والداخلية (Autoscopie interne) هي رؤية المرء أعضائه الداخلية . راجع كتاب (سوليه - Sollier) ظواهر رؤية الذات (Les phénomènes d'autoscopie) .

الرائز

في الفرنسية Test

في الانكليزية Test

وفي اللاتينية (Testa) وهو إناء من الفخار كان الكيميائيون القدماء يختبرون فيه الذهب ، رازة جربه واختبره ، وراز الدينار وزنه حتى يعلم

مقداره ، وراز الحجر ونحوه اختبره حتى يعلم ثقله ، ومنه الراز ، وهو في
عد النفس اختبار يستخدم لتحديد صفات الشخص من الناحية الجسمية
والنفسية تحديداً موضوعياً .

والراز قيمان : راز الاستعداد وراز النمو . الأول يكتشف عن
استعدادات الفرد ، والثاني يكشف عن درجة تقدمه أو تأخره
بالنسبة إلى سنه .

ومن الروايز ما تقاس به القدرة (Ability) ، أو الدقة (Accuracy) ،
أو التداعي (Association) أو الفهم أو الذكاء العام ، أو المهارة العملية ،
ومنها ما يقاس به درجة التحصيل أو قوة الشخصية أو كيفية الاستجابة
لأمر من الأمور ، ومنها ما هو تشخيصي ، ومنها ما هو لفظي أو غير لفظي . .
وقد تطبق طريقة الروايز في دراسة الجماعات . مثال ذلك أن الأخطاء
التي يقترفها التلاميذ في درس الإملاء يمكن أن تتخذ رازاً تقاس به
درجة تفهمهم .

الرائع

في الفرنسية Sublime

في الانكليزية Sublime

في اللاتينية Sublimis

راع منه روعاً فزع ، وراع الشيء ريعاً نما وزاد ، وراع الأمر فلاناً
أعجبه ، تقول : راعي جماله ، وراعي كلامه . . والروعة المسحة من الجمال .
وهي مشتقة في الأصل على معنى الفزع والإعجاب والنمو والزيادة .
والرائع في اصطلاحنا ما جاوز الحد في نواحي الفن والأخلاق والفكر .

وكل أمر جاوز الحد ، فهو يدهشنا ، ويروعنا ، ويثير إعجابنا ، لأنه يشعرنا بالصراع المفجع بين وجودنا الواقعي ووجودنا المثالي .

زعم (كانت) أن الرائع والجميل متحدان في الجنس مختلفان في النوع ، فالجميل ما كان تاماً ومتناهيًا ، والرائع ما كان غير متناه . كالرائع الرياضي الذي لا يتناهي في الكم . والرائع الديناميكي الذي لا يتناهي في القوة . والجميل أيضاً مادلاً على الانسجام والتناسق ، والرائع مادلاً على الصراع بين الفكر والخيال . وحال المتصف بالروعة في ميدان الفن كحال المتصف بالتضحية والجود في ميدان الأخلاق ، كلاهما يجاوز الحدود المألوفة ، ويذهب إلى ما وراء الواقع .

أما الفلاسفة المتأخرون فانهم لا يفرقون بين الرائع والجميل ، بل يقولون إنها مترادفان (غويو ، سوريو) ؛ تقول : الصورة الرائعة ، أي الصورة الجميلة ، وتقول أيضاً المرأة الرائعة الجمال ، أي الفاتنة الجمال .

الرابطة

Copule	في الفرنسية
Copula	في الانكليزية
Copula	في اللاتينية

الرابطة هي العلاقة أو الوصلة بين الشيئين ، وعند المنطقيين الشيء الدال على النسبة أي على الوقوع أو اللاوقوع المتفق عليه في القضية . وقد سمي الشيء الدال على النسبة رابطة لأنه يربط المحمول بالموضوع .

وقد تكون الرابطة لفظاً ظاهراً كما في اللغة اليونانية أو الفارسية أو الفرنسية أو تكون حركة إعرابية أو هيئة تركيبية كما في اللغة العربية . فإذا كانت لفظاً كانت زمانية كما في فعل كان وأمثاله ، وإذا كانت في صورة

الاسم كانت غير زمانية كما في قولنا : زيد هو قائم وإذا كانت حركة إعرابية أو هيئة تركيبية ، دلّت على الوجود زمانياً كان أو غير زمني كما في قولنا : زيد قائم .

واللغات مختلفة في استعمال الرابطة وجوباً وامتناعاً وجوازاً ، فاللغات اليونانية والفارسية والفرنسية مثلاً توجب ذكر الرابطة ، واللغة العربية تحذفها . وقد تطلق الرابطة على الفعل من جهة تعبيره عن وقوع النسبة بين حدود القضية كما في قولنا : اشترى زيد لعمره كتاباً . فزيد وعمره وكتاب حدود القضية ، واشترى رابطها الزمانية .

ويطلق لفظ الرابطة عند المحدثين على الجماعة مجتمعون على أمر يشتركون فيه ، يقال رابطة الأدباء ، ورابطة العلماء ، ورابطة المدرسين . الخ .

الربط

في الفرنسية Association

في الانكليزية Association

في اللاتينية Associatio

الربط إحداث علاقة بين مدركين لاقتربانها في الذهن بسبب ما . فإذا كان قيام العلاقة بين المدركات آلياً سمي الربط بتداعي الأفكار (Association des idées) ، أو بتراطب المعاني . وإذا كان منطقياً سمي بتناسق الأفكار ، (راجع : تداعي الأفكار) .

الرجوع

في الفرنسية Retour

في الانكليزية Return

الرجوع هو العود إلى ما كان عليه مكاناً أو صفةً أو حالاً . كالرجوع

إلى المكان أو الرجوع إلى الفقر أو القنى ، أو الرجوع إلى الصحة أو المرض ، أو غيره من الصفات . أما الرجعة فهي الرجوع إلى الحياة بعد الموت . والرجي هو المنسوب إلى الرجعة وعند المحدثين : من يذهب مذهب سلفه ولا يسير الزمن . ومنه الرجعية أي الحري على مذهب السلف في الأفكار والعادات دون مسaire التطور .

والرجوع الأبدي (Retour éteruel) نظرية رواقية خلاصتها أن الأشياء ترجع بعد انقضاء الآلاف من السنين إلى ما كانت عليه أولاً . ولهذه النظرية في تاريخ الفكر عدة أشكال : (١) شكل ديني كقول بعض الملل بالرجعة أي بالرجوع إلى الحياة بعد الموت (٢) وشكل فلسفي كما في مذهب هرقليطس ومذهب الرواقين (٣) وشكل شعري كما في آراء (هين - Heine) و(دوستوفسكي - Dostoïevski) و(غويو - Guyau) و(نيتشه - Nietzsche) (٤) وشكل علمي كما في نظريات (بلانكي - Blanqui) و(ناجلي - Naegeli) و (لوبون - Le Bon) و (بكرل - Becquerel) . والرجوع الأبدي عند بعض الكتاب المعاصرين معنى أخلاقي ، لأنهم يقولون : إذا كانت كل لحظة من الحياة تعود إلى ما كانت عليه فمرد ذلك إلى أنها أبدية ، فالحاضر رجوع إلى الماضي ، والمستقبل رجوع إلى الحاضر ، ولا حد ولا نهاية لهذا الرجوع المتعاقب .

والرجوع التاريخي (Retour historique) نظرية للفيلسوف الإيطالي (فيكو) جاء فيها أن التاريخ يعيد نفسه ، وأن الأحوال الحاضرة ليست سوى رجوع إلى الأحوال الماضية ، وكذلك أحوال المستقبل فهي رجوع إلى أحوال الحاضر ، وهكذا دواليك .

والرجوع إلى الماضي (Rétrospection) أيضاً هو النظر إلى الوراء أي الذهاب من الحاضر إلى الماضي ، لا لتعليل الحاضر بالماضي فحسب ، بل لتفهم الماضي بالاستناد إلى الحاضر .

ويطلق لفظ الرجعي (Rétrograde) في أيامنا أيضاً على ما كان مضاداً للتقدم أي على كل مذهب يريد أن يرجع بالمجتمع إلى حالة سابقة أدنى من حالته الحاضرة .

الرحمة

Charité في الفرنسية

Charity في الانكليزية

Charitas , Caritas في اللاتينية

١ — الرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والإحسان . وتطلق على إرادة إيصال الخير . وفرقوا بين الرحمة والرأفة بقولهم إن الرحمة إيصال السرّة إلى المرء ، والرأفة دفع المضرة عنه . والرحمة أيضاً هي الإيمان والنعمة والرزق ، والنصر ، والفتح ، والعافية ، والمودة ، والسعة ، والمغفرة ، والمعصمة .

٢ — ويطلق لفظ الرحمة في اللاهوت المسيحي على أولى الفضائل الدينية وهي المحبة . والمقصود بالمحبة هنا أن تحب الله لذاته ، وأن تحب الأقربين في الله وبالله ، وهذه المحبة الدينية صفة تميزها من كل ما عداها ، لأنها مضافة إلى محبته تعالى ، فلو لا حبك لله لما احببت قريبك كما تحب نفسك . ومعنى ذلك أنها لا تدل على أنواع معينة من الفعل أو أخطأ محددة من السلوك ، بل تدل على البدء الروحي المحيط بالفضيلة ، فإذا كان للانسان كل الإيمان كما يقول بولس الرسول ولم يكن له محبة لم يكن شيئاً .

٣ — والرحمة عند بعض النظار المسلمين من صفات الذات ، لأن الله سبحانه أراد في الأزل أن يرحم عباده . وهي عند بعضهم الآخر من صفات الفعل ، بمعنى أن الله قادر على أن يعطي عبده ما لا يستحقه من المثوبة ، ويدفع عنه ما يستوجبه من العقوبة . لذلك قيل : إن الرحمة ترك عقوبة من يستحق العقوبة .

والله تعالى رحمن ورحيم . فالرحمن هو البالغ في الرحمة غايتها التي يقصر عنها كل من سواه ، والعاطف على جميع خلقه بالرزق لهم ، لا يزيد في رزق التقي بتقواه ولا ينقص من رزق الفاجر بفجوره . والرحيم هو الرفيق بالمؤمنين خاصة ، يستر عليهم ذنوبهم في العاجل ، ويرحمهم في الآجل .

٤ — ويطلق لفظ الرحمة في الفلسفة الحديثة على الفضيلة المقابلة للعدالة . ولهذا التقابل بينها وجهان :

آ — فإما أن تقسم الواجبات الأخلاقية قسمين : الأول يشمل واجبات الرحمة وهي إيجابية ، والثاني يشمل واجبات العدالة وهي سلبية . فالرحمة توجب فعل الخير والجود بالنفس في سبيل الآخرين ، على حين أن العدالة توجب اجتناب فعل الشر ، والامتناع عن التعدي على حقوق الآخرين . لذلك قيل إن واجبات العدالة ضيقة وواجبات الرحمة واسعة . فكل ما كان عدلاً كان مطابقاً لحق معترف به في القانون ، وكان من حق صاحبه أن يطالبك بتأديته . وكل رحمة كان قيامك به تفضلاً وإحساناً .

ب — وإما أن يكون التقابل بين الرحمة والعدالة كتقابل المبدأ والقاعدة . فالرحمة مبدأ أخلاقي عام أو مبدأ ذاتي ووجداني ، والعدالة قاعدة أخلاقية عملية موضوعية واجتماعية . ومعنى ذلك أن الرحمة والعدالة واجبان متحدان في الباطن مختلفان في الظاهر ، لأنه من الممكن أن يكون مبدأ الرحمة محرك الأفعال العادلة ، كما أنه من الممكن أن تكون العدالة وسيلة لتطبيق

شروط الرحمة وتحقيق غاياتها . لقد قال (لينينز) : العادل رحيم ، وقال (انجيز) : الرحمة خلاف الإحسان ، فمن كان محسناً وجواداً لمنفعة أو عوض أو إعجاب بالنفس لم يكن رحيماً .

الرد

في الفرنسية Réplique
في الانكليزية Reply

رده رداً أرجعه ، ورده إليه أعاده ، ورد عليه كذا لم يقبله ، ورد عليه أجابه ، ورد إليه جوابه رجعته وأرسله . والرد ما يرد به . ومنه في اصطلاحنا الرد على الاعتراض ، أو إخراج الشيء من الحكم العام ، أو استثناء الاستثناء .

الرديلة

في الفرنسية Vice
في الانكليزية Vice
في اللاتينية Vitiium

الرديلة ضد الفضيلة ، وهي عادة تفعل الشر . وإذا كانت الفضيلة في الاعتدال كما يقول (أرسطو) فإن الرديلة في مجاوزة حد الاعتدال ، أي في اتباع الهوى ومخالفة العقل . وكما نذكر السعادة باتباع الفضائل فكذلك نساق إلى الشقاء باتباع الرذائل . والله متبحرانه يحب الفضيلة ويكره الرديلة . قال (دوسال) : سبب شقائنا أن خوفاً من الرذائل أشد من حبنا للفضائل . وقال (لابروير) : تنشأ الرذائل عن فساد في القلب والسيوب عن خلل في المزاج . وقال (جانكفيتش) : نسبة الرديلة إلى الخطيئة كنسبة الهوى إلى الغضب .

الرسم

Description في الفرنسية

Description في الانكليزية

الرسم عند المنطقيين مقابل للحد ، وهو قيمان : رسم تام ، ورسم ناقص .
فالتام ما يتركب من الجنس القريب والخاصة ، كتعريف الإنسان بالحيوان
الضاحك . والناقص ما يكون بالخاصة وحدها ، أو بها وبالجنس البعيد ،
كتعريف الإنسان بالضاحك ، أو بالجسم الضاحك أو بعرضيات تختص بجملتها
بحقيقة واحدة كقولنا في تعريف الإنسان إنه عاش على قدميه عريض الأظفار ،
بادي البشرة ، مستقيم القامة ، ضحاك بالطبع (تعريفات الجرجاني) .

والرسم عند الأصوليين أخص من الحد ، لأنه قسم منه ، وعند
الصوفية هو العادة والخلق وصفاته ، لأن الرسوم هي الآثار ، وكل ما سوى
الله تعالى آثار ناشئة عن أفعاله .

ويرى فلاسفة (البورزويال) أن تعريفات الأشياء قيمان الأول هو الحد
المؤلف من الجنس القريب والفصل ، والثاني هو الرسم المؤلف من عرضيات
تختص بالشيء وتعين على تمييزه من غيره . والحد أدق من الرسم .

الرضى والرضاء

Consentement في الفرنسية

Assent, Consent في الانكليزية

Consentio, Consensus في اللاتينية

الرضى كمال إرادة وجود الشيء . والفرق بين الرضى والرضاء أن الرضى
هو المرادة ، والرضاء هو المرادة . والرضى أخص من الإرادة . وهو

قسمان : قسم يكون لكل مكلف ، وهو ما لا بد منه في الإيمان ، وحقيقة قبول ما يرد من الله من غير اعتراض على حكمه وتقديره . وقسم لا يكون إلا لأرباب المقامات ، وحقيقته ابتهاج القلب وسروره بالمقضي .

والرضى فوق التوكل لأنه مرادف للمحبة . والرضوان بمعنى الرضى . والرضاء عند المعتزلة هو الإرادة ، وعند الأشاعرة ترك الاعتراض على ما قدره الله .

والرضاء هو القبول والتسليم تقول رضيه ورضي به اختاره وقبله ، وله درجات أدناها الظن وأعلاها اليقين . قال (مالبرانش) : ينبغي للمرء أن يسلم بالقول الذي يجده صحيحاً . لأنه إذا ثبتت له صحة القول وامتنع عن التصديق به شعر بقلق النفس وملامة العقل .

والرضاء هو المصادقة والموافقة ومنه قولهم الرضاء العام ، أو الرضاء الكلي بمعنى الإجماع والاتفاق . والرضاء أيضاً الموافقة على أمر أرادته غيرك من غير اعتراض عليه ، كموافقة الوالد على زواج ولده ، تقول رضي الزواج له أي رآه أهلاً له فوافق عليه . ومع ذلك فالرضاء أضعف من الإرادة والقرار والتصديق لأن المرء قد يرضى بالشيء المكروه تسليماً لا حباً وإرادة ، كمن أصابته مصيبة فيرضى بما قدر له ويقول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

الرغبة

Désir في الفرنسية

Desire في الانكليزية

Desiderum في اللاتينية

رغب في الشيء حرص عليه وطمع فيه ، ورغب الشيء وفيه أراده ، ومنه الرغبة وهي النزوع التلقائي الداعي إلى غاية معلومة أو متخيلة . وتحت

كل رغبة نزعة ، كما ان تحت كل إرادة رغبة . ومعنى ذلك أن الرغبات مبنية على النزعات . والفرق بين الرغبة والنزعة أن الرغبة أخص من النزعة وأكثر تعقيداً منها .

والرغبة مقابلة للإرادة لأن الإرادة تقتضي عدة شروط وهي :

- ١ — تنسيق النزعات .
- ٢ — التفريق بين الذات المدركة والشيء المدرك .
- ٣ — الشعور بجدوى الفعل وإنتاجيته .
- ٤ — التفكير في الوسائل المؤدية إلى تحقيق الغايات .

وجميع هذه الشروط غير متوافرة في الرغبة . فالرغبة إذن وسط بين النزوع والإرادة . قال (رينان) : « الرغبة هي الحرك الإلهي الأكبر لفاعلية الإنسان » . وكل رغبة فهي قوهم ، إلا أننا لا ندرك بطلانها إلا بعد إشباعها . وقال (لافل) : إن من خواص الرغبة أن تعمل على خلق المستقبل لا أن تقتصر على الاتجاه إليه ، وقال (ريكور) : اللذة التخيلية تسمى رغبة والألم التخيل يسمى خوفاً . وقال (رانسون) : إن اتصاف الرغبة بالتلقائية الطبيعية جوهر الفعل ومنبمه وأصله الأول .

وكل أثر من آثار الإنسان فهو يتولد من رغباته . حتى لقد قيل إن الإنسان باقة من الرغبات .

الرقابة

في الفرنسية Contrôle

في الانكليزية Control

نراقب الشيء لاحظته وحرسه وحفظه ، وراقب النجم رصده . والرقابة في اصطلاح المحدثين المراقبة ، وفي التحقق من تنفيذ الأمر على وجهه .

وتطلق أيضاً على عمل من يراقب الكتب أو الصحف قبل نشرها أو على تدخل الحكومة في سعر الصرف وتسمى رقابة الصرف (Contrôle des changes) . وتطلق الرقابة في علم التحليل النفسي على تأثير الجانب الأعلى من الأنا في منع التصورات والمواطف المكبوتة من الرجوع إلى مسرح الشعور (Censure) .

الرقم

Chiffre	في الفرنسية
Cipher	في الانكليزية

الرقم في الأصل الكتابة والنقش والعلامة والختم ، وما يكتب على الثياب وغيرها من أثمان ، وفي علم الحساب رمز يمثل عدداً .

والأرقام العربية هي : 1 ، 2 ، 3 .. الخ . أما الأرقام الهندية فهي : ١ ، ٢ ، ٣ .. الخ . ولفظ شيفر (Chiffre) الفرنسي مشتق من لفظ الصفر العربي . والرقم عند بعض الفلاسفة هو الرمز الذي يعبر به عن بعض التصورات وتأويلاتها فكل شيء رقم أي علامة ترمز إلى شيء كوني أو أمر إلهي .

والرقم القياسي هو الرقم الذي يتفوق به المتباري على غيره في الألعاب تقول : ضرب الرقم القياسي في القفز العالي .

والأرقام القياسية في الاقتصاد هي الأرقام التي تقاس بها حرجة التغيرات التي تطرأ على بعض الظواهر الاقتصادية ، كالأسعار ، والأجور ، ومقايير الانتاج ، وغيرها . تقول : الرقم القياسي في إنتاج السيارات . أي النتيجة الخارقة التي تفوق ما سبقها في هذا الميدان من الانتاج .

الرمز

في الفرنسية Symbole

في الانكليزية Symbol

وهو مشتق من اللفظ اليوناني : Sumbolon

الرمز في اللغة الإيماء والإشارة والعلامة . وله في اصطلاحنا عدة معانٍ :

١ - الرمز ما دل على غيره . وله وجهان : (الأول) دلالة المعاني المجردة على الأمور الحسية كدلالة الأعداد على الأشياء ، ودلالة الحروف على الكليات الجبرية . (والثاني) دلالة الأمور الحسية على المعاني المتصورة كدلالة الثعلب على الخداع ، والكلب على الوفاء ، والحرباء على الثقلب ، والفراشة على الطيش ، والصولجان على الملك ، والشار على الدولة .

٢ - ويطلق الرمز أيضاً على كل حد في سلسلة المجازات يمثل حداً مقابل له في سلسلة الحقائق ، وكل لفظ أخذ عن معناه وأطلق على آخر مجازاً فهو بمعنى ما رمز له .

٣ - ويطلق الرمز أيضاً على علامة التعارف بين الأفراد المنتسبين إلى جمعية سرية ، أو هيئة مخصوصة ، كرموز الماسونية ، أو إشارات المنظمات الثقافية والاجتماعية أو علامات الجيوش وغيرها .

والرمزي (Symbolique) هو المنسوب إلى الرمز كالكتابة الرمزية أو التمثيل الرمزي أو التفكير الرمزي ، وهو التفكير المبني على الصور الإيحائية خلافاً للتفكير المنطقي المبني على المعاني المجردة .

والرمزية (La symbolique) علم يبحث في أسرار الرموز المستعملة في بعض الديانات أو بعض الفرق الباطنية . والرمزية أيضاً نظرية الرموز ، وجبر المنطق (Logistique) .

والطريقة الرمزية أو المذهب الرمزي (Symbolisme) عدة معان (منها) استخدام الرموز للدلالة على الأوضاع الاجتماعية كدلالة ملابس القضاة والسفراء وأساتذة الجامعات وأفراد الجيش مع مراتبهم (ومنها) الرموز المستعملة في الحساب والجبر ، و (منها) تأويل العقائد ، أو المذاهب القديمة تأويلاً رمزياً ، على النحو الذي فعله أفلاطون وبعض فلاسفة الغرب في لباس الحقائق الفلسفية ثوباً رمزياً (ومنها) مذهب من يقول ان العقل البشري لا يدرك إلا الرموز (ومنها) مذهب في الشعر يقول بالتعبير عن المعاني بالرمز والإيماء ليدع للقاري نصيباً في تكميل الصور أو تقوية العاطفة بما يضيف إليها من توليد خياله .

الروح

Esprit	في الفرنسية
Spirit	في الانكليزية
Spiritus	في اللاتينية

الروح ما به حياة الأنفس ، وهو اسم للنفس لكون النفس بعض الروح ، أو لكونها مبدأ الحياة العضوية والانفعالية . وله في اصطلاحنا عدة معان .

١ - الروح هو الريح المتردد في مخارق الانسان ومنافذه . وهي عند قدماء الأطباء جسم بخاري لطيف يتولد من القلب وينشر بواسطة المروق الضواري في سائر أجزاء البدن ، ومنه الأرواح الحيوانية (Esprits animaux) عند ديكارت وأصحابه ، وهي أجزاء لطيفة من الدم تذهب من القلب إلى الدماغ ثم تنتشر منه بواسطة الأعصاب في سائر أجزاء البدن .

٢ - والروح مبدأ الحياة في البدن فإن من شرط حياته سريان الروح فيه كسريان ماء الورد في الورد .

٣- والروح مرادفة للنفس الفردية . ويرى بعض المتصوفة وعلماء اللاهوت أن هذه النفوس الفردية صور إلهية قادرة على الاتصال بالله . ومنه قولهم إن الملائكة ، والجن ، والنفوس الإنسانية الباقية بعد الموت ، أرواح مجردة .
٤- والروح هي الجوهر العاقل المدرك لذاته من حيث هي مبدأ التصورات ، والمدرك للأشياء الخارجية من جهة ماهي مقابلة لذاته المدركة وهذا التقابل بين الذات المدركة والشيء المدرك أي بين (الأنا) و (اللا أنا) شائع في الفلسفة الحديثة وله وجوه :

(آ) الروح ما يقابل المادة . وهذا التقابل ظاهر في قولنا : الفكر مقابل لموضوعه . ووحدة الجوهر العاقل مقابلة لكثرة العناصر الداخلة في تركيب مدركاته .

(ب) والروح مقابلة للطبيعة . كمقابلة البدأ الحدث لشيء الحادث ، أو مقابلة الحرية للضرورة ، أو مقابلة التفكير المنطقي للفاعلية التلقائية .
(ج) والروح مقابلة للبدن ، لأن الروح تمثل القوة العاقلة والبدن يمثل الفرائز الحيوانية . لذلك قيل إن للبدن شهوات مضادة لمنازع الروح .
٥- وإذا أطلق لفظ الروح على ما يقابل الحساسة دل على القوة المفكرة ، أي على القوة المستقلة عن الهوى . لذلك قيل إن الأرواح الضعيفة (Esprits faibles) هي العقول العاجزة عن التفكير الموضوعي المنظم ، أو العقول السريعة التأثر بالإيحاء وقد يضيق مدلول هذا اللفظ فيطلق على إحدى صفات الفكر بدلاً من إطلاقه على وظيفته العامة ، كقولهم : الروح الفلسفية ، أو الروح الهندسية ، أو الروح الانتقادية .

٦- وروح الشيء نفسه ، فإذا أضيف لفظ الروح إلى الشيء دل على ماهيته وجوهره ، كقولنا روح المذهب الرواقي ، أو روح المذهب العقلي ، أو روح القانون ، أي معناه وحقيقته .

- ٧ — وقد يطلق لفظ الروح على الجزء الطيار للمادة بعد تقطيرها
كقولنا روح الحجر ، ومنه المشروبات الروحية .
- ٨ — والروح في القرآن الكريم عدة معان (الأول) ما به حياة البدن
(والثاني) بمعنى الأمر (والثالث) بمعنى الوحي (والرابع) بمعنى القرآن
(والخامس) بمعنى الرحمة (والسادس) بمعنى جبريل .
- ٩ — والروح الأعظم مظهر الذات الإلهية من حيث ربوبيتها ، وروح القدس
عند المسيحيين أحد الأقانيم الثلاثة .
- ١٠ — والأرواح المتمردة أو الأرواح القوية (Esprits forts) هي الأرواح
الغريبة أو الأرواح المعادية للمعتقد الدينية ومنه قول (باسكال) : الإلحاد
علامة الأرواح المتمردة ، وقول (لابروير) : هل تدري الأرواح المتمردة
أننا لا نصفها بالقوة إلا تهكماً . الأرواح القوية هي الأرواح الضعيفة .
- ١١ — وقد اختلف العلماء في النفس والروح ، فقال فريق : هما متغايران ،
لأن النفس بعض الروح ، وقال فريق : هما شيء واحد ، لأننا نبر عن
النفس بالروح وبالعكس ، وهذا القول في نظرنا هو الحق .

الروح (علم)

في الفرنسية Spiritisme

في الانكليزية Spiritism

- وهو مذهب من يرى أن الروح تبقى بعد الموت على صورة جسم بخاري
لطيف لا يرى بالعين بل يظهر بتأثير الوسطاء في ظروف خاصة .
- والفرق بين علم الروح والمذهب الروحاني (Spiritualisme) :
- ١ — إن علم الروح لا يبحث إلا في أرواح الأموات .
 - ٢ — وإنه يبنى نظرياته على التجربة لا على الاستدلال .

٣ - وإنه يلبس الروح ثوباً مادياً يسمى بالنشاء البخاري لا يرى إلا في ظروف خاصة .

٤ - وأنه يعزو إلى الروح تأثيراً مادياً كتأثيرها في تحريك الأجسام .
على حين أن المذهب الروحاني لا يشتمل على شيء من ذلك .

والفرق بين علم الروح وعلم ما بعد الطبيعة ، أن علم ما بعد الطبيعة يحاول أن يفسر الظواهر التي يتكلم عليها علماء الروح بتأثير قوى أعلى من قوى النفس الانسانية ، على حين أن علم الروح يحاول تفسيرها بتأثير أرواح الأموات في العالم المادي .

الروحاني (المذهب)

في الفرنسية Spiritualisme

في الانكليزية Spiritualism

١ - المذهب الروحاني تقيض المذهب المادي . وهو القول بروحانية النفس واستقلالها عن البدن ، فكل مذهب يرى أن الانسان مؤلف من روح وبدن . فهو مذهب روحاني .

٢ - والمذهب الروحاني في علم النفس مذهب من يرى أن التصورات والظواهر العقلية والأفعال الإرادية لا تطل بالظواهر المضوية .

٣ - والمذهب الروحاني في فلسفة الأخلاق وعلم الاجتماع مذهب من يرى أن الفرد والمجتمع يهدفان إلى غايتين : إحداها متعلقة بالحياة الحيوانية أو المادية ، والأخرى متعلقة بالحياة الروحية المحضة . وهاتان الغايتان متعارضتان .

٤ - والمذهب الروحاني في علم الوجود العام (الانطولوجيا - Antologie) مذهب من يرى أن في الوجود جوهرين متميزين : أحدهما روبي ومن صفاته

- الذاتية الفكر والحرية ، والآخر مادي ومن صفاته الذاتية الامتداد والحركة .
ومن نتائج هذا المذهب : (١) القول ببقاء النفس بعد الموت (٢) والقول
بوجود الله (٣) والقول بتقديم القيمة الروحية أو المعنوية على القيم المادية .
٥ - ويطلق المذهب الروحاني أيضاً على القول إن الروح جوهر
الوجود ، وإن حقيقة كل شيء ترجع إلى الروح السارية فيه .
٦ - وقد يطلق المذهب الروحاني أخيراً على علم الروح نفسه (راجع
لفظ علم الروح) . والروحي والروحاني بمعنى ما مترادفان .

الروحي

Spirituel	في الفرنسية
Spiritual	في الانكليزية
Spiritualis أو	في اللاتينية

Spiritualis

- ١ - الروحي هو المنسوب إلى الروح وهو مقابل للمادي والجسماني
والبدني . فكل ما كان مادياً أو نباتياً أو حيوانياً لم يكن روحياً ، وعلى
ذلك فالحياة الفكرية حياة روحية ، وهي مقابلة للحياة المادية . ومن قبيل
ذلك قولهم : يجب أن تكون القيم المادية خاضعة للقيم الروحية .
٢ - والروحي أيضاً هو المنسوب إلى الأمور الدينية والصوفية ، ومنه
المارين الروحية والاتجاهات الروحية .
٣ - والروحي أخيراً ما يقابل الزمني (temporel) أي المتعلق بالحياة
الدنية لا الحياة المادية والمصالح الدنيوية ، ومنه السلطة الروحية ، والسلطة
الزمنية . قال (أوغوست كومت) : إن النظام الوضي يزيد في اتصاف
الحكومة بالصفات الروحية ، ويقلل من اتصافها بالصفات الزمنية .

الرؤية

Scepticisme في الفرنسية

Scepticism في الانكليزية

Skeptikos وهو مشتق من لفظ

اليوناني ومعناه الفكر الذي يلاحظ

الأشياء ويتمتعها وينظر فيها

الريب في اللغة الظن والشك تقول رابه الأمر جعله شاكاً وارتاب فيه وبه شك .

والرؤية مذهب الريب ، أي مذهب من ينهج طريق الشك في علمه وعمله متردداً أبداً بين الإثبات والنفي .

وقد تكون الرؤية مطلقة أو تكون نسبية . فإذا كانت مطلقة أوجبت على المرء أن يشك في كل شيء ، وأن يتوقف عن الحكم لأنه عاجز عن الوصول إلى اليقين . وإذا كانت نسبية أوجبت على المرء أن يشك في بعض الأشياء دون بعض كالرؤية الفلسفية ، أو الرؤية الأخلاقية أو الرؤية الدينية . فإن بعض الناس يرتابون في الدين والأخلاق ويؤمنون بالعلم ، أو يشكون في القيم الروحية ويؤمنون بالقيم المادية وبالعكس .

وقد تطلق الرؤية على طريقة من يتزيا بالشك في الحكم على بعض الحقائق الجزئية ويكون موقفه العقلي ازاءها موقف الارتياب والتهمة والظن . والريبي هو المنسوب إلى الريب تقول : هذا الرجل ريبي أي متشكك في الأمور ، وهذه النتيجة ريبية أي ضعيفة لا يمكن الوثوق بها .

ويطلق (كانت) اصطلاح التصورات الريبية على الطريقة التي تثبت بها أن قبول أحد الرأيين المتعارضين يفضي إلى التناقض كإثباتنا أن العالم قديم أو حادث أو إثباتنا أن العالم متناه أو غير متناه ، وهو ما يسمى بتناقضات العقل

Antinomies de la raison

الرياضة (العلوم)

Mathématiques في الفرنسية

Mathematics في الانكليزية

يطلق هذا الاسم على الحساب والجبر والهندسة ونحوها ، وموضوعها الكم . فاذا كان الكم متصلاً كالامتداد ، سمي العلم الذي يبحث فيه بعلم الهندسة . وإذا كان منفصلاً كالعدد ، سمي العلم الذي يبحث فيه بعلم العدد وهو يشمل الحساب والجبر .

ويطلق اصطلاح الرياضيات الكلية (Mathématiques universelles) على الطريقة التي لا تقتصر إلى المادة في تفسير كل ما تناوله من أمور متصلة بالترتيب والقياس ، وذلك على النحو الذي فعله (ديكارت) في تفسيره كل شيء بالامتداد والحركة . وقد سميت طريقته هذه بالرياضيات الكلية لأنها تجعل العلوم الطبيعية جزءاً من الرياضيات .

ويطلق لفظ الرياضي على العالم بالرياضيات أو على كل منهج شبيه بالمنهج الرياضي تقول الاستدلال الرياضي ، والعقل الرياضي ، والطريقة الرياضية ، وهي طريقة الاستنتاج الشرطي المطبقة في العلوم المختلفة .

محمّد صليبا



أدب الفقهاء

- ٦ -

موضوعاته وأغراضه :

تلك وجوه ومعالم من أدب الفقهاء روعي فيها الناحية التاريخية والجغرافية وتنوع الاختصاص في أصحاب هذا الأدب إذ كان وصف الفقهاء كما قلنا يطلق على مختلف طبقات أهل العلم وخصوصاً في هذا السياق من النقد الأدبي . ونحن نشعر أننا قد اختصرنا الكلام اختصاراً شديداً فيما يقتضيه العرض التاريخي والتقسيم الجغرافي ، لملامح هذا الأدب والتعريف برجاله ، ولكننا مع ذلك قد قاربنا ما يلتزمه مؤرخو الأدب العربي على العموم من الوقوف عند نهاية العصر العباسي في عملية التأريخ ، وإفراد الأدب المغربي والأندلسي بالذكر ، مراعاةً لأصحاب النظرية الإقليمية في الأدب الذين يقولون بتأثير العامل الجغرافي في الأعمال الأدبية ، أو نظراً فقط لبُعد الإقليم المغربي وتأخر وجود أدبه عن أدب المشرق . وعلى كل حال فاعتقادنا أننا قد أعطينا أمثلة حية من أدب فقهاء العصور الأدبية والأقاليم التي يُعنى بها مؤرخو أدبنا العربي ، وهي من حيث الكم لا تقل عما يعطيه هؤلاء المؤرخون من أمثلة الأدب غير الفقهاء من كبار الشعراء ، ومن حيث الكيف على ما وصفنا في كل مثال عند عرضه .

فلنتلقِ فقرة على موضوعات هذا الأدب التي سبق أن عددها عدداً إجمالياً في صدر هذا البحث ، لنقول كلمة في كل موضوع منها ، ولنعطى

مزيداً من الأمثلة على ما تقدم ذكره من بعضها ، غير مصتق ولا متشوق في الباب الذي يخصه ، كما أن كثيراً من الأسماء التي لم يرد ذكرها في القسم التاريخي المار ، إنما يمكن استيعابها في هذا القسم الموضوعي بطريقة تعداد الأمثلة واختيار الشاهد ، وهكذا نكون قد قدمنا أدب الفقهاء مرتين ، قدمناه لمن يُعنى بالناحية التاريخية في تراجم أعلامه مرتبة بحسب السنين ، وتقديمه لمن يُعنى بالناحية الموضوعية في فصول وأبواب تنظم الأغراض والفنون التي تناولها الفقهاء في شعرهم ، والتي تعطينا نماذج من أدبهم النض وفي كل موضوع ، ليسهل أمر مقارنتها مع أدب غيرهم على من يريد ذلك ثم إننا في هذا التقديم الثاني قد نتجاوز الحد التاريخي الذي وقفنا عنده إلى ما بعده من أزمنة وأشخاص : فنذكر نماذج وأسماء من العصور المتأخرة حتى عهد ما قبل النهضة الحديثة ، ولربما تجاوزناه أيضاً رغبة في ربط الحاضر بالماضي وإعطاء صورة كاملة في الموضوع الذي نعرض له ، والحديث شجون كما يقولون .

شعر العاطفة والوجدان :

ويدخل فيه الغزل والنسيب . وإنما لم نعيّر بها لأنها في شعر الفقهاء يتميزان غالباً بشيء من التحفظ الذي يقتضيه بوقار العلم ، وهو تحفظ كثيراً ما بحث أصحابنا الفقهاء على اصطناع الأساليب الرمزية والاهتمام بالصفات المعنوية ، فصار غزلهم بذلك قلما يشبه غزل الشعراء الذي تغلب عليه الأوصاف الحسية ويفرق في المادية حتى يكون أدعى إلى الفجور والاستهتار ، وبكل وجه فهناك آفاق واسعة من الشعر الوجداني نظم فيها الفقهاء ، ليس الغزل إلا جانباً واحداً من جوانبها العديدة ، فحمله على الشعر الوجداني أولى من حمل هذا على الغزل .

وتفتتح هذا الباب بقول ابن أبي مليكة فيما هو من معنى قول شوقي..
(الحياة الحب والحب الحياة) :

من عاش في الدنيا بغير حبيب فحياته فيها حياة غريب
ما تنظر المينان أحسنَ منظرًا من طالب إلفاً ومن مطلوب
ما كان في حور الجنان لآدم لو لم تكن حواء ؛ من مرغوب
قد كان في الفردوس يشكو وحشةً فيها ، ولم يأنس بغير حبيب

نسب هذه الأبيات إلى ابن أبي مليكة الراغب الأصبهاني في محاضراته ،
وهي حرية أن تكون أم الباب في هذا المعنى نظراً لمكانة قائلها ، فانه من
فقهاء التابعين ، وقضاة المسلمين - كان يلي قضاء الطائف لابن الزبير -
ونظراً لما عبرت عنه من كون الحياة بغير حبيب غربة ، فالتحلي القلب من
فوازع الحب كالغريب الذي لا يجد رفيقاً ولا صديقاً يأنس به ويشاطره
أفراحه وأراحه ، فيالوحشة وقلق حياته ! وبذلك كان منظر الإلفين
أو قل الحبيين أحسنَ منظر تقع عليه العين ، فما السماء بقمرها ونجومها ،
والأرض برياضها وحياضها ، والشروق بسحره وجماله ، والغروب بروعته
وجلاله ، وكل شيءٍ منها كان حسناً جميلاً ، إلا انعكاس ذلك المنظر الذي
لا يحلو في العين شيء يدونه ، ولا يبدو فيما يبدو به من حسن وجمال إلا
لأن الحين خلعوا عليه تلك الحُلة ، وزانوه بذلك الحلي . وابن أبي مليكة
يفرغ الجنة من جميع الرغائب ، وهي الجنة حافلة بما تصبو إليه النفس
وعين إليه القلب - إذا لم تكن فيها حواء تبادل آدم حباً بحب ، وتقابل
شعور الإنس والعطف منه بمثله ، حتى الحور العين لا تدخل تلك المداخل
ولا تملأ ذلك الفراغ ، وهو معنى بديع لم يسبق إليه ، وفيه طمأنينة وسكينة
لعمائلنا ورفيقاتنا من الجنس اللطيف اللاتي يتبرعن كثيراً بهؤلاء الحور
العين ويستوحشن من مشاركتهن لمن في أزواجهن في الجنة ، فهذا شاعر

فقيه بين أن لا جمالَ الحور العين ، وهو جمال ضربَ جميع الأرقام القياسية في هذا الصدد ، ولا شيء مما في الجنة من المنغريات ، بقادر على أن يصرف الأحباب عن أحبابهم وبخاصة الرجل عن شريكته في الحياة الأولى ، لأن ما بينها أسمى وأعلى من كل ذلك ، إنه رباط روحي وامتزاج قلبي ، بدأ منذ كنا مُنجدَ لَين في الطين ، وما زال ينمو ويقوى ويجذب هذا نحو هذه ، حتى اندمج كل منها في الآخر وأصبحتا ذاتاً واحدة تجر وراءها من الذكريات بقدر ما اشتبكت به حياتها الماضية من العلاقات ، فكيف وأثنى للحور العين بهذا التجاوب وما فيه من متاع ؟

إننا لهذه الماني الجميلة التي تضمنتها هذه الأبيات ، ولتقدمها زمناً باعتبار أن قائلها من أهل الصدر الأول ، قلنا إنها حرية أن تكون أم الباب في شعر الغزل والنسيب ، وما أشبهها بأبيات ابن الرومي السائرة في حب الوطن التي يقول فيها (ولي وطن آليت أن لا أئيمه) فكما بقيت هذه غرّة الشعر العربي في معناها ، كذلك يحق لأبيات ابن أبي مليكة أن تكون واسطة القدر في بابها ، ولا ننس مع ذلك أن صاحبها فقيه .

ولأبي بكر بن عبد الرحمن الزُّهري ، وهو من رجال الرواية والحديث :

ولمّا زلنا منزلاً طلّه الندى أنيقاً وبستاناً من النور حاليًا

أجدّ لنا طيبُ الزمان وحسنه مُنى ، فتمنينا فكنّا الأمانيا

هذان اليتان من أحسن ما قيل في تمني لقاء الحبيب عندما تجلو الطبيعة محاسنها ، ويروق المكان ويطيب المجلس ، فلا يكمل سرور الحب بذلك ، ولا تقر عينه بما يرى ، حتى يحضر حبيبه ويضفي من روحه وجماله على تلك المجالي ، ما يجعلها تحلّ من نفسه محلّ الرضى والقبول ، وإلا فإن الجنة ونعيمها على ما مرّ آتقاً لا يحلو منها شيء بدون مشاركة الحبيب . ولذلك كان وجوده في مثل هذه الحال أقصى الأمانى كما عبّر عنه هذان اليتان أرق تمييز .

ولا يفوتنا أن تقول إنها من شعر الحماسة ، ولا يختار أبو تمام لديوانه هذا إلا ما كان غاية في حسن أسلوبه ومعناه .

ومن الشعر العاطفي المجرد قول أبي بكر الشَّيْبِي من أکابر الصُّوفية :

رُبَّ ورقاء هتوف في الضحى ذاتِ شجورٍ صدحت في في
ذكرتُ إلفاً وعيشاً سالفاً فبكت حُزناً فهاجت حزني
فبكائي ربما أرقها وبكائها ربما أرقني
ولقد تشكو فما أفهمها ولقد أشكو فما تفهمني
غيرَ أني بالجوى أعرفها وهي أيضاً بالجوى تعرفني
أتراها بالبكى مولعةً أم سقاها الين ما جرّعني

وهي مقطعة تكاد تسيل رقة وعذوبة ، فما شئت من حسن التقسيم ورد العجز على الصدر ، ومن جمال الأداء لهذا الداعي بينه وبين الحماسة الشجية ، وتشابهُ حاله وحالها في الشوق إلى الحبيب والبكاء بعده ، إلى قوة التخيل الذي جملة يستقد أنها تحس بحرقته وجواه ، كما يحس هو بجواها وحرقتها ، وإن لم يكن الأمر كذلك فليم هذا البكاء المر؟ هل هو ولوعٌ فقط أم هو في الواقع شعور بالين وفرقة الحبيب مثل شعوره هو بذلك الذي هاج حزنه وبكاه ؟ الحقيقة ان القطعة معبرة أحسن من هذا الذي قلناه في شرحها ، وأنها في غنى عن كل تفسير ، فهي بشكلها ومضمونها قد استولت على الغاية من جمال الصياغة وحسن البيان .

ومن لطيف الغزل قول القاضي عياض :

رأيت قمرَ السماء فأذكرتني ليالي وصلها بالزقتين
كلانا ناظر قمرًا ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني

لهذين البيتين شهرة كبيرة بين الأدباء ، وهما وإن لم يعبرا عن عاطفة مشبوبة ولا عن شعور عميق ، فقد تضمنتا صنعة بيانية عجيبة مبنية على خيال بارع ، جعلتها يمثلان نوعاً فريداً من الرمزية في الأدب العربي ، وذلك هو سبب الشهرة التي حظيا بها حتى ادعاهما كثير من الأدباء . (فقلوه كلانا ناظر قمر) هو أعم من أن يراد به قمر سماء ولذلك عقبه بما يفيد أن هناك قمرين ، المحبوبة الشبيهة بالقمر ، والقمر الحقيقي الذي هو قمر السماء ، لكنه يرى أن المحبوبة هي القمر الحقيقي فلذلك كان ينظر إليها بعينها هي التي تنظر إلى قمر السماء ، وهذا عنده هو القمر المجازي ، فلذلك جعل المحبوبة تنظر إليه بعينه هو التي ينظر إليها . وذلك هو قوله في الأول (ولكن رأيت بعينها) وفي الثاني (ورأت بعيني) ولا شك أن تخيله هذا هو من إغراقه في هوى المحبوبة بحيث جعلها هي التي يحق أن يشبه بها القمر ، ثم كان صوغ هذا المعنى في بيتين اثنين من الشعر ؛ منتهى البراعة والمقدرة .

ومن بليغ الشعر في الرقة والنحول قول محمد بن عبد الكريم الفيندلاوي الفاسي المعروف بابن الكثناني ، أحد مشائخ محي الدين بن عربي :

وما أبقى الهوى والشوقُ مني سوى نفسٍ تردَّد في خيال
خفيتُ عن المنية أن تراني كأن الروح مني في محال

ولسكي تبيين فضل هذين البيتين في معانيهما ، علينا أن نقارنهما بقول المتنبي في ذلك :

كفى بجسمي منحولاً أني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني
فانه أثبت لنفسه جماً وكونه رجلاً يخاطب صاحبه ، في حين أن صاحبنا لم يبق منه إلا نفس متردد في خيال ، ثم إن المتنبي جعل صاحبه يراه ، وأما صاحبنا فقد خفي حتى عن الموت أن يراه وجعل روحه كأنها في محال ، فين الشرين بؤساً بعيد .

. والشيخ محي الدين من أعظم شعراء الوجد والفرام من الفقهاء والصوفية ،
وله ديوان سماه ترجمان الأشواق فيه كل معنى بديع من شعر الغزل والنسيب
والحب الإلهي ، وتقتصر من قوله على هذه الأمثلة المختارة بمعرفة :
مرضي من مريضة الأخفان
هفت الورق في الرياض وناحت
بأبي طفلة لعوب تهادي
طلعت في العيان شمساً فلما
يا طلولاً برامة دارسات
بأبي ثم بي غزال ريب
ما عليه من نارها ؛ فهو نور

علاني بذكرها علاني
شجور هذا الحمام مما شجاني
من بنات الخدور بين الفواني
أقلت أشرقت بأفق جناني
كم حوت من كواعب وحسان
يرتمي بين أضلي في أمان
هكذا الثور بخيد النيران

وله على طريقة ميار :

واحربا من كبدي واخربا
في كبدي نار جوى محرقة
يامبئياً أحييت منه الحبا
يا قمرأ في شفق من خفر
لو انه يسفر عن برقه
كان عذاباً ، قل هذا احتجا

وله أيضاً ، والآيات الثلاثة الأخيرة هي مما شرق وغرب من شعره :

ألا يا حمامات الأراكه والبان
ترققن لا تظهرن بالنوح والبا
أطارحها عند الأصيل وبالضحى
ومن عجب الأشياء ظي مبرق
ومرعاه ما بين الترائب والحشا
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة
ترققن لا تضعقن بالشجواشجاني
خفي صبابتي ومكنون أحزاني
برثة مشتاق وأثة هيئات
يشير بمنتاب ويومي بأجفان
ويا عجب من روضة وسط نيران
فمرعني لغيرلان ودير رهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح تورا ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه ، فالحب ديني وإيماني
تعطينا هذه النماذج على اقتضاها فكرة عن شاعرية الشيخ الأكبر ، خاصة
في موضوع المواجد والأشواق ، فهو شاعر واسع الأفق متفتح الذهن ،
يزاوج بين النزعتين الحسية والمعنوية ، ويشير في خفاء إلى مرامه ولكنه
لا يرمرز ولا يُغمض ، ومن ثم كانت أغراضه مفهومة حتى انه لمؤاخذة
بها عند من لا يقبلون هواده في ميدان التشريع . ونحن نقبل كلامه على
أنه من طموح الشمس الشاعرة وبسطة وتحليقها في سماء المعرفة ونشداها
للكمال . وقد قال إبراهيم عليه السلام (رب أرني كيف تحيي الموتى)
وقال موسى صلوات الله عليه (رب أرني أنظر إليك) وقال سيدنا محمد (ﷺ)
« نحن أحق بالشك من إبراهيم ، فكيف بنا معشر المحجوبين عن حكمة
الخلق وسر الوجود لا تتطلع ولا نستفهم ؟ نعم قد يزل الواحد منا فيسبق
لسانه إلى ما فيه مؤاخذة عليه ، لأننا غير معصومين ، وهل كان
الففران إلا للزلل ؟

وما أرقاء كلام صاحبنا في القطعة الأولى ، وألطف صفتة لحبه بالمرض ،
ولحييته بمرضه الأجفان متوخياً في ذلك هذا الجنس الخفيف الذي لا تكلف
فيه ، ثم محاورته بعد ذلك لرفيقته ، وصفته للحام طائراً ونائماً في
الرياض ، مثيراً لشجنه مهيباً لحزنه ، مما يجعله يعود لذكر الحبيبة وتفديتها
بأبيه على عادة العرب في إظهار شعورهم نحو من يحبون ، وما أن جدد
وصفها في رشاقة وتحبب بما تعود الشعراء أن يصفوا به الحبايب حتى غلبت
عليه نزعتة المعنوية فأتى في البيت الرابع بما يفهم منه أنه يريد الحقيقة
الظلية مملحاً إلى رؤيا الخليل للشمس بازغة ثم آفلة ، ولكنه لم يكن
بتمرّفاً بل واصفاً ، لأن شاهد الرمنالة على المطلوب قائم معه ، فذلك

لم يكن غروب الشمس عنده نهايةً وعلامةً تقضى ، بل بدايةً للتجلي واستمراراً . للاشراق الذي هو عين الكمال . ويرقى الحال بصاحبنا فيهم بين أطلال الآحبة ويفنى في ذات محبوه . فلا يشر إلا وهو يقدّيه بأية مرة ثانية ، ثم بنفسه ويمجد حقيقة حبه بين جوانحه وأضلعه للتأججة بنار الشوق والمفرام برداً وسلاماً كما كانت نار النمرود على إبراهيم . لا . بل انه ليجيدُها نوراً نخبداً للنيران ، موحياً السكينة والاطمئنان فيأنس ونافس معه ، لأننا لا نملك ، وقد خاطبنا أولاً بما هو من طبيعتنا ويغزل حِسِّي رقيق إلا أن نصحبه في رحلته التي انتهت بنا معه إلى هذا الجو من المعاني السامية ، فإذا نحن قد أحسنا بما أحس أو يعض ما أحس ، وأشرق باطننا بنور الإيمان واليقين .

ويطول الأمر لو تتبعنا أغراضه في القطعتين الثانية والثالثة ، وحللنا عناصر شاعريته فيها ، وإنما لا بد أن نشير إلى هذا المعنى الإشاري البارع الذي تضمنه البيت الخامس من القطعة الثانية ، وهو الذي يعلل احتجاب المحبوب بالشقة على الحين من بهر الكافحة الذي لا تخمليه بنيتهم الضعيفة وهو يرمز بذلك إلى قوله تعالى ليكليمه موسى لما سأله الرؤية : (انك لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) وقد مهد له بالبيت الرابع الذي لا كفاء له في الجمال ، فجاء متمكناً من موضعه ، منسجماً مع ما قبله غاية الانسجام . كذلك نشير إلى اللمحة الشعرية الرائعة التي اشتمل عليها البيت الخامس من القطعة الثالثة ، سو قد عبر عنها بصورة أخرى في البيت السابع من القطعة الأولى وغلطنا عليها بما فيه الكفاية . أما الأبيات الثلاثة الأخيرة من القطعة الثالثة فإنها أشهر من أن تُعرّف ، وقد ترجمت إلى كل اللغات

الحية من شرقية وغربية ، وهي تدل على روح إنسانية عالية تحتضن سائر
العوالم بالحب الذي لا ينضب معينه ، ولا يمنع من وروده أحد .

وغير خفي أن هذه الالتفاتات الروحية الجميلة التي يمتاز بها شعر القوم
تجعل له قيمة يفوق بها شعر كبار الشعراء ، وترشحه لأن يكون أدباً إنسانياً
عالمياً ، وبالفعل فإن ما نُقِل منه إلى اللغات الأجنبية أكثر مما نُقِل من شعر
الشعراء الآخرين . ولو لم يكن له من ميزة إلا هذه لكان جديراً أن
ينظر إليه بعين الإجلال والإكبار ، كيف وهو في الصنعة الشعرية أيضاً
لا يقصر عن شعر فحول الشعراء كما رأينا ؟

وإذا كثرتنا الشيخ محيي الدين يسلطان العاشقين عمر بن الفارض ،
ذلك الشاعر المولّه ، الذي تغنى بالحب الإلهي ما شاء له الولّه ، وتفان
في معانيه وتعمق أسرارهِ حتى صار علماً بين الشعراء بشعره الوجداني الرفيع
ومقاصده العليا التي يهيم بها أرباب القلوب ، وتجلهم يحفلون بديوانه أشد
الحفل ولا يعدلون به ديوان شاعر من شعراء العربية . ولاشتهار شعره
وديوانه فانا نكتفي بنموذج واحد منه وهو أبيات مختارة من قصيدته الجميلة
الرقيقة ، قال :

ما بيّن مُعْتَرِك الأَحْدَاقِ والمُتَهَجِّجِ	أنا القَتِيلُ بلا إثمٍ ولا حرجِ
ودُعَّتْ قَبْلَ الهَوَى رُوحِي لما نَظَرْتُ	عَيْنَايَ مِنْ حَسَنِ ذَاكَ الْمَنْظَرِ البَهِيجِ
لله أَجْفَانُ عَيْنِ فَيْكِ سَاهِرَةٌ	شَوْقًا إِلَيْكِ وَقَلْبٌ بِالْغَرَامِ شَجِجِ
لا كَانَ وَجْدُ بِهِ الْآمَاقُ جَامِدَةً	ولا غَرَامٌ بِهِ الْأَشْوَاقُ لَمْ تَهْجِجِ
عَذِيبٌ بِمَا شِئْتَ غَيْرَ الْبُعْدِ عَنْكَ تَجِدُ	أَوْقَى مَحَبٍّ بِمَا يُرِضِيكَ مُبْتَهِجِ
وَمُخَذٌ بِقِيَمَةٍ مَا أَبْقَيْتَ مِنْ رَمَقِ	لا تَخِيرِي فِي الْحُبِّ إِنْ أَبْقَى عَلَى الْمُهْجِ

مَنْ لِي بِاتِّلَافِ رُوحِي فِي هَوَى رَشَا . مُحَلِّوِ الشَّهَائِلِ بِالْأَتْفَاسِ مُمْتَزَجِ
 مَنْ مَاتَ فِيهِ غَرَامًا عَاشَرَ مُرْتَقِيًا مَا بَيْنَ أَهْلِ الْهَوَى فِي أَرْفَعِ الدَّرَجِ
 تَرَاهُ إِنْ غَابَ عَنِّي كَأَنَّ جَارِحَةً فِي كُلِّ مَعْنَى لَطِيفٍ رَائِقٍ بِهِجِ
 فِي نِعْمَةِ الْعُودِ وَالنَّهْيِ الرَّخِيمِ إِذَا تَأَلَّفَا بَيْنَ الْحَانِ مِنْ الْهَزَجِ
 وَفِي مَسَارِحِ غَيْرِ لَانِ الْجَمَائِلِ ؛ فِي بَرْدِ الْأَصَائِلِ وَالْأَصْبَاحِ فِي الْبَلَجِ
 وَفِي مَسَاقِطِ أُنْدَاءِ الْغَمِّ عَلَى بِسَاطِ نَوْرِ مِنَ الْأَزْهَارِ مُنْتَسِجِ
 وَفِي مَسَاحِبِ أَذْيَالِ النَّسِيمِ إِذَا أَهْدَى إِلَيَّ مُسَحَّيَّرًا أَطِيبَ الْأَرْجِ
 وَفِي الثَّمَامِيِّ تَغَرَّ الْكَأْسِ مُرْتَشِفًا رَبِيقَ الْمُدَامَةِ فِي مُسْتَنْزَعِ قَرَجِ

إن هذه الأبيات وحدها كافية لإظهارنا على شاعرية ابن الفارض ورقة معانيه
 ولطف تعبيره والأجواء الروحية التي يخلق فيها ، فلم يكن القوم محايين له
 لما بَوَّأوه مكانَ الصدارة بين الناطقين بلسانهم المعبرين عن حالتهم . وانه
 فوق ذلك خلّيقٌ أن يحتل مقاماً رفيعاً بين الشعراء الوجدانيين في الأدب
 العالمي ، لو أُتيح لشعره ترجمة وافية بأغراضه إلى اللغات الحية المقروءة في
 جميع أنحاء المعمور .

وهذا لون آخر من شعر القوم ، وهو قصيدة للشيخ عبد الله بن القاسم
 الشهرزوري المنعوت بالمرتضى ، يصف فيها رحلة له في عالم الغيب طلباً
 للحقيقة الربّانية أولها :

لَمَعَتْ نَارُهُمْ وَقَدْ عَسَسَ الْإِلْهُ وَمَلَّ الْحَادِي وَحَارَ الدَّلِيلُ
 فَتَأَمَّلْتُهَا وَفَكَّرْتُ مِنْ الْبَيْنِ عَلِيلُ وَلَحْظُ عَيْنِي كَلِيلُ
 وَفَوَادِي ذَاكَ الْفَوَادُ الْمُعْنَى وَغَرَامِي ذَاكَ الْغَرَامُ الدَّخِيلُ
 ثُمَّ قَابَلْتُهَا وَقَلْتُ لَصَحْبِي هَذِهِ النَّارُ نَارُ لَيْلِي فَمِيلُوا
 فَرَمَوْا نَحْوَهَا لِحَاطًا صَحِيحًا تَرَفَعَاتِ خَوَاسِثًا وَهِيَ مُحُولُ

والقصيدة طويلة أثبتتها ابن خلكان بكاملها في وفيات الأعيان وأثنى عليها ، وكذلك أوردتها العامي في الكشكول ، ومن المهم الوقوف عليها فإنها من عيون الشعر الرَّمْزي في العربية .

وفي الباب شعر كثير لأبي مَدَّين والجلي والشُّشْتري والبكري والنابطي والبُرعي وابنُ وُفاء وحسين بن عبد الشُّكور والحَرَّاق وسواهم ، مما يطول المقام بتبعه ، ولكن لا بد أن تقدم ولو مثلاً واحداً للحراق باعتبار أنه مغربي ، قلما يُعرَف شعره في المشرق مع أنه صاحب ذوق سليم وصنعة محكمة . وليكن ذلك المثال هو الرائية التي ضمَّنها قول المجنون :

أماطتُ عن محاسنها الحمارا	فغادرتِ العقولَ بها حيارى
وبثَّتْ في صميم القلب شوقاً	توقدَ منه كلُّ الجسم نارا
وألقت فيه سرّاً ثم قالت	أرى الإفشاء منك اليوم عارا
وهل يستطيع كتمَ الر صبّ	إذا ذكر الحبيبُ لديّه طارا
به لبيبَ الهوى شيئاً فشيئاً	فد يشمرُ وقد خلعَ العذارا
إلى أن صارَ غيباً في هواها	يشير لغيرها ولها أشارا
يُغالط في هواها الناس طراً	ويُلقي في عيونهم الغبارا
ويسأل عن معارفها التذاذاً	فيحسبه الورى أن قد تمّارا
ولو فهموا دقائق حب ليلي	كفاهم في صابته اختبارا
إذا يبدؤ امرؤ من حيّ ليلي	يذلُّ له وينكرُ انكسارا
ولولاها لما أضحى ذليلاً	(يقبلُ ذا الجدارا وذا الجدارا
وما حبّ الديار شغفٌ قلبي	ولكن حبُّ من سكن الديارا)

ولعلنا أسرفنا في إيراد الأمثلة من هذا النوع من الشعر الإشاري

أو الرَّمْزي أو الصُّوفي بعبارة أوضح ، وقد بقيت في النفس حاجة من شعر الغزل والنسيب الخالص وضاق المجال عن الزيادة فلنُلمِّع ببعض الأمثلة

القليلة. لئلا يُظن أن أصحابنا الفقهاء إنما برعوا في هذا الشعر الصوفي وليس لهم في غيره من شعر العاطفة والوجدان كبير أثر ، مع أن ما قدمناه في تراجم أفراد منهم كمروية بن أذينة وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود وأحمد بن المفضل وابن حزم ، كاف لإقامة البرهان على طول باعهم ورحب ذراعهم في هذا الباب على اتساعه . ولكن لا بد من أمثلة أخرى تتمم ما سبق وتذكر في مظننها هنا ويكون بها مسك الختام للباب .

فمن ذلك قول القاضي أبي حفص بن عمر :

هم لحظوا لواحظها فياموا	وتشرب عقل شاربها المدام
يخاف الناس مقتلها سواها	أيذر قلب حامله الحسام
سما طرفي إليها وهو باك	وتحت الشمس ينسكب الغمام
وأذكر قدتها فأفوح شوقاً	على الأغصان تنتدب الحمام
وأعقب بينها في الصدر غمماً	إذا غربت ذكاء أتى الظلام

وله أيضاً :

مشت كالغصن يثنيه النسيم	ويعدوه النسيم فيستقيم
لها ردق تعلق في لطيف	وذاك الردف لي ولها ظلوم
يُعذبي إذا فكّرت فيه	ويُعيبها إذا رامت تقوم
وما حيي لها إلا عذاب	عليه من نضارتها نعيم

وكان هذا القاضي بارعاً في النظم والنثر ، وله في الغزل مقطعات رائعة ، ويقول ابن سعيد المغربي فيه انه كان على غاية من الظرف إذا أقبل شمعت رائحة الطيب منه على بُعد ، وإذا غسيت ثيابه لا يكاد يفارقها ، وكان منزله كأنه حجة ، حتى وجد فيه أعداؤه مطعناً ورفعوا له منصور (الموحدي) أنه غير حافظ للنأموس الشرعي بكثرة تنزله واشتغال مقطعاته وانهاكه في المشق ، فنقله المنصور من قضاء بفس إلى قضاء إشبيلية .

وللوزير العالم عبد المهيمن الحضرمي السبتي هذه الأبيات الرقيقة في
الحنين إلى عهد وصال الأجابة :

نفسى النداء لهدى كنت آلفته	وطيب عيش تقضى كلته كرم
وجيرة كان لي أنس بوصلهم	والأنس أفضل ما في الوصل بقتهم
كانوا نعم فؤاذي والحياة له	فالآن كل وجود بعدهم عدم
بأنوا فماد نهارى كلته ظلماً	وكان قرئهم تمتحى به الظلم
فالعين منى لا ترقا مدامعها	كأنها سحبت تهمي وتنسجم
تبكي عهود وصال منهم سلفت	كأنما هن في إنسانها حلت
لئن ضحكت سروراً بالوصل لقد	بكيت حزناً عليهم والدموع دم
هم علموني البكا ما كنت أعرفه	يا ليتهم علموني كيف أبتم
واسترضوني لبان الوصل من صغري	حتى إذا علقت روعي بهم قطعوا
ولابن جابر المكناسي في المعنى :	

تالله بعد أحيائي الذين مضوا	وخلفوني رهين البث والحزن
ما أبصرت مقلي من بعدهم حسناً	ولا نظرت إلى شيء فأعجني

ولأبي عليّ اليوسي ، وفيه تورية مليحة :

وعادل عن الهوى عاذل	يدعو لأمر في الهوى أمر
قال اسلمهم واصيركم ذائق	أمر في الهجر من الصير
وزع عينان القلب عما حري	عليه من بلواء أو يجري
فأي عثر في اتباع الصبا	قلت له إن الهوى عذري

عبد الله كنوه



نظرات في المعجم الوسيط

- ١٣ -

تتمة تعريف الأعلام الجغرافية والتاريخية والشعوب

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظات
القار	«الزِفْت» (انظر زفت). ويوم ذي قار : يومٌ لبني شيبان ، وقعت حوادثه في مكان في النهاية الشرقية للجزيرة العربية إلى الجنوب من الكوفة ، وهو أوّل يوم انتصفت فيه العرب من المعجم .. [مادة ق. و. ر.]	ذوقار - كما في معجم البلدان - ماء لبكر ابن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط . وحنو ذي قار على ليلة منه وفيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس ... يوم عطش الأعاجم فمالوا إلى بطحاء ذي قار وبها اشتدت الحرب وانهزمت الفرس وكانت وقعة ذي قار المشهورة في التاريخ .
		لقد كانت من المستحسن أن يشير المعجم الوسيط إلى أن ذا قار بطحاء في جنوبي الكوفة من أرض العراق ، لأن إغفال مثل هذه الإشارة ، والقول بأن مكان المعركة كان في النهاية الشرقية للجزيرة العربية ، لا يعطي تعريفاً دقيقاً لذي قار .

رددت المعجمات القديمة تعريفات كثيرة لكلمة «قارة» واختار المعجم الوسيط واحداً من غريبها ، والقارة ، كما في اللسان ، الجبل الصغير ؛ وقال الأحياني : هو الجبل الصغير المنقطع عن الجبال ؛ وقيل : هي الصخرة العظيمة ، وهي أصغر من الجبل .	القَارَةُ جيلٌ صغيرٌ منفردٌ أسودٌ مستديرٌ ملمومٌ طويلٌ في السماء . — الأكمة . — والخَرَّةُ ، وهي أرض ذات حجارة سود . (ج) قارٌ وقُورٌ وقيران . — قبيلة عربية عرفت في الجاهلية بالخذق في الرماية . وفي المثل : « قد أنصف القارة من إمامها » .
وفي لسان العرب ، كما في غيره ، القارة : الدُّبَّةُ (١) ، والقارة : قوم من رماة العرب ينتسبون إلى خزيمة من كنانة ، ومنه المثل : « أنصف القارة من إمامها » (٢) .	[مادة ق و ر]
لقد كان من المستحسن أن يكون التعريف كما يلي : القَارَةُ : الجبل الصغير ، والأكمة ، والصخرة العظيمة ، والكثيب من الرمل . . .	الدُّبَّةُ الموضع الكثير الرَّمْلُ ... الدُّبَّةُ الطَّرِيقَةُ ...

(١) الدُّبَّةُ ، ضبطت في كل من اللسان والقاموس وفي غيرهما من للمجموعات ، بضم الدال ، وضبطها محقق مفاييس اللغة لابن فارس بفتحها ، والدُّبَّةُ بالفتح : الكثيب من الرمل ، كما في اللسان والقاموس ، أما الدُّبَّةُ بالضم فهي الطريق وهي أنشأه الدب . ومن يعتمد مفاييس ابن فارس يكاد يجزم بأن لا وجه لضم ذال الدُّبَّة في معاني القارة ، لولا ما ورد في اللسان والتاج من أنه قيل : القارة في هذا المثل الدُّبَّةُ ، وقيل في مثل لا يظن الدب الحجارة ، وذكر ابن بري وجهاً آخر لهذا المثل فراجع ، وفي مادة (ف ط ن) لا يظن القارة إلا الحجارة . والقارة : أشي الدُّبَّةُ (٢) يلاحظ في المعجم الوسيط سقوط الراء في (راماما) أثناء الطبع ، وللمثل من شعر ورد في

اللسان ، وتتمته :
قد أصف القارة من راماما
إننا إذا ما قسنا نلقاها
زرداً أولاهما على أخراها

بُعَاث : يوم بُعَاث آخر موقعة بين الأوس والخزرج في الجاهلية .

في القاموس المحيط : وبُعَاثُ بالعين وبالفين ويثُلث : موضعٌ بقرب المدينة ويومُهُ .

يوم الحرّة يوم اُتُهب فيه المدينة - عسكرُ الشام أيامَ يزيد ابن معاوية سنة ثلاث ومِستين ، وكان ذلك في حرّة واقم .

في القاموس المحيط : الحرّة موضع بظاهر المدينة ، تحت واقم ، وبها كانت وقعة الحرّة أيام يزيد .

لقد كان من المستحسن أن يكتفي المعجم الوسيط بما ورد في القاموس ، إذ لا محل ، في معجم مثله ، للتعريف الذي اختاره .

مادة [ح ر ر]

الأرمادا الأسطول الأسباني الذي هزمه الإنجليز في القرن السادس عشر الميلادي ، وتردد ذكره في التاريخ .

لم يكن تعريف (الأرمادة) لازماً في معجم استبعدت منه الأعلام التاريخية ، كما كان من المستحسن أن يكون التعريف ، إذا أثبت ، كما يلي :

(حج) . الأرمادة : الأسطول الإسباني الذي حاول غزو انكلترا في القرن السادس عشر الميلادي فهُزم .

الإخشيد من ألقاب الأمراء عند
الفرس . ومنحه الخليفة
الراضي العباسي محمد بن
طغج حينا ولاه إمارة
عام ٣٢٦ هـ (٩٣٧ م) .
مما يلاحظ على تعريف « الإخشيد » الوارد
في المعجم الوسيط ما ورد في التاج : « وما
يستدرك عليه الإخشيد بالكسر : ملك الملوك
بلغه أهل فرغانة ، ذكره السيوطي في تاريخ
الخلفاء » .

قال ابن الأثير : فرغانة ولاية وراء جيحون
وسيحون ؛ ونستنتج من هذا أن فرغانة من بلاد
الترك وليست من بلاد الفرس ، أي أنها من
أقاليم خوارزم ، وهي تتبع اليوم « ازبكستان »
السوفيتية .

إن المعجم الوسيط كان في غنى عن تعريف
الكلمة ، أما وقد عرّفها ، فكان من المستحسن
أن يشير إلى أن دولة الإخشيديين تنسب إلى
لقب محمد بن طغج .

وردت هذه الكلمات الثلاث في المعجم
الوسيط ، وكان مثله في غنى عن إثباتها ، لأنها
موسوعية أكثر منها معجمية .

ومما يلاحظ أن المعجم لم يشير إلى صفة
الكلمتين الأوليتين ، بينما ذكر أن الكلمة الثالثة
معربة ، والكلمات الثلاث في حقيقتها دخيلة .
يضاف إلى هذا أن التعريفات تخلو من الدقة .

التلمود كتاب لليهود فيه شرائعهم
وسننهم .

[مادة ت ل م]

الجنّاراء عند اليهود : شرح
للمشنى مبسوط باللغة
الآرامية . (انظر المشنى) .

[مادة ج م ر]

المِشْنَى كتاب مؤلف بالعبريّة الحديثة في الفقه اليهودي .
(مع) . [مادة م ش ن]
فتعريف كتاب (المِشْنَى) بأنه مؤلف بالعبريّة الحديثة ، قد يوحى بأنه مؤلف حديث ، بينما هو مؤلف قديم بالعبريّة ويعتبر جزءاً من التلمود .
والمعروف عن التلمود أنه مجموعة التعاليم والتقاليد اليهودية المنقولة شفهيّاً والمفسرة من قبل رجال الدين ، وأنه ينقسم إلى قسمين : الأول : المِشْنَى ؛ ويضم النصوص ، والثاني : الجمارة ؛ ويضم شرحاً وتفسيراً للنصوص وتكملة لها (١) .

قَرِيشٌ قبيلة عربية من مضر ، سكنت في مكة وقامت على الحج ، ومنها رسول الله محمد ﷺ .

[مادة ق ر ش]

مادة (ق ر ش) في المعجمات العربية ، أصل لمعانٍ مختلفة ، أورد المعجم الوسيط أكثرها . وقد اختلف المؤرخون في السبب الذي من أجله سميت قريش قريشاً ، فقال ابن فارس في مقاييس اللغة : القاف والراء والشين أصلٌ صحيح يدل على الجمع والتجمع ، فالقَرَش : الجمع ، يقال قَرَشُوا : إذا تَجَمَّعُوا . ويقولون : إن قَرِيشاً سميت بذلك . . . ويقولون : إن قريشاً دابة تسكن البحر تغلب سائر الدواب . قال (المشرح بن عمرو الحنبري) :

وقريش هي التي تسكن البحر
رَبَّهَا سَمِيَتْ قَرِيشٌ قَرِيشاً

(١) انظر في الموسومات الأجنبية الكلمات التالية : Talmud ، و Mischna ، و Gémara .

وقال الفيروز آبادي : .. أو سُمِّيَتْ بِمَصْعَرِ
الْقِرَشِ (١) ، وهو دابة بحرية تخافها دوابُّ
البحر كلُّها ، أو سميت بقُرَيْش بن سَحْلَد بن
غالب بن فهر ، وكان صاحبَ عَيْرِم ، فكانوا
يقولون قدمت عير قُرَيْش وخرجت عير قُرَيْش

لقد كان مستحسنًا - في رأينا - لو توسع
المعجم الوسيط قليلاً في تعريف قُرَيْش وأشار
إلى وجود اختلاف في سبب تسميتها بذلك .
كما كان من المستحسن أن يضاف إلى التعريف :
والنسبة إليها - كما في القاموس - قُرَيْشِيٌّ
وَقُرَيْشِيٌّ .

الأُحْبُوشُ والأُحْبُوشَةُ : الجماعة
من النَّاسِ اختلفت أجناسهم .
(ج) أَحَايش . وَأَحَايش
قُرَيْش : جماعة من قُرَيْش
وكنانة وخزاعة اجتمعوا
عند حُبْشِيٍّ ، وهو جبل
بأسفل مكة ، وتحالفوا .
أجمعت معاجم العربية على القول : إن
أحايش قُرَيْش اجتمعوا عند جبل اسمه
« حُبْشِيٌّ » ، ولكن اسمهم - كما يبدو بعد
التدقيق - لم يأخذوه من اسم الجبل بل من
تجمعهم من قبائل أوبطون شتى .
قال ابن فارس في المقاييس : الحاء والباء
والشين كلمة واحدة تدل على التجمع ، فالأحايش :
جماعات يتجمعون من قبائل شتى .

[مادة ح ب ش]

(١) عرّف المعجم الوسيط القِرَشَ - بأنه : حوت عظيم من حيتان البحر يغترس الإنسان ويخافه معظم
السك . وقد فاتنا عند هذا التعريف في عمله ، لأن القُرَش ليس من جنس الحيتان ، بل هو
نوع من السك .

وفي أساس البلاغة : اجتمعت قريش^١
والأحباش^٢ ، وهي فرق مجتمعة من قبائل شتى ،
حلفاء لقريش ، تحالفوا عند جيل يسمى
جُبُشِيَّةً . ويقال عندي أحبُوش^٣ منهم
أي : جماعة .

إن التعريف الذي جاء به المعجم الوسيط ،
قد يوحي بأكثر مما يستفاد من المعاني المتفق
عليها في مختلف المعجمات ، لذلك كان المستحسن
أن يكون التعريف كما يلي :

الأحبوش والأحبوشة : الجماعة من الناس .
و — الجماعة من قبائل أو بطون شتى ...

أُمِيَّةٌ مصغر الأُمّة . إن كان التعريف يبيّن أُمِيَّةً لازماً في المعجم
وبنو أُمِيَّة : من قريش الوسيط ، فهم يستحقون منه تعريفاً أكثر
والنسبة إليهم أمويّ على وضوحاً ، كمثل التعريف التالي :
القياس . وأمويّ على بنو أُمِيَّة : بطن من قريش ينتسبون إلى
أُمِيَّة بن عبد شمس ، منهم معاوية مؤسس الدولة
الأموية في الشام ، وعبد الرحمن مؤسس
دولتهم في الأندلس . . .

الأوسُ الذئب .
 الخَزْرَجُ الأسد . و — أحدُ فرعي الأنصار ، والآخر الأوس .
 اكتفى المعجم الوسيط في تعريف كلمة (الأوس) ببيان معناها اللغوي ، أما في تعريف كلمة (الخزرج) فقد أشار إلى الفرع الثاني من أنصار الرسول ﷺ ، وكان من حق الفرع الأول أن يشار إليه أيضاً في مادة (أوس) .

الأنباط قوم من الساميين يرجعون إلى أصلين ؛ أحدهما آرامي والآخر عربي ، كانت لهم دولة في القرن السابع قبل الميلاد ، وسقطت في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد ، وامتدت أملاكهم من الجزء الجنوبي الشرقي من فلسطين إلى رأس خليج العقبة ، وكانت عاصمتهم سَلْعُ أي الصخرة ، وهي التي سماها اليونان « بطرة » وسموا
 أورد المعجم الوسيط تعريفاً لكل من :
 الأنباط والعرب والترك والغز ، وقد توسع في بعض التعريفات دون بعضها الآخر ، وأدى توسعه إلى معلومات بعيدة عن الدقة ، كما كان في غنى عن الإشارة إلى قبيلة مثل الغز .
 لقد كان من المستحسن أن تكون جميع التعريفات دقيقة متقاربة في سعتها ، كأن تكون كما يلي :
 الأنباط : شعبٌ عربيٌّ قديمٌ (١) ، كانت له دولة في شمالي شبه الجزيرة العربية ، وعاصمتهم سَلْعُ (٢) ، وتعرف اليوم بالبراء (٣) .

(١) في تاج العروس : وفي حديث ابن عباس : نحن معاشر قريش من النبط ... وفي حديث الشعبي : أن رجلاً قال لآخر : يا نبطي ، فقال : لا حدٌ عليه كلنا نبط .

(٢) في معجم البلدان سلع : حصن بوادي موسى .

(٣) في القاموس : البراء موضع بقربه مسجد لرسول الله (ص) بطريق تبوك . وتبوك — كما في القاموس — أرض بين الشام والمدينة ؛ والبراء هو الاسم الذي يطلق اليوم على للموضع نفسه .

العَرَبُ : أُمَّةٌ سامية الأصل ، نشأت في شبه الجزيرة العربية ، ثم انتشرت في جميع البلاد الواقعة بين الخليج العربي شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً .	البلاد كلها ، أرباباً بطراً ، أي بلاد العرب الصخرية . — المشتغلون بالزراعة ، واستعمل أخيراً في أخلاط الناس من غير العرب .
التُّرُكُ : أُمَّةٌ منغولية الأصل ، نشأت في شرقي أسيّة ، والأتراك اليوم منتشرون في بلاد أسيويّة كثيرة ، ويسكن معظمهم في دولة تركية .	النَّبَطُ : الأنباط... وكلمة نبطيّة: عامية. العربُ جيلٌ من الناس سامي الأصل، كان منشؤه شبه جزيرة العرب . (ج) أعربُ والنسب إليه عَرَبِيٌّ .
	التُّرُكُ جيل من الناس . (ج) أتراك. والواحد: تَرْكِيٌّ .
	العُرُ : قبيلة من الترك . الواحد: عُرِّيٌّ .

الكُرْدُ : جيلٌ من الناس يسكنون شمالي العراق . الواحد : كُرْدِيٌّ .
هذا التعريف غير دقيق وناقص ، والأصح أن يكون كما يلي :

الكُرْدُ والأكراد : شعبٌ معروف يسكن هضبة فسيحة في آسيا الوسطى ، وبلادهم موزعة اليوم بين كل من دول روسية وتركية وإيران والعراق .

الْبَرَّابِرُ جيل من الناس يسكن أكثر بلاد المغرب . أكثر دقة ، كأن يكون كما يلي :
(ج) بَرَّابِرُ و بَرَّابِرَةٌ .
الْبَرَّابِرُ : شعب أكثره قبائل تسكن الجبال في شمالي إفريقيا .

فَارِسُ أُمَّة من الناس ، وهم الفُرسُ .
لقد كان من المستحسن أن يضيف المعجم الوسيط إلى التعريف ، القول بأن بلاد الفرس وفارس أيضاً بلاد الفُرس . تسمى اليوم : إيران .

المَعْجَمُ خلافُ العَرَبِ الواحد :
تجميمي نطق بالعربية أو لم ينطق .
لقد فات المعجم الوسيط أن يضيف إلى تعريف كلمة « المعجم » أنها : وعلم على الفرس خاصة ؛ بدليل أنه عرّف يوم ذي قار : بأنه أول يوم انتصف فيه العرب من المعجم (١) .

السُّودَانُ جيل من الناس سُودُ البشرة . واحدُه والنسبةُ إليه : سوداني .
السوداء لفة ضد البياض ، والأسود من كانت بشرته سوداء ، وجمعه (سودان) : والسودان من الناس ضد (البيضان) ، لذلك فكلمة سودان لا تعني لفة شعباً بعينه حتى يسوغ مثل التعريف الذي نقله المعجم الوسيط .

إن الشعوب السوداء تسكن أقاليم إفريقية غير واضحة الحدود ، تشمل عدة دول منها : تشاد ونيجريا ومالي والسنغال والكتنور ، ومنها

السودان وهي دولة عربية تقع في إفريقيا الشرقية
جنوبي مصر .

لقد كان من المستحسن أن يعيد المعجم الوسيط
النظر في تعريف الكلمة ليكون تعريفه
صحيحاً ودقيقاً .

الحَبَشُ نوع من الجنس الأسود .
و— سكان بلاد الحبشة .
واحد حَبَشِيٌّ . (ج)
حَبَشَان .
إذا كان المقصود من كلتي حبش وحبشان
سكان بلاد الحبشة ، فإن سكانها ليسوا من الجنس
الأسود ، وإن علت وجوههم السمرة الشديدة ،
وورود هذا التعريف في المعجمات القديمة لا يسوغ
نقله إلى معجم حديث .

النوبة جيل من السودان .
الواحد : نُوبِيٌّ . وبلاد
النوبة ، وَطَنُ ذلك
الجيل ويقع في الجزء
الجنوبي من بلاد مصر .
لقد كان من المستحسن أن لا تذكر كلمة
« السودان » مرادفة للجنس الأسود ، للسبب
الذي أشرنا إليه في تعليقنا على الكلمة نفسها
المذكور آنفاً .
إن النوبيين - في حقيقتهم - عناصر حامية
قديمة اختلطت بالعرب ، وهم يسكنون منطقة على
شاطئ النيل تقع في جنوبي مصر وشمال
السودان ، وتسمى بلاد النوبة .

القبط جيل من أهل مصر
الأصليين ، واحد :
قِبطِيٌّ . (ج) أقباط .
تعريف كلمة « قبط » في المعجم الوسيط قاصر
عن إعطاء المراجع فكرة صحيحة عنها ، والكلمة
يونانية الأصل كانت تطلق على سكان مصر القدماء .
أما اليوم فكلمة « قبط » تطلق على النصارى
من المصريين .

نقل المعجم الوسيط هذا التعريف عن معجم قديم ، ولا يصح لمعجم حديث أن يثبت .

والزنج أو الزنوج اسم أطلق قديماً على القبائل الإفريقية القاطنة في أقطار شرقي القارة ، ومنه كان اسم جزيرة (زنجبار) المعروفة ، ثم أطلق العرب كلمة (الزنج) على الرقيق المحمول من مختلف الأقطار الإفريقية . أما اليوم فأصبحت الكلمة ترادف : العرق الأسود ، وتطلق على جميع السلالات المنحدرة من القبائل الإفريقية المختلفة أثني استوطنت .

الزنج جيل من السودان يسكن حول خط الاستواء ، وتمتد بلادهم من المغرب إلى الحبشة ، وبعض بلادهم على نيل مصر .

الزنجي واحد الزنج أو الزنوج .

نقل المعجم الوسيط هذا التعريف عن القاموس ، وقد تكون فيه علة التسمية ، ولكن الخزر في الواقع : اسم إقليم وبحر معروفين ، ويطلق على شعب مغولي الأصل يسكن ذلك الإقليم .

الخزر جيل خزر العيون .

ورد هذان التعريفان في المعجم الوسيط ، وهما منقولان عن معجمين مختلفين ، وكان من الواجب إعادة النظر فيها ، ليكونا أكثر دقة وصحة .

الفَجَر قوم جفاة يسكنون الحولة ونواحي الأردن . والواحد منهم فَجَرِي . ويوجد مثلهم في كثير من البلاد (د) .

النَّوَرُ جيلٌ من الناس دأبهم
الشرُّ حالاً والتَّطَوُّافُ ، لهم
لغة خاصة ، ويعيشون في
الغالب على الشَّرْقَةِ والكُثْدَةِ ،
والتَّكْثُنْ بِمَعْرِفَةِ الْبَحْتِ .
الواحد : نَوْرِيٌّ . (د) .

والمعروف عن الفَجَرِ أو النَّوَرِ أنهم شعب
متجول منحدر من أصل هندي ، وهو منتشر
في كثير من البلاد ، ويتمسك بتقاليد وعادات
خاصة به ، وأفراده يدينون بدين الشعب الذي
يقيمون في بلاده ، ويعتمد أكثرهم على التجارة
في معاشه .

المَجُوسُ قوم كانوا يعبدون الشمس
والقمر والنار ، وأطلق
عليهم هذا اللقب منذ
القرن الثالث للميلاد .

جاء المعجم الوسيط بهذه التعريفات دون
أي إشارة إلى أن الكلمة في أصلها معربة على
ما في الأمهات .

قال ابن فارس في مقاييس اللغة : الميم والجيم
والسين كلمة ما نعرف لها قياساً وأظنُّها فارسية .
وقال الفيروزآبادي في القاموس : مجوس
كصبور : رجل صغير الأذنين وضع ديناً ودعا
إليه . معرَّب منج كوش .

وفي لسان العرب عن ابن سيده : المجوس
جيل معروف جمعٌ ، واحدٌ مجوسيٌّ
وهو معرَّب أصله : منج كوش ، وكان رجلاً
صغير الأذنين كان أول من دان بدين المجوس
ودعا الناس إليه ، فعرَّبته العرب ، فقالت

المجوسية عقيدة المجوس في تقديس
الكواكب والنار . —
دين قديم جدِّه وأظهره
يزاد فيه زرادشت .

«مجوس» ونزل به القرآن .

والمعروف أن المجوسية : دين قدماء الفرس ،
قبل الميلاد بعدة قرون ، والنسبة إليه : مجوسي ،
وقد ورد ذكر المجوس في انجيل متى ، يوم
جاء المجوس يسألون عن مولد السيد المسيح .

الإفرنج والإفرنجية جيل من الناس
يسكنون أوربة . (مع) -
[مادة أ ف ر]

نقل المعجم الوسيط هذا التعريف عن معجمات
قديمة ، وهو غير دقيق ، فكلمة (إفرنج أو
إفرنجية) تعريب كلمة (Franc) وهي جرمانية
الأصل كانت تطلق على مجموعة من القبائل ، وعلى
قطعة من النقود ، ومنها أخذ الفرنسيون اسمهم
واسم تقدم ، وكان عرب الأندلس يطلقون الكلمة
على نصارى إسبانية ، ثم أطلقها العرب في القديم
وما زالوا يطلقونها على سكان أوربة على اختلاف
شعوبهم .

لقد كان من المستحسن أن يكتفي المعجم
الوسيط بمثل التعريف التالي :

الإفرنج والإفرنجية : سكان أوربة . (مع) .
كما كان من المستحسن لو أشار المعجم الوسيط
إلى صيغة ثالثة في تعريب الكلمة ، وهي (الفِرَنْجِيَّة) .
إذ عربت الكلمة ، كما ورد في تاج العروس :
بإثبات الألف في أولها ، وعربها جماعة بحذفها .

الصقالية جيل من الناس كانت
مساكنهم إلى الشمال من
بلاد البلغار وانتشروا
الآن في كثير من شرقي
أوروبا، وهم المسمون الآن
بالسلاف .

تعريف «الصقالية» في المعجم الوسيط ،
حديث ولكنه غير دقيق ، لأن الصقالية ليسوا
شعباً واحداً ، بل هم مجموعة من الشعوب تقطن
اليوم البلاد الواقعة بين جبال الأورال والبحر
الأدرياتيكي .

ويلاحظ أن التعريف أشار إلى بلاد البلغار

[مادة ص ق ل] التي كانت معروفة في القرون الوسطى ، والتي

هاجر كثير من سكانها نحو الغرب أي إلى البلاد
التي تعرف اليوم بدولة بلغاريا ، ثم أصبحوا من
الشعوب السلافية ، أي من صقالية الجنوب ،
وهؤلاء هم أحد فروع ثلاثة كبرى للصقالية :
أولها صقالية الغرب ومنهم البولونيون ، وثانيها
صقالية الشرق ومنهم الروس البيض .

الإسكيمو (انظر : إسكيمو) .

[مادة س ك م]

الإسكيمو جيل من الناس يسكنون
القطب الشمالي .

[مادة اس ك]

أورد المعجم الوسيط كلمة (إسكيمو) في
مادتين ، بينما أغفل الإشارة إلى شعوب كثيرة
لا تقل أهمية عن الإسكيمو .

وصيانة التعريف تخلو من الدقة ، فكان من
المستحسن أن يكون كما يلي :

الإسكيمو : مجموعة من القبائل تسكن البلاد
المجاورة للقطب الشمالي . (د) .

اللاتيني" المنسوب إلى لاتينيوم :
 بلاد في إيطاليا . يقال :
 رجل ولسان لاتيني ،
 وامرأة ولغة لاتينية .
 (ج) لاتينيون .
 [مادة ل ت ن]
 التعريف الدقيق لكلمة لاتيني هو :
 اللاتيني المنسوب إلى (لاتيوم) أحد أقاليم إيطاليا .
 ومما تجدر ملاحظته : أن اللاتين : اسم طائفة
 من النصارى الكاثوليك ، وهم الذين يستعملون اللغة
 اللاتينية في عباداتهم . واحدهم : لاتيني .

الأصغر بنو الأصغر لقب الروم من
 سكان آسيا الصغرى
 والقسطنطينية وما إليها .
 قال صاحب القاموس : بنو الأصغر ملوك
 الروم أولاد الأصغر بن روم ...
 وقال صاحب اللسان : وبنو الأصغر الروم ،
 وقيل : ملوك الروم ، قال ابن سيده : ولا أدري
 لم سموا بذلك .

لقد كان من المستحسن أن يفصل المعجم
 الوسيط ذكر البلاد التي كان الروم يسكنون فيها ،
 وأن يكتب بالقول : بنو الأصغر : لقب الروم
 أو ملوكهم .

عبدنا الخليل

(يتبع)



محمد بن سلام

- ٢ -

فنون علمه ومؤلفاته

محمد بن سلام عالم واسع العلم ، أخذ من أكثر العلوم شيئاً ، و « تخصص »
في علوم أخرى عرف بها واقتربت به . وأهم فنون علمه :

الحديث :

سمع محمد بن سلام الحديث مبكراً ، وبلغ به درجة تخرّج له الرواية
وتسمّى له لقب « الحافظ » (١) ، وتبعث المؤلفين على ذكره والاهتمام بأمره .
قال الخطيب البغدادي إنه « حدث عن حماد بن سلمة ومبارك بن فضالة
وزائدة بن أبي الرقاد وأبي عوانة » (٢) .

وقال : « روى عنه أبو بكر بن أبي خيثمة وعبد الله بن أحمد بن حنبل
وأبو العباس ثعلب وأبو بكر المطوعي وأبو العباس أحمد بن علي الأتبار وغيرهم » (٣) ،
وذكر أبا خليفة الفضل بن الحباب الجمحي (٤) . وزاد آخرون : « محمد بن

(١) القهي - البر ١ : ٤٠٩ .

(٢) الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، وينظر القهي - لليزان ٣ : ٦٦ ، المغلاني ٥ : ١٨٢ .

(٣) الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، البستاني ١٣٤ ب .

(٤) الخطيب ٥ : ٣٢٧ .

حاتم الزمي، (١) و الإمام أحمد بن حنبل، (٢) .

« أخبرنا الحسن بن أبي بكر أخبرنا أحمد بن يعقوب الأصبهاني حدثنا أبو خليفة عن الرياشي قال : أحاديث محمد بن سلام عندنا مثل حديث أيوب عن محمد عن أبي هريرة . قال أبو خليفة : . وقال لي أبي مثل ذلك (٣) . وقال الخطيب : « أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب حدثنا محمد بن نعيم الضبي أخبرني علي بن محمد الحبيبي - عمرو - قال : سألت أبا علي صالح بن محمد جزرة الحافظ عن عبد الرحمن ومحمد ابني سلام الجحيين فقال : صدوقان . ورأيت يحيى بن معين يختلف إليهما » (٤) . ويبدو أن عبد الرحمن أكثر انصرافاً إلى الحديث من أخيه ، وكان محدثاً قبل أن يكون شيئاً آخر ، على خلاف محمد (٥) .

(١) ابن أبي حاتم ٢ : ٣ : ٢٢٨ .

(٢) ابن الأنباري ١٠٩ .

ولم يذكر ابن الجوزي في كتابه عن أحمد بن حنبل اسم محمد بن سلام بين من ذكر من مشايخ أحمد بن حنبل وكبار من روى عنهم . ويبدو أن في المسألة مبالغة أو التباس . (٣) ينظر الخطيب ٥ : ٣٢٨ ، الذهبي ميزان ٣ : ٦٦ ، الصفاتي ٥ : ١٨٢ . ورد الخبر مصحفاً مشوهاً ، وقد أفادنا الأستاذ محمد التنصير الكتاني - أستاذ علم الحديث في جامعة دمشق في تقوم الموج وذكر أن معنى النص أن الرياشي الأدب البصري يثني ويشيد بأبي سلام ، ويرض بالمحدثين الذين يطمنون في حديثه فيقول : أحاديث محمد بن سلام عندنا - معسر النجاة والقويين والأدباء - مثل حديث أيوب عن محمد عن أبي هريرة . أي أنها في الذروة صحة واتقاناً واعتماداً عليها .

(٤) الخطيب ٥ : ٣٢٨ . السمعاني ١٣٤ ب ، وينظر : ابن الأثير - الباب ١ : ٢٣٦ ، الذهبي - ميزان ٣ : ٦٦ ، الصفاتي ٥ : ١٨٣ ، التهذيب ٦ : ١٩٣ .

(٥) يبدو أن روى الرزباني ٢٠٨ عن ابن قانع أن محمد بن سلام توفي ببغداد سنة ٢٣١ قال : « ومات أخوه عبد الرحمن . بالبصرة في هذه السنة وبينهما أيام » . وينظر عنه : الذهبي - سير النبلاء ٧ : ٢٨٣ (منح . بالمكتبة الظاهرية بدمشق) ، ابن شاکر الكندي - عيون التواريخ ج ٦ (منح . بالمكتبة الظاهرية) . الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، السمعاني ١٣٤ ب ، الصفاتي ٥ : ١٨٢ ، ابن كثير (حوادث ٢٣١) .

والحقيقة أن محمداً لم يكن ذا مكانة عالية في علم الحديث، ولئن وردت شهادات توثقه، قد وردت أخرى تضعفه. قال الخطيب: «أخبرني الحسن ابن علي الصيمري حدثنا علي بن الحسن الرازي حدثنا محمد بن الحسين الزعفراني حدثنا أحمد بن زهير قال: سمعت أبي يقول: لا يكتب عن محمد بن سلام الحديث، رجل يرمى بالقدر، إغما. يكتب عنه الشعر، فأما الحديث فلا» (١).

ولو لم يكن رمية بالقدر اعتباطاً، فقد كان يذاكر القدر في المجالس (٢)، وكان يروي أخباراً ليست من القدرية ولكنها تدل على اهتمامه بالمسألة نفسها (٣). وعدمه الجاحظ في جملة البصريين المحدثين الذين قالوا بالقدر (٤). فلمله كان يضم القدرية ويخشي التصريح بها.

ويبدو - على أي حال - أن محمد بن سلام كان يضيق - أحياناً - بأصحاب الحديث ويود لو تمرّدوا قليلاً. ولا غرو أن يروي عن يحيى بن سعيد القطان قوله: «رواة الشعر أعقل من رواة الحديث لأن رواة الحديث يروون مصنوعاً كثيراً، ورواة الشعر، ساعة ينشدون المصنوع ينتقدونه ويقولون: هذا مصنوع» (٥).

لقد كان محمد بن سلام أميل إلى علم الشعر والأخبار واللغة.

-
- (١) الخطيب ٥: ٣٢٨، ينظر السمعاني ١٣٤، الذهبي - الميزان ٣: ٦٦ - ٦٧، (٥٦٨: ٣)، السقلائي ٥: ١٨٢ - ١٨٣.
- (٢) الزبيدي ٥٠.
- (٣) الجاحظ - الحيوان ٣: ١١.
- (٤) ابن الرضى - طبقات المتوفى ١٣٩. وقال ابن الأثير: الباب ١: ٢٣٩: «... قيل انه كان قدرباً».
- (٥) القالي ٣: ١٠٥.

اللغة :

وضع الزبيدي محمد بن سلام على رأس « الطبقة الخامسة » (١) من « اللغويين البصريين » وفيها - بعده : ابن أخي الأصمعي (عبد الرحمن بن عبد الله) ، وأبو نصر (أحمد بن حاتم) ورفيع بن سلمة (كاتب أبي عبيدة في الأخبار - المعروف بدماذ) .

ومع أن التقسيم الطبقي هذا قائم على أساس زمني ، فإنه يمكن أن يدل - كذلك - على « الأهمية » ، أو قلة الأهمية - إن شئت .

وقال الزبيدي نفسه إن ابن سلام « كان دون الأربعة : إبراهيم بن بكر الزيادي . وأبي محمد عبد الله بن محمد التوزي . والعباس بن الفرج الرياشي . وأبي حاتم السجستاني » (٢) علماً أن هؤلاء جاءوا في الطبقة السابعة من طبقات النحويين ، وأن بينهم من أخذ عن ابن سلام وروى عنه وأن الزبيدي لم يذكرهم في طبقات اللغويين (٣) .

ولئن لم يكن محمد بن سلام لغوياً كبيراً ، إنه كان - على أي حال - « من أهل اللغة » (٤) وأنه « ثقة جليل » (٥) . أخذ اللغة عن أعلامها وسمع مشكلها في مجالس العلماء ، واحتفظت له كتب اللغة بمكان .

ولا نعلم هل كان له مؤلف لغوي خاص ؟ ولو جمعت مروياته في دفتر خاص لكان له شأن ؛ وحفظت الكتب التي وصلت إلينا شيئاً مما روى ، وتنقل هذه الكتب عنه بثقة واطمئنان لأنه حذر فيما ينقل ، كأنه يخشى أن يجوز حدوده ويخاف أن يقع في وهم .

(١) الزبيدي ١٩٧ - ١٩٨ .

(٢) الزبيدي ١٩٧ .

(٣) كما رأينا ، وكما يذكر اللغوي ٦٧ .

(٤) الفنطلي ٢ : ١٤٣ .

(٥) اللغوي ٦٧ .

الأخبار :

« قال محمد بن يعقوب بن شبة : « خدشنا جدمي قال : كان محمد بن سلام له علم بالشعر والأخبار وهما من جملة علوم الأدب » (١) ، وعده ابن التديم « أحد الأخباريين » (٢) في الفن الأول من المقالة الثالثة (٣) من كتابه ، وهذا الفن « في أخبار الأخباريين والنسائين وأصحاب السير والأحداث » (٤) . وقال ابن الأثير : « كان عالماً بالأخبار وأيام الناس » (٥) .

وقد عرف محمد بن سلام في هذا الفن ، فنقلت عنه الأخبار وروت كتب النسب ؛ وألف فيه الكتب - كما سنرى - وأمكن أن يُنمَت بالأخباري (٦) . وفي القليل الذي وصل إلينا مما يُروى عنه أو عن طريقه ما يدل على أهمية الأصل - وطرافته أحياناً .

الرواية - العلم بالشعر :

لنا أن نعد كل ما ورد لابن سلام أو عنه في الحديث واللغة والنحو من من قبيل المشاركات والعلم بالشيء ولوازم المعرفة ، وزفقه في الأخبار درجة ؛ ولكن قيمة ابن سلام الأولى تنبع من كونه راوية « له علم بالشعر » .

(١) ياقوت ١٧ : ٢٠٤ ، ونظر الخطيب ٥ : ٣٢٩ .

(٢) ابن التديم ١٧١ .

(٣) ابن التديم ١٣٧ .

(٤) ابن التديم ١٧١ .

(٥) ابن الأثير ٥ : ٢٢٥ .

(٦) الصفدي ٣ : ١١٤ ، الحنبلي ٢ : ٧١ .

وليس سهلاً في عصره أن يكون المرء « أحد الرواة » (١) ، و « من أهل الأدب » (٢) بل « من أعيان أهل الأدب » (٣) و « أئمة » (٤) يكتب عنه وينزل منزلة الشيخ الذي يقصد إليه الطلبة فيمن يقصدون من كبار العلماء .

لم يكن محمد بن سلام أول الرواة أو ثانيهم أو ثالثهم في التسلسل الزمني ، فما كان تاريخ ولادته ليسمح له بشيء من ذلك ؛ ولم يكن أكبر راوية في علم الرواية لأن هذا العلم قد بدأ يستنفد آخر عناصر وجوده عندما طلع إليه ابن سلام ؛ وفضيلة هذا الطالع الجديد أنه استوعب ما استوعب سابقوه ومعاصروه المتقدمون عليه ، فتخلل وتقله وجود في تصنيفه والتأليف فيه . وتلقى الطلبة هذا العلم عليه في البصرة وبغداد وعلى تلاميذه من بعده ، وعليهم وعلى كتبه على مر العصور ؛ فما زال المؤلفون بعده يروون عنه ويستشهدون به ويروون فيه الرواية الثقة الذي لا ينتحل أو ينتحل ، ولا يكذب أو يخون ؛ وإغا هو العالم الذي يرى من واجبه أن يحق الحق ويبطل الباطل ، ويؤيد الصادقين ويفضح المدلسين .

وكان ثمة علمه وخلقه كتابه « طبقات الشعراء » ثم روايات هنا وهناك وصلت إلينا منبثة في غضون كتب الأدب .

(١) ابن النديم ١٧١ .

(٢) الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، ياقوت ١٧ : ٢٠٤ ، اللطفي ٢ : ١٤٣ . أو من جهة أهل الأدب كما لدى ابن الأنباري ١٠٩ .

(٣) ياقوت ١٧ : ٢٠٤ .

(٤) ابن تقي بردي ٢ : ٢٢١ ، السلافي ٥ : ١٨٢ .

مؤلفاته :

لمحمد بن سلام عدة مؤلفات ، وكان أكثر من روى هذه المؤلفات تلميذه ابن اخته أبو خليفة الفضل بن الحباب (١) . وذكر ابن النديم أكثر ما بلغنا من أسماء كتبه ، وإن كان في روايته اضطراب وفي نسخ الكتاب تصحيف (٢) . وكان ممكناً تصحيح الاضطراب لو عني المؤلفون الآخرون بذكر أسماء الكتب عناية ابن النديم ، ولو تردد ذكر هذه الكتب في بطون المؤلفات التالية عنها زمناً عندما تروى عن ابن سلام أوله ؛ ذلك أنه لم يصل إلينا من كتب ابن سلام إلا كتاب واحد ، وهو الوحيد الذي يرد له اسم عندما تُقتبس من الروايات والأخبار - ألا وهو « طبقات الشعراء » .

وفيا يلي محاولة للحديث عن مؤلفات ابن سلام - وهي ترينا أن مجالات هذه الكتب تكاد تستوعب كل فنون علمه .

١ - طبقات الشعراء - ولم نستطع أن نمثر على نسخة قامة صحيحة له . وقد طبع عدة طبقات : أولاها بليدن عام ١٩١٣ - ١٩١٦ م بتحقيق يوسف هان ، وأخراها - وهي الأكمل والأجدر بالاعتماد - بالقاهرة (دار المعارف ، ١٩٥٢) بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ، إلا أن المحقق رأى أن يسمى الكتاب بـ « طبقات فحول الشعراء » .

ولا بد من النص على أن من المؤلفين من لم يذكر « طبقات الشعراء » باسمه وإنما ذكر اسمين لكتابين يكوّنان في حقيقتها هذا الكتاب ، فجاء في الفهرست : « كتاب طبقات الشعراء الجاهليين وكتاب طبقات الشعراء

(١) . ياقوت ١٦ : ٢٠٤ - ، وينظر ابن النديم ١٧١ والبغدادى ٢ : ٨ .

م (٥)

(٢) ابن النديم ١٧١ .

الإسلاميين» (١)؛ وجاء في الوافي «كتاب طبقات شعراء الجاهلية ، طبقات شعراء أهل الإسلام» (٢) .

وقد يكون ابن سلام ألف — أول ما ألف — «كتاب طبقات الشعراء الجاهليين» ، ثم ألف كتاب طبقات الشعراء الإسلاميين ، وكتب لكل منها مقدمة منفصلة ثم جمع الكتابان في كتاب واحد بعد أن أضيفت إليها أشياء أخرى ؛ وقد يكون الذي فعل ذلك المؤلف نفسه وزاد المتأخرون ضروبا من الاضطراب .

٢ — كتاب بيوتات العرب — ذكره ابن النديم بهذا الاسم (٣) ، والصفدي بعنوان «كتاب نسب قريش وبيوتات العرب» (٤) . وليس تأليف مثل هذا الكتاب بمستبعد عن أخباري مثل ابن سلام ، ولكنه لم يصل إلينا ولم يصل

(١) ابن النديم ١٧١ .

(٢) الصفدي ٢ : ١١٥ . وفي الكتي ٦ : ١١٢ (مخ) : «وله كتاب طبقات شعراء الجاهلية وطبقات شعراء الإسلام» . ينظر شاكر ١٧ . «ان ذكر صاحب الفهرست .. كتابين .. لا يدل على انها كتابان منفصلان ..» أما الدكتور محمد زغلول سلام في كتابه «تاريخ النقد العربي ١» — القاهرة ١٩٦٤ — ص ١٠٣ — إلى ان لابن سلام كتابين في الطبقات ممتدا ما جاء على (ص ١٦) من طبعة مطبعة السعادة لكتاب طبقات الشعراء : «فالتصرتا في هذه على فحول الشعراء الإسلاميين للاستغناء عن فحول شعراء الجاهليين بطبقتي المؤلف في ذلك» ، ويقول : وهذه العبارة ساقطة من نسخة المعارف مع انها تورد بقيتها ... ، ويقول : «.. وبدفنا ذلك إلى الشك في ان المقدمة لم توضع للكتاب كله ، أي لجزئيه ، إذ قد تكون هناك مقدمتان اختلطتا مع ضياع بعض أجزائها» .

(٣) ابن النديم ١٧١ ، البغدادي ٢ : ٨ .

(٤) الصفدي ٢ : ١١٥ : الكتي (مخ) ٦ : ١١٢ «وله كتاب نسب قريش وطبقات العرب» ، ينظر ابن سلام ، وشاكر ٢٧ .

منه أيُّ نقل مسند إليه ، وربما كان في النقول التي وردت عن ابن سلام بما يتصل بالبيوتات وقريش ما يمكن أن يكون مستمداً منه .

٣- كتاب الفاضل في ملح الأخبار والأشعار - ذكره الصفدي والكتبي باسم « الفاضل في الأخبار ومحاسن الأشعار » (١) . ولم يصل إلينا الكتاب أو نقل عنه ، ولكن تأليف مثله يدخل في طبيعة علم ابن سلام وعمله ، ولعله ضمنه روايات لم يتسع لها كتاب « طبقات الشعراء » ، ولم تكن من منهجه وحدوده الزمنية ، وربما كان منه بعض ما ورد عن ابن سلام غير مستند إلى كتاب الطبقات .

وجاء اسمه في روايات أخرى على : « الفاضل ... » (٢) .

وقال الأستاذ محمود محمد شاكر وهو يعلق عليه : « وحدث فيما رواه أبو الفرج بأسانيده عن ابن سلام أكثر من أربعين موضعاً يذكر فيها المغنين ، ومواضع أخرى ذكر فيها بعض الشعراء كعمر بن أبي ربيعة ، ونابغة بني شيبان وبشاراً وغيرهم كسكينة بنت الحسين وسعدى بنت عبد الرحمن بن عوف والحارث بن خالد الخزومي وموسى شهوات ، فأخشى أن يكون لابن سلام كتاب أيضاً في المغنين أو تكون من الكتاب الذي ذكره ابن النديم في الفهرست : الفاضل ... » (٣) .

(١) الصفدي ٢ : ١١٥ ، الكتبي (مع) ٦ : ١١٢ .

(٢) ابن النديم ١٧١ . وعلق الأستاذ شاكر . هامش ص ١٤ بقوله : « لعله الفاضل بالضاد المعجمة » . وورد على « الفاضل » لدى البندادي ٢ : ٨ (وكتابه

ينسب ابن النديم) .

(٣) شاكر ٢٨ .

وما أشار إليه الأستاذ شاكر يلفت النظر ، وليس مستغرباً أن يروي ابن سلام أشياء عن عمر بن أبي ربيعة وأمثاله ، ولا مستغرباً أن ينقل أشياء من حوادث معاصريه من الشعراء والمغنين فقد رآهم وخالط بعضهم وروى عن خالط ، ولكن ما عرفناه من تزمته التأليني ومن خلق رواة ذلك العصر الذين لا يمتدرون إلا بالمصور التي سبقت زمنهم يجعلنا نستبعد أن يكون لابن سلام كتاب في المغنين — زد على أن مثل هذا الاسم لم يرد بين ما ذكر من أسماء كتبه وفيما نقل عنه من روايات .

٤ — كتاب الحلاب واجراء الخيل — ورد لدى ابن النديم باسم « الحلاب وأجر الخيل »^(١) ، ولدى الصفدي باسم « الحلاب واجراء الخيل »^(٢) ، ولدى الكتي : « الحلاب وأجر الخيل »^(٣) .

وفيما رواد الجاحظ وحده في كتابه « الحيوان »^(٤) عن ابن سلام ما يدل على اهتمام خاص بهذا الموضوع .

٥ — طبقات شعراء الفرسان — قد يكون لمحمد بن سلام كتاب خاص بهذا العنوان . وقد نبه إليه بروكلمان معتمداً ما جاء في الأغاني من نقول لا توجد في كتاب « طبقات الشعراء » وهي تخص الشعراء الفرسان مثل : دريد بن الصيعة الذي جعله ابن سلام أول شعراء الفرسان وخفاف بن نذبة الذي جعله في الطبقة الخامسة من الفرسان^(٥) .

(١) ابن النديم ١٧١ .

(٢) الصفدي ١١٥ : ٢ .

(٣) الكتي (مخ) ١١٢ : ٦ .

(٤) الجاحظ — الحيوان ١ : ١٠٤ ، ٣ : ٢٢٥ ، ٥ : ١٦٦ ، ٢ : ٢٦٣ (ونظر

ابن هذيل ٨٥) .

(٥) ينظر شاكر ٢٦ — ٢٧ .

وأيد هذا الظن الأستاذ محمود محمد شاكر إذ قال : « وهذان النصّان هما اللذان حملا بروكمان على الظن بأن ابن سلام قد ألّف كتاباً في طبقات فرسان الشعراء وقد أصاب بروكمان كلّ الإصابة ، فإن ابن سلام قال في صدر كتاب الطبقات (ص ٥) : « .. ذكرنا العرب وأشعارها ، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها . وأشرفها وأيامها ، إذ كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب ، وكذلك فرسانها وساداتها وأيامها ، فاقصرنا من ذلك على ما لا يحمله عالم ، ولا يستغني عن علمه ناظر في أمر العرب فبدأنا بالشعر » .

« ولما كان كتاب الطبقات ، كما قال هو في الشعر والشعراء وحدهم على ما بيّن بعد في كتابه ، وقال إنه : « بدأنا بالشعر » فهذا وحده 'مُشعر' بأنه سوف يتبع الشعر بالكلام على « فرسان العرب » ثم « أشرف العرب وساداتها » ثم « أيام العرب » وقد وجدنا كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، وذكر ابن النديم كتاباً سماه « بيوتات العرب » ، فهذا ، فيما نعتقد ، هو الذي ذكر « أشرف العرب وساداتها » . فجاء أبو الفرج فدلّنا دلالة قاطعة على كتاب آخر لابن سلام هو كتاب الفرسان أو كتاب « فرسان الشعراء » (١) . وهو جهد في الاستقراء والاستنتاج ، لا ينبغي أن يكون صحيحاً أو قريباً من الصحة .

وكان مما أثار الأستاذ شاكر قول المستشرق الألماني يوسف هل - وهو يقدم للطبعة الأولى من كتاب « طبقات الشعراء » - : من الجائز أن يكون كتاب « فرسان الشعراء » قد اندمج في كتاب « الفرسان » لأبي خليفة الجمحي ، وقد ضاع كتاب أبي خليفة فيما يظهر ، (٢) .

(١) شاكر ٢٦ - ٢٨ ، ١٠ .

(٢) ينظر شاكر ١٧ .

ولم يكن لأبي خليفة - في حقيقة الأمر - كتاب باسم الفرسان ، لأن أبا خليفة راوية أمين لحاله محمد بن سلام ، وقد جاء عنه في معجم الأدباء : « روى عن خاله كتبه فأكثر وعن غيره وروى له من الكتب كتاب طبقات الشعراء الجاهليين ، وكتاب الفرسان ... » (١) . وكان الفهرست قد ذكر - قبل ذلك - وهو يتحدث عن أبي خليفة : « وله كتاب طبقات الشعراء الجاهليين وكتاب الفرسان » (٢) .

ولا بد من أن تكون « له » هذه مسبوقة بما سبقها في رواية معجم الأدباء « ... وروى له .. » ، ولا بد من أن تكون صلة كتاب الفرسان بأبي خليفة صلة كتاب « طبقات الشعراء .. » به - أي أنها لحاله ؛ وهو الذي رواها - فيما روى .

ملاحظة : لمحمد بن سلام عناية خاصة بعلماء العربية من أهل البصرة ، يتقصى أول نشأتهم ويسير ترتيبهم وينقل ما علمه عنهم وما سمعه وما رآه ، فمن المحتمل أن يكون له كلام مجموع عنهم في مكان ما : مجلس أو حديث أو رسالة ... أو كتاب . فقد وردت هذه الأخبار متناثرة هنا وهناك من الكتب التي ألفت - بعده - في النحويين واللغويين ، وورد بعضها في كتاب « طبقات الشعراء » على شكل استطراد أشبه أن يكون مزجوحاً حتى ليخيل أنه وقع من إنسان آخر غير المؤلف (٣) .

(١) باقوت ١٦ : ٢٠٤ (ولا بد من أن يكون شكل روى بفتح الراء على المعلوم ، وينظر المفدي - نكت ٢٢٦ .

(٢) ابن التديم ١٢١ .

(٣) ابن سلام ١٢ - ٢١ .

ولدى السيرافي إشارة قد يفهم منها أن لمحمد بن سلام كتاباً في هذا الباب ، فقد قال : « قال أبو سعيد ثم وجدت بخط أبي أحمد الجريري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب عن محمد بن سلام في ترتيب النحويين من البصريين حماد ... وكان يونس بفضله » (١) .

وتكرر الخبر لدى الأنباري (٢) .

ملاحظة أخرى : ذكر أكثر من باحث أن لمحمد بن سلام كتاباً بعنوان « غريب القرآن » ، ومن هؤلاء الباحثين الزركلي (٣) وكحالة (٤) ومحمود محمد شاكر (٥) ... ولا بد من أن يكون السبب - فيما يكون - أنهم نقلوا عن ياقوت (٦) (أو عمن نقل عن ياقوت كالسيوطي) (٧) إذ ورد : « وله غريب القرآن » .

وياقوت مضعف لأكثر من سبب : لأنه متأخر عن ابن سلام (بحوالى أربعة قرون) ، ولأنه تفرّد بهذه الرواية ، ولأنه غير متخصص فتجاوز عليه الأمور وتختلط .

وسر الخلط وجود أكثر من ابن سلام في عصر واحد ، فهناك أبو عبيد القاسم بن سلام وهناك أبو عبد الله محمد بن سلام ، وقد اختلط

(١) السيرافي ٣٤ .

(٢) ابن الأنباري ٢٧ .

(٣) الزركلي - الأعلام ٧ : ١٦ .

(٤) كحالة - معجم اللّواين ١٠ : ٤١ .

(٥) شاكر - ١٤ ، ٢٨ .

(٦) ياقوت ١٦ : ٢٠٤ .

(٧) السيوطي - البنية ٤٧ .

- كما رأينا - الأمر على الناس قبل ياقوت بثلاثة قرون أو أكثر ، كما اختلط عليهم في عصر ياقوت . ولم يكن القاسم بن سلام نكرة فيضيع حقه ، فقد عنيت به كتب التراجم وتحديث عنه وعن مؤلفاته ، ولم تغفل أن تنص على كتابه « غريب القرآن » .

إذا لم يؤلف محمد بن سلام « غريب القرآن » وإنما ألفه القاسم بن سلام .

الدكتور علي حواد الطاهر

أهم المصادر

- ابن أبي حاتم .. الرازي - كتاب الجرح والتعديل ، حيدر آباد الدكن ١٣٧١/١٩٥٢ .
 ابن الأثير - الكامل في التاريخ . القاهرة ، المنيرة ١٣٥٧ (دون نص) .
 - الباب في تهذيب الأدب . القاهرة ، ١٣٥٧ .
 ابن الأنباري - نزعة الألباء في طبقات الأدباء . بغداد ١٩٥٩ .
 ابن قنبري بردي - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ، ١٣٤٨-١٩٢٩ .
 ابن حزم - جهرة أنساب العرب ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
 ابن خلدون - المعبر ... ، بيروت ، ق ١ ، مجلد ٢ ، ١٩٥٦ ، مجلد ٣ ، ١٩٥٧ .
 ابن خلكان - وفيات الأعيان ، القاهرة ، ١٣٦٧/١٩٤٨ .
 ابن دويد - الاشتقاق . القاهرة ، ١٣٧٨/١٩٥٨ .
 ابن سعد - الطبقات الكبرى . بيروت ، ١٣٧٦/١٩٥٧ .
 ابن سلام - طبقات نحول الشعراء ، القاهرة ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ١٩٥٢ .
 ابن كثير - البداية والنهاية في التاريخ . القاهرة ، ١٩٣٢ .
 ابن الزديم - الفهرست ، القاهرة ، مط . الاستقامة (من دون تاريخ) .
 الأصمباني (أبو الفرج) - الأغاني . القاهرة ، مط . دار الكتب المصرية . التقدم (التزام ساسي) .
 البغدادي (اسماعيل) - ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، استانبول ١٣٦٤/١٩٤٥ .
 - هدية المارفين وأسماء المؤلفين ، استانبول ١٩٥١-١٩٥٥ .
 - الجاحظ ترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني . دمشق ١٩٦١ .

بلا ت

- مجلس ثعلب . القاهرة ١٩٦١ .
 - الجاحظ . القاهرة ١٩٣٨ - ١٩٤٧ .
 - الجاحظ . القاهرة ١٩٦٢ .
 - شذرات الذهب . القاهرة ١٣٥٠ .
 - تاريخ بغداد . القاهرة ١٩٣١ .
 - كتاب ميزان الاعتدال القاهرة ١٣٢٥ (ط . الحلبي ١٣٨٢ - ١٩٦٣) .
 - العبر في أخبار من غير . الكويت ١٩٦٠ -
 - سير النبلاء . ج ١ ، القاهرة ١٩٥٦ ؛ ج ٧ مخطوطة الظاهرية بدمشق .
 - طبقات النحويين والنحويين . القاهرة ، ١٩٥٤ .
 - كتاب نسب قریش . القاهرة ١٩٥٣ .
 - مجلس العلماء . الكويت ١٩٦٢ .
 - الحياة الأدبية في البصرة ... دمشق ١٩٦١ .
 - الأنساب . ليدن (زنگراف) ١٩١٢ .
 - أخبار النحويين البصريين ، القاهرة ، ١٩٥٥ .
 - المقدمة التي كتبها على تخميصه لكتاب طبقات الشعراء لابن سلام ،
 ينظر ابن سلام .
 - الوافي بالوفيات . دمشق ، ج ٣ ، ١٩٥٣ .
 - لسان الميزان ، حيدرآباد الدكن ، ١٣٢٩ - ١٣٣١ (دون نص)
 - تهذيب التهذيب ، حيدرآباد ، ١٣٢٥ .
 - الإصابة في تمييز الصحابة ، القاهرة ، ج ٣ ، ١٩٣٩ .
 - التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة .. بغداد ١٩٥٣ .
 - كتاب الأموال . القاهرة ، ١٣٥٣ .
 - الأمالي ، ط ، القاهرة ١٩٢٦ (معه ذيل الأمالي والنوادر)
 - إنباء الرواة على أنباء النحاة . القاهرة ١٩٥٢ - ١٩٦٠ (دون نص) .
 - كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكاء ، (مختصر الزوزني ' ليبك ' ١٩٠٣) .
 - الكتي (ابن شاكر) - عيون التواريخ ، ج ٦ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق .
 - المقوي (أبو الطيب .. الحلبي) - مراتب النحويين . القاهرة ، ١٩٥٥ .
 - « مختار من كتاب للرزباني في أخبار النحويين » ، استانبول ،
 مخطوطة مكتبة شهيد علي رقم ٢٥١٥ :
 - معجم الأدباء (ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب) . القاهرة ،
 دار للأمنون ١٩٣٦ - ١٩٣٨ .



طَرَر عَلَى مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ

أَوْ إِرْشَادِ الْأَرِيبِ إِلَى مَعْرِقَةِ الْأَدِيبِ لِيَاقُوتَ

طبعة الأستاذ مرجليوث سنة ١٩٠٧ م

— ٤ —

(المجلد الأول)

- ٢٦٨ : ١٥ الصواب : كما في الأغاني فقط من القلم نقطة أو فكت القلم نقطة ، (١ : ١٨١ / ٤) .
- ٢٧٠ : ١٠ الديوان ١٠٩ من وثري .
- ٢٧٠ : ١٥ لعل الأصل أما أنا فأستحسن ، (١ : ١٨٥ / ١) .
- ٢٧١ : ٢ الصواب : وأبي أن يعزّ إلا بذلي . الديوان ١٣٠ .
- ٢٧١ : ٩ البيت ترى لنا تخريجه في ديوان إبراهيم رقم ١٧٣ .
- ٢٧١ : ١٧ ثلاث ثم ما ، (١ : ١٨٧ / ١٢) .
- ٢٧٢ : ١ الديوان أعقب ، (١ : ١٨٨ / ١) .
- ٢٧٣ : ٨ لعل الصواب من الحرب معتصر ، (١ : ١٩٠ / ١٢) .
- ٢٧٣ : ١٠ الصواب : أزاله وأداله من الدولة .
- ٢٧٣ : ١٨ الصواب : خُطّ لعيني أنّ ترى من قد . المرتضى ٢ : ١٣٠ .
- ٢٧٤ : ٢ الصواب : وما روى .
- ٢٧٤ : ٥ الديوان ٨٦ الحماسة بون ١٣٧ بولاق ١ : ١٤٧ ، (١ : ١٩٢ / ٥) .
- ٢٧٤ : ١٠ (وما ان هذا الخ) كلام غير متّجه .

- ٢٧٤ : ١١ الصواب : بَقَّأَهَا أو أَبْقَاهَا . وفي البيت الآتي آباء الشام .
الديوان رقم ١٢٥ ، (١ : ١٩٢ / ١٥) .
- ٢٧٤ : ١٤ حققنا عزو الأبيات وهي لأبي الأسد الدينوري في ديوان
ابراهيم رقم ٥٧ والزيادات بعد ١٨٩٠ بما لا مزيد عليه ، (١ : ١٩٣ / ٤) .
- ٢٧٤ : ١٤ الصواب : في ناظري حيَّة ، (١ : ١٩٣ / ٥) .
- ٢٧٤ : ١٦ الصواب : وقد كدَدتني ، (١ : ١٩٣ / ٧) .
- ٢٧٥ : ٢ الصواب : أو إن هزلا .
- ٢٧٥ : ٣ الصواب : في الديوان ١٣٢ :
- تَأْسِيًا مِنْهُ بِمَا قَدْ ضَمِنْتَ مِنْ ذِكْرِ لَا ، (١ : ١٩٤ / ١) .
- ٢٧٦ : ١٤ الركازة الخرافة ثقله الصاغاني .
- ٢٧٦ : ١٨ الكلمة في ٢٠ بيتاً في الأغاني ١٩ : ١١٩ لابراهيم بن المدبر ،
(١ : ١٩٧ / ٤) .
- ٢٧٧ : ٥ البيتان لأحمد بن المدبر في أخيه ابراهيم في الأغاني ١٩ : ١٢٣ ،
(١ : ١٩٧ / ١٣) .
- ٢٧٨ : ٧ نَأْثَرُهُ . والأبيات في البنية والوفيات (كافور) .
- ٢٧٨ : ١٩ الصواب : بما أَشْمُ مِسِيكًا ... لَفَاءً بالفاء التراب وكل قليل
وهما مثلان « رضي من الوفاء بالفاء » و « بدل أعور » ، (١ : ٢٠١ / ٤) .
- ٢٧٩ : ٢ الأبيات لإيادي يذكر عذرة الخطيب الايادي كما في البيان
١٩٢٦ م والصواب والدَجَى . إذا ضَرَّجَوْهَا ، (١ : ٢٠١ / ٦) .
- ٢٧٩ : ٩ الصواب : يَتَبَجَّجُ ، (١ : ٢٠٢ / ٥) .
- ٢٧٩ : ١٥ ترجمته مستقصاة في أصل الزبيدي ١٦٨ وكل ما هنا منه
وفي الشذرات سنة ٣٤٦ هـ ، (١ : ٢٠٣ / ١) .

- ٢٨١ : ٣ الصواب : وقد ذكر .
- ٢٨١ : ٩ الصواب : حيش بن محمد . ابن عساكر ٢ : ٢٣١ قال وضبطه ابن ماكولا حيش ، (١ : ٢٠٦ / ١) .
- ٢٨١ : ١٠ وفي لسان الميزان ج ١ رقم ٢٢٩ ابن الكبري ، (١ : ٢٠٦ / ٢) .
- ٢٨١ : ١٨ الصواب : لأصحاب . ابن عساكر ، (١ : ٢٠٦ / ١١) .
- ٢٨٢ : ٦ الصواب : وقد أجاد فيه ، (١ : ٢٠٧ / ٧) .
- ٢٨٣ : ح ١ وذلك أن أخاه أبا الوليد توفي سنة ٢٥٦ عن سن عالية كما في طبقات الزبيدي ، (١ : ٢٠٨ / ح ٢) .
- ٢٨٣ : ٨ ابن عساكر ٢ : ٢٥٢ النديم ٩٢ ، (١ : ٢٠٩ / ٧) .
- ٢٨٤ : ٥ (كان يكون بالشام) لا غبار عليه .
- ٢٨٤ : ١٧ الصواب : لفظ ابن عساكر وهو (أمره السلطان بشيء فم يقبل فغضب عليه وضربه مائتي سوط فغضب له الأوزاعي فتكلم في أمره ، (١ : ٢١٢ / ٢) .
- ٢٨٥ : ٨ الصواب : ما فيها حرف . ابن عساكر .
- ٢٨٥ : ١٠ الصواب : يَنْخُلَانِهَا بَنَحْلًا . ابن عساكر .
- ٢٨٥ : ١٥ الخوص . ابن عساكر .
- ٢٧٦ : ١٨ الفهرست ٧٩ ، (١ : ٢١٥ / ١٢) .
- ٢٨٨ : ١١ ابن شهر هو الهلال ، (١ : ٢١٨ / ٤) .
- ٢٨٨ : ١٦ الصواب : مُقْظِع ، (١ : ٢١٨ / ١٤) .
- ٢٨٩ : ٩ ولا تبرؤ الأصل تبرؤ من باب نصر ، (١ : ٢٢٠ / ٦) ،
- ٢٨٩ : ١٥ الصواب : إلا أن .
- ٢٩١ : ١١ (خط رائين) انظر .
- ٢٩١ : ١٨ الصواب : مَيْتًا بِقَفْرَةٍ .

- ٢٩٢ : ٣ أخباره في الأغاني ١٩ : ١١٤ ، (١ : ٢٢٦ / ٩) .
- ٢٩٤ : ٥ حفظي بالقميص المستجد وفي كنايات الثعالي ٣٥ كما هنا واليت الثالث فيه ١٤ ، (١ : ٢٣١ / ١١) .
- ٢٩٤ : ٨ الصواب : سعد هذيم ، (١ : ٢٣١ / ١٤) .
- ٢٩٤ : ٩ الصواب : وزئبد . بلا دال يريد الزئب وهو (الفَعْل) ، (١ : ٢٣٢ / ١) .
- ٢٩٤ : ١٠ الوَدَّ الصديق وهو الودد أيضاً وشبهه به هنا الزئب وهو الودد من عصب وجلد ، (١ : ٢٣٢ / ٢) .
- ٢٩٤ : ١٤ ترجمته في لسان الميزان ج ١ رقم ٣٠٠ ، وفيه عن أبي نعيم في سنة وفاته ٢٨٠ هـ (١ : ٢٣٢ / ٦) .
- ٢٩٥ : ١ الطوسي والنجاشي بومباي ١٣١٧ هـ ص ١٢ ، وقوله (جبارا) في لسان الميزان عن أبي نعيم (غالبا) ، (١ : ٢٣٣ / ١) .
- ٢٩٥ : ١٤ المتعتان متمتا الحج والشكاح .
- ٢٩٥ : ١٧ لفظ النجاشي كتاب الأحداث حروب الغارات السيرة أخبار يزيد ، (١ : ٢٣٤ / ٦) .
- ٢٩٦ : ٤ لترجمة الفهرست ١٤٧ .
- ٢٩٦ : ٥ التشبيهات منه نسختان بمصر ، (١ : ٢٣٥ / ١) .
- ٢٩٦ : ٧ الصواب : بابن أبي القراق ، وذكره ابن القارح ٢٠٠ سنة ١٣٣١ هـ .
- ٢٩٧ : ٢ الصواب : فأبي .
- ٢٩٧ : ٢ الصواب : للجبن ، (١ : ٢٣٦ / ٥) .
- ٢٩٧ : ٩ الجوابات المسكة يوجد باستنبول وذكر لي أنه طبع طبعة محدودة ، (١ : ٢٣٦ / ١٤) .

- ٢٩٧ : ١٣ وفي الأغاني ١٣ : ٢٤ أنها لأبي عمر أحمد بن المنجم، (١ : ٢٣٧/٦).
- ٣٠٠ : ١١ الصواب : حتى دان .
- ٣٠٠ : ١٧ الصواب : ولا . يُعجزه قريب .
- ٣٠٣ : ١٢ الصواب : إذ كان يحقّق التناسخ .
- ٣٠٦ : ٩ لعله عن نكته ، (١ : ٣٥٢/١٣) .
- ٣٠٧ : ٢ لترجمته الخطيب والزبيدي والنزهة والفوات والجزري ١٠٢
- والفهرست ٨١ ، والمنتظم ج ٦ رقم ٤٢٧ ، (١ : ٢٥٤/١) .
- ٣٠٧ : ١١ قوله صيّر الخ ولا ملام عليه فانها كذا بالفارسية ، (١ : ٢٥٥/٨) .
- ٣٠٨ : ٢ النزهة ٣٢٩ البرهاري الخطيب ٣٢٠٥ البرهاري رئيس الحنبلية وهو الصواب والبرهاري كما في الأنساب ٧١ لجالب العقاقير والحشيش والأدوية من الهند ، (١ : ٢٥٦/٩) .
- ٣٠٨ : ١٦ الصواب : مجراها .
- ٣٠٩ : ٢ لعله قال ابن عرفة .
- ٣١٠ : ٢ وترجم الخطيب ٢٧٥٠ لابن داود ، (١ : ٢٦٠/٥) .
- ٣١٠ : ١٣ (المذهب) لا غبار عليه والمرهب في الحاشية صوابه المرهب ، (١ : ٢٦١/١٢) .
- ٣١١ : ١٠ الصواب : لا أخذ .
- ٣١١ : ١٤ تأتي الآيات ٦ : ٢٢٤ و ٤٩٠ .
- ٣١١ : ١٨ ابن النديم ١٧٢ الوفيات . (نبطويه) يبتان بعض اختلاف لأبي عبد الله محمد بن زيد الواسطي المتكلم ، والثالث مما هنا في مختصر طبقات الزبيدي رومة رقم ٨٣ لابن الرومي ولا يوجد في نسخة الأصل ، (١ : ٢٦٤/٨) .

- ٣١٢ : ١٠ الخطيب ٣٢٠٥ والنزهة وعندهما وليس لي في حرام منهم ،
(١٤ / ٢٦٥ : ١) .
- ٣١٢ : ١٥ الخطيب من حيائي يوم ، وهو الصواب ، (٧ / ٢٦٦ : ١) .
- ٣١٣ : ١٦ لعله ربّ امرئ أو (أو امرئ) .
- ٣١٤ : ٧ الخبز الآتي عن النشوار ٨ : ٥٣ ، (٨ / ٢٦٩ : ١) .
- ٣١٤ : ١٥ الصواب : أن ثلثني سوى دل . ثم وجدته كذلك
في النشوار ، (٥ / ٢٧٠ : ١) .
- ٣١٦ : ١ الصواب : ابن محمد بن العلاء ، عن نسخة الزبيدي .
- ٣١٦ : ٢ في الكلام سقط والأصل (حكى فلان عن البرد قال في
تلاميذ أبي العباس على أبي العباس الخ) . أو ما يشبهه ، (٥ / ٣ : ٢) .
- ٣١٦ : ٨ الصواب : ابن الإفيليّ بالفاء ينسب إلى إفيل أو إقليلا
بالشام كان سلفه منها ترجمته في الصلة رقم ١٩٥ والضبطي ٤٨٥ والوفيات .
- ٣١٧ : ٧ الصواب : أبو مروان بن حيّان وهو مؤرخ الأندلس الشهير ،
(١٥ / ٦ : ٢) .
- ٣١٧ : ١٦ الصواب : عبد الرحمن المستكني .
- ٣١٧ : ١٩ الصواب : ولحقته .
- ٣١٨ : ٢ الصواب : ثم أطلق .
- ٣١٨ : ٧ الصواب : في العمى ، (١ / ٩ : ٢) .
- ٣١٩ : ٧ كأمريّ القيس يريد قوله : (٣ / ١١ : ٢)
- يكى صاحبي لما رأى الدّرْبَ دونه وأيقن أثا لاحقان بقيصرا
- ٣١٩ : ١٨ الصواب لعله : بأكناف الحمى ، ثم وجدته كذلك في
المنتظم ٨ : ٢٨٨ ، (٦ / ١٢ : ٢) .
- ٣٢١ : ١ ترجمته عنه في نكت الحميان ٩١ ، (٧ / ١٥ : ٢) .

- ٣٢٤ : ٤ امحُ (اله) ، (٧/٢٠ : ٢) .
- ٣٢٤ : ٩ ترجمته الصابي في المعاهد ١ : ١٥٤ حكام القفطي ، (١٢/٢٠ : ٢) .
- ٣٢٥ : ١٧ في الوفيات ٧١ سنة ، (١/٢٦ : ٢) .
- ٣٢٦ : ٨ الصواب : يهمني على ، ثم رأيت كذا في المعاهد ، وقوله في ح (٣) : لعله خلب رحنه .
- ٣٢٧ : ١ (بثته وحزنه) تفسير (عجبه وبجبه) .
- ٣٢٧ : ٨ الآيات في المعاهد أتم ، (١٢/٢٩ : ٢) .
- ٣٢٩ : ١٣ الآيات في المعاهد والجواهر وانظر الأدباء ٦ : ١٤٧ .
- ترجمة قابوس ، (١٠/٣٤ : ٢) .
- ٣٢٩ : ١٧ القبض عليه مختصراً في الجواهر ٢٥١ ومبسوطاً في ذيل أبي شجاع سنة ٣٧١ هـ ، (١/٣٥ : ٢) .
- ٣٣٠ : ٥ الصواب : وثفي عليه ، (١٠/٣٥ : ٢) .
- ٣٣٤ : ١١ الصواب : لك ترّة .
- ٣٣٥ : ٦ الصواب : يلزع .
- ٣٣٧ : ١٣ الصواب : محلاؤن مطرودون ، (١/٥١ : ٢) .
- ٣٣٨ : ١٢ الصواب : وعظماً مسبريّة ، (١٠/٥٥ : ٢) .
- ٣٤٠ : ١١ البيتان من أربعة لابن العميد وقال ابن التجار إنها لرزق الله الواعظ في ولده أبي العباس المعاهد ١ : ١٧٣ وهما لابن العميد في خاص الخاص للشمالي ١٢٦ ، (١١/٥٦ : ٢) .
- ٣٤٦ : ١١ الآيات في المعاهد ١ : ١٥٦ وانظر ليتين آخرين في المعنى النشوار ٨ : ١٣٧ ، (١٥/٦٨ : ٢) .

- ٣٤٧ : ٣ في المعاهد ، (٢ : ٧٠ / ٤) .
- ٣٤٨ : ٢ الأبيات في النشوار ٨ : ١٣٧ ، (٢ : ٧٢ / ٧) .
- ٣٤٨ : ١٣ اسم غلامه على ما في الوفيات ثمين وفيه : بياضه استعلى
عنوة الختان ، (٢ : ٧٣ / ٧ و ٨) .
- ٣٤٨ : ١٨ الأبيات أربعة في الوفيات ، (٢ : ٧٤ / ١) .
- ٣٥٠ : ٥ الصواب : لعله فنعى حياتك .
- ٣٥٠ : ح (٢) الردى في اليتيمة غير محرف .
- ٣٥١ : ٦ الصواب : كالدَّوْح ثم رأيت الأبيات في المعاهد .
- ٣٥٢ : ٤ وشبع الفتى الخ من ٤ أبيات في الحماسة بون ١٢٩ بولاق
١ : ١٤١ الجبشياري ٢٤٢ لبشر بن المغيرة بن المهلب وعزاهما القالي ٢ : ٣١٧ ،
٣١٣ للبختري بن المغيرة ، (٢ : ٨١ / ١٥) .
- ٣٥٣ : ٤ تستحل هو العتوب من الحلالة .
- ٣٥٥ : ١٧ جِسْوَان معربٌ كجِسْوان وهي الذوائب بالفارسية وهي
جنس من النخل له بُسر جيّد (٢ : ٨٩ / ١٤) .
- ٣٥٦ : ١ اليتان في النشوار ٨ : ١٣٧ .
- ٣٥٦ : ٩ الصواب : أمّتوا .
- ٣٥٧ : ١٠ الأبيات في المعاهد ، (٢ : ٩٢ / ١٠) .
- ٣٥٨ : ح (٢) قول الصفدي هذا لابن خلّكان في وفياته . وأنا أراه
وهما من ابن بسام إذ أن ابن رشيق وهو بلديّ الحصريّ وصاحبه يبعد
أن يمتهن قبل ٤١ سنة .
- ٣٥٨ : ٢ الأبيات في المعاهد (٢ : ٩٣ / ١٢) .
- ٣٥٩ : ٦ الصواب : ذكرّنتي .
- م . (٦)

٣٦٠ : ٤ (وله عندي كتاب الجواهر كتبه عبد القادر البغدادي غريب من المصحح أن يدرج هذا الكلام في صلب المتن وإنما هي حاشية لصاحب خزانة الأدب عبد القادر في نسخة الأدباء بخزانة بادلي باكسفورد وكان يسمى الكتاب الجواهر الخ (الخزانة ١ : ١١ ، ٢٥١ ، ٣ : ١٦٨ ؛ ٤ : ٢٨٤) خلافاً لما ثبت في طبعة الكتاب جمع الجواهر وبخط المرحوم محمد حفني المهدي عقود الجواهر الخ ، (٢ : ٨٠/٩٧) .

٣٦٠ : ٩ ابن عساكر ٢ : ٣٠٨ الخطيب ٣٢٦٤ النزهة ٢٢٣ ابن الجزري ١٢٢ ، (٢ : ١٤/٩٧) .

٣٦٠ : ١٥ هذا المؤلف الجليل وجدته بخزانة كوبرولو رقم ٣٢٧ في ٢٠١ ورقة والمسطرة ١٨ سطرًا نسخة عتيقة لعلها من القرن الرابع جليلة مقروءة مسموعة بالية مخرومة أقل من النصف الأوّل نقلت عن نسخة الشيخ وقوبلت بنسخة أبي الحسن المهدي ثم وقفت سنة ٥٨٠ هـ بالقاهرة لتجعل إماماً ، (٢ : ٩/٩٨) .

٣٦٢ : ١٠ الأبيات ثلاثة في جواهر الحصري ٦١ ، (٢ : ٥/١٠١) .

٣٦٤ : ٦ الصواب : وممن جال ، (٢ : ١/١٠٥) .

٣٦٤ : ١٠ الصواب : بشكوال القرطبي صلته رقم ٤ .

٣٦٤ : ١٢ الحميدي وعنه بغية الملتبس رقم ١٥٦٣ و ٣٨٠ ، (٢ : ٧/٢٠٣) .

٣٦٤ : ١٧ قوله . ان ابن حزم لم يسمه قلت سمّاه كما هنا في رسالته

النفع مصر ٢ : ١٣٢ وقال صاحبه ٢ : ٢٣٤ رأيت بعضه بفاس قلت ولا أعرف أحداً من المتأخرين رأه غير المقرئ ، (٢ : ١/٢٠٤) .

٣٦٥ : ح ٢ روايات الطوسي إن هي إلا نسخات النساخ ، وله ترجمة في

لسان الميزان أيضاً ج ١ رقم ٤١٦ .

٣٦٥ : ٩ الصواب : ثابت 'قطنسة' كما عند الطوسي والنجاشي ٦٨ ،
(١٣ / ٢٠٤ : ٢) .

٣٦٦ : ٤ الصواب : غزروف .

٣٦٦ : ٦ حك (ثم) ، (٨ / ٢٠٦ : ٢) .

٣٦٧ : ١٠ لعل أيا علي ما ترى .

٣٧٠ : ٤ تبيغ وتبوغ ثار وغلب .

٣٧١ : ١٥ الصواب : الشديد حجاب .

٣٧١ : ١٦ الصواب : الغايات .

٣٧٢ : ١٥ طبقات الزيدي نسخته الفريدة ص ١٦٥ ، (١٢ / ٢١٨ : ٢) .

٣٧٣ : ٢ الزيدي : أبا طالب ، (١٠ / ٢١٩ : ٢) .

٣٧٣ : ٣ الزيدي : الملاحه يختال ، (١٣ / ٢١٩ : ٢) .

٣٧٣ : ٦ الصواب : والين 'مقتال' والزيدي : قتال ، (٤ / ٢٢٠ : ٢) .

٣٧٣ : ٨ الزيدي : 'مقيت' نجيع السم ان ، (٧ / ٢٢٠ : ٢) .

٣٧٣ : ١٦ الدنيّة قلنسوة كانت تشبه الدنّة ، (٦ / ٢٢١ : ٢) .

٣٧٦ : ٨ والنجاشي ٧٠ ، (١٢ / ٢٢٥ : ٢) .

٣٧٦ : ٩ الصواب : حنظلة بن مالك بن زيد مناة كما في النجاشي أيضاً ،

(١٣ / ٢٢٥ : ٢) .

٣٧٦ : ١٠ أبو أحمد الجلودي النديم ١١٥ قال وتوفي بعد سنة ٣٣٠ هـ

النجاشي ١٦٧ الطوسي مع الذيل ١٨٣ ، (١ / ٢٢٦ : ٢) .

٣٧٦ : ١١ الشيعة يسمّون أهل السنة عامّة ، (٣ / ٢٢٦ : ٢) .

٣٧٦ : ١٧ الجفر وفي نسخة الزيدي الجبر ، (١٠ / ٢٢٦ : ٢) .

٣٧٧ : ١٠ المذار قصة ميسان بين واسط والبصرة . (١ / ٢٢٨ : ٢) .

٣٧٧ : (٢) ح حكتها .

- ٣٧٨ : ٢ اليتان في أدب الكتاب للصولي ١٠١ ، (٢ : ١٣ / ٢٢٨) .
 ٣٧٨ : ٨ الصواب : حَسَنَ المعرفة ، (٢ : ٨ / ٢٢٩) .
 ٣٧٨ : ٩ بنات الخمر في بيت طرفة : (٢ : ٩ / ٢٢٩) .
 كبنات الخمر يَأْدَن كَمَا أُنبت الصيف عساليج الخُضَرُ
 ٣٧٨ : ١٣ الأبيات في نسخة تصحيف العسكري بالدارق ٨ ب والطبعة
 ١٠ وأدب الكتاب للصولي ٤٩ وفيه كثير من شعر نطاحه ، (٢ : ١٥ / ٢٢٩) .
 ٣٧٩ : ١ له ترجمة في لسان الميزان ج ١ رقم ٤٣٣ ، (٢ : ١١ / ٢٣٠) .
 ٣٧٩ : ٤ كتاب الفتوح له ألفه سنة ٢٠٤ هـ وطبع ترجمته الفارسية
 وألفت سنة ٥٩٢ يومباي سنة ١٣٠٠ هـ انظر مجلة الجمع العلمي بدمشق
 ص ١٤٢ سنة ١٣٤٤ هـ .

- ٣٨٠ : ١٥ الصواب : إنَّ . واليت الثالث يشبه قول الحماسي :
 ثم انصرفت إلى نضوى لأبشه إثر الجول الفوادي وهو مشكول
 ثم وجدتها أربعة أبيات في أدب الصولي ١٩٤ وفيه تفضي إلى عرصة وراجعه
 لمعنى التعريض فقد أجحف أبو هفّان بالبيان ، (٢ : ١٤ / ٢٣٤) .
 ٣٨٠ : ١٨ الصواب : بشر بن محمد (ابن الفرضي رقم ١٠٢ الزبيدي
 ص ١٩٤ الضبّي ٣٨٦) وسنة وفاته ٣٢٦ عند الزبيدي وعند الآخرين ٣٢٧ ،
 (٢ : ٥ / ٢٣٥)

- ٣٨١ : ٧ ترجمته في النزهة ٤١٠ ولسان الميزان ١ : ١٤١ والوفيات
 رقم ٣٩ ، (٢ : ٦ / ٢٣٦) .
 ٣٨١ : ١٣ (وكان ابن) هو الصواب وكذا هو في النزهة .
 ٣٨١ : ١٦ النزهة ضمير الاثنين ضمير الاثنين إذا قلت أنتما تضربان كما
 تقول ضربتا فلماً حذف مع ضمير الاثنين علم أن فيها الح وفيه سداد خرم
 نسختنا ، (٢ : ٩ / ٢٣٧) .

- ٣٨٢: ٣ البنية ١٢٩ أحمد بن أبي بكر .
- ٣٨٢: ٤ البنية يلقب بالمجد وبه يعرف . وأما (عرف سيرين) فإنه لم يأت به في بلدانه وهناك بالشام معرفة مصريين ، (٢/٢٣٨ : ٩) .
- ٣٨٢: ١٨ طبقات الزبيدي ص ١٤٦ ، (٢/٢٤٠ : ٢) .
- ٣٨٣: ٢ الصواب : وعزا .
- ٣٨٣: ٩ المنتظم ج ٦ رة ٤٤٦ ، (١/٢٤١ : ٢) .
- ٣٨٣: ١٢ لعل صوابه لقيني به فإنه لقيني يوماً فقال .
- ٣٨٣: ١٦ خنياكر المغني ومنه الخنكيري في مسألي ص ٣٩٠ وفيها مرة ١٤٥ ترجمته الخطيب ١٦٨٨ والوفيات والجواهر ١٨٢ .
- ٣٨٣: ١٧ الصواب : متصرفاً .
- ٣٨٤: ١ لعل صوابه بجبل .
- ٣٨٤: ٨ الصواب : عليلاً .
- ٣٨٤: ١٥ الخطيب بالعمر واريته . ولعل صواب ما هنا أوثقته .
- ٣٨٥: ٦ بزوغتي قرية بغداد على فرسخين منها .
- ٣٨٥: ١٣ البيت فكان الخ لعمر بن أبي ربيعة .
- ٣٨٦: ١٩ الصواب : من الخير .
- ٣٨٧: ٢ الصواب : أُنحى عليّ (١٢/٣٤٩ : ٢) .
- ٣٨٧: ١٣ الصواب : لشبهة .
- ٣٨٧: ١٤ وفي كنايات الجرجاني ١٢ شائيتهم وفيه اثلاثة الآيات الأخيرة ، (٣/٢٥١ : ٢) .
- ٣٨٧: ح (٣) و (١) حكها .
- ٣٨٨: ٩ القصور الديوث ، (١١/٢٥٢ : ٢)

الشهاب الشاغوري

٥٣٣ - ٦١٥ هـ

١١٣٩ - ١٢١٨ م

حياته وآثاره

سراجل مباءة

في بانياس الساحلية (١) ، ولد الشاعر قتيان بن عبي بن قتيان بن ثمال الأسدي الخزيمى (٢) ، المعروف بـ « الشاغوري المعتمد » : سنة ٥٣٣ هـ . يظهر أنه اتخذ من حي الشاغور (٣) في دمشق سكناً له ، فأنشأ فيه كتاباً لتعليم الصبيان في مطلع حياته بعد ارتحاله عن مدينته .

ولا نعرف على الضبط سبب مغادرة بلده الساحلي الجميل ، وأغلب الظن أنه بسبب الأخطار المحدقة به ، ولا سيما بعد احتلال الفرنجبة

-
- (١) وهي غير بانياس الداخلية وقد سماها ياقوت (بانياس) بضمين وسكون النون ، وذكر أنها كورة ومدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر (معجم البلدان ، ج ١ ص ٤٨٩) وضبطها صاحب القاموس المحيط (بانياس) بكسر نين وسكون النون ، وذكر أنها مدينة حنة بسواحل حمص (القاموس المحيط ، ج ٢ ص ٢٠٣) .
- (٢) نسبة إلى أسد بن خزيمه وهو أبو قبيلة من مضر ، وابن ربيعة بن ثزار .
- (٣) ذكر ياقوت أن الشاغور محلة بالباب الصغير مشهورة وهي في ظاهر المدينة (معجم البلدان ، ج ٣ ص ٣١٠) .

الطراز الأخضر^(١) السوري ، وهو العامل نفسه الذي اضطر ابن القسراي ، وابن منير الطرابلسي إلى الهجرة من بلديهما قبله .

لا نعرف عن طفولته شيئاً يذكر ، شأننا في ذلك عند معظم من ترجم لهم ، وكل ما يمكن ذكره أنه اشتهر أمره في دمشق ، وكانت له حلقة خاصة في الجامع الأموي ، يُقَرى النحو ، ويُدرّس الأدب ، وقد لقيه ياقوت الحموي في أخريات أيامه بعد أن فاهز التسمين ، فسمع منه بعض شعره ، وأعجب به كثيراً^(٢) .

خدم الشاعر الملوك الأيوبيين ، ومدحهم بنثر قصائده ، وآثر أن يختص ببعض أمراءهم الذين كانوا يجزلون له العطاء ، فتعلق بخدمة الأمير نور الدين مودود بن المبارك شحنة دمشق ، وهو أخو عز الدين فروخ شاه وابن أخي صلاح الدين لأمه ، فمدحه بقصائد كثيرة وأطرب في ذكره ، فكتب إليه صاحبه ابن عنين مداعباً :

يا من تلقب ظلماً بالشهاب ولن يأتي بظلمته في أفقها الشهاب
لا يَغُرَّرَ ثَنُكَ من مودود دولته وإن تمسكت من أسبابها سببا
فلست تنبح فيها غير واحدة حتى تلف على خيشومك الدنيا^(٣)

لم يرتحل الشاعر عن دمشق إلا للإقامة في بعض ضواحيها القريبة فسكن الزبداني ، واشتغل فيها معلماً^(٤) ، وقد ورد في ديوان صاحبه ابن عنين

(١) ذكر أبو شامة أن الطراز الأخضر هو بلاد الساحل للمنطقة على البحر من الداروم وغزة وعفلاق وعكا وسيدا وجيل وغير ذلك ، وحذا استعمال هذه التسمية الجميلة في كتبنا الجغرافية والتاريخية (ينظر في كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ، ج ٢ ص ١٠٤) .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ص ٣١٠ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٤٠٨ .

(٤) ديوان ابن عنين ، ص ١١٩ .

المر ذكره أنه اجتاز بها ذات يوم ، وقصد مكتبه ليزوره فـ يجده فأخذ
لوحاً من أحد الطلبة وكتب له فيه :

أتيت فما حظيت لسوء بختي بخدمة سيدي ورجعت خائب
إمام ماتيمناه إلا رجعتا بالرجائب والغرائب (١)
أعجب الشاعر بطبيعة الزبداني الجميلة ، فوصف تلوجها وشدة قرّها .
ويلاحظ في حياته أنه كان كثير الحمول ، يفضل الاستقرار على الارتحال ،
راضياً من الحياة بما قسم له ، مؤثراً السلامة على السي وراء المجد والشهرة ،
ثم يود بعد كل ذلك لو تبسم له الأقدار عن حظ سعيد ، وهو قابع في
كتابه يسعى ما بين الشاغور والجامع الأموي والزبداني ويتساءل قائلاً :
علام تحركي والحظ ساكن ؟ وما نهيت عن طلب ولكن
أرى نذلاً تقدمه المساوي على حرّ تؤخره المحاسن (٢)
هكذا قضى عمره يرقب الحياة ، فلا يرى فيها غير التناقض ، فأثر
المزلة في كتابه ، يسمى إليه الطابة والأدباء ليلتقوا به حتى شاخ وهم
فناهر التسعين ، وتوفي سحر الثاني والعشرين من المحرم سنة ٦١٥ هـ ،
ودفن بمقابر باب الصغير .

آثاره الأدبية

للشاعر ديوان شعر مشهور (٣) ، وهو كبير فيه مقاطيع حسان (٤) ،
وأغلب الظن أنه لم يتم بجمع ديوانه في حياته ، وإنما قام بجمعه واختياره

(١) ديوان ابن عنيّ ص ١١٩ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٤٠٨ .

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٢٧٤ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٤٠٨ .

ابنه بعد ثمانية أعوام من وفاته ، وفي الهند نسخة وحيدة مخطوطة منه (١) ، كتبت سنة ٦٢٣ هـ . وله أيضاً ديوان آخر صغير (٢) ، اقتصر فيه على ما نظمه وجمعه من الفن الشعري المستحدث المسمى بالرباعي ، والمعروف باسم «الدوييت» ، وهو مفقود ، ولا نعرف منه غير مقطوعة واحدة سنذكرها في معرض حديثنا عن شعره ومذهبه الفني .

شعره ومذهبه الفني

أفراض شعره

في شعره وصف رائع للطبيعة الدمشقية ، تتجلى فيه بأزهى حالها ، وهو غالباً ما يتبعها بنسب تقليدي ، ثم يخلص من كل ذلك لمدحه المختلفة .

طبيعة دمشقية

وصف الشاعر الطبيعة الدمشقية وصفاً دقيقاً ، تطرق فيه إلى كثير من متزهاتها وغير ذلك ، فهو يضي على وصفه طابعه الشامي ، ويقتصر منه على بيئة معينة ومكان معروف ، فلم يكن كسائر الشعراء يتحدث عنها حديثاً عابراً أو عاماً ينطبق على كل بيئة ويصلح لكل زمان ومكان .

أعجب بالزبداني ، فأقام فيها ، ونقل إليها كتابه ، فراقه فيها ثاجها المندوف في كانون شتائها القارس ، فأنشد يقول :

قد أجد الحمر كانون بكل قدح وأخذ الجمر في الكانون حين قدح
ياجنة الزبداني أنت مسفرة عن وجه حسن إذا وجه الزمان كلح

(١) في المجمع العلمي بدمشق صورة مصورة عن المخطوط المذكور برقم ١٤١ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٤٠٨ .

فالتلج قطن عليك السحب تحلجه والجو ندافه ، والقوس قوس قزح
 متى يجل فيك طرف الطرف من مرج قرنته لمحا تأتي بحسن ملح
 تلقى النواظر من روض نواظر في قلوبنا فرجاً من همها وفرح^(١)
 لا تخلو هذه الصورة من تصنع بديهي هام . بيد أنها على الرغم من كل
 ذلك صورة حقيقية لمصيف قائم في مكان مرتفع شديد القر تعبت به التلوج
 الكثيرة في أيام الشتاء .

وفي قلب دمتق ، في باب يريدها ، جنة عارشة ، أعجب الشاعر بها
 فتحدث عنها ، وأشار إلى ما حولها من متزهات : كالنيرب وجسر ابن شواش ،
 والشرف الأعلى ، والقصر المنيف ، والمرج الأخضر ، ومما قاله :

يا حبذا جنة باب البريد بها والحسن قد حشيت منه حواشيه
 فالمرج فالنهر فالقصر المنيف على القصور بالشرف الأعلى فشانيه
 جسر جسر ابن شواش فنيدها تخلو معانيه لا تخلو مغانيه
 كأن في رأس عليين ربوتها يجري بها كوثر سبحان بحريه
 تلك الرابع لا رضوى وكاظمة ولا العقيق قواريه بواديه^(٢)

تلك هي الطبيعة التي يرى الشاعر أن ينصرف إليها كل شاعر آخر ،
 فيكف عن ذكر البوادي والعقيق ورضوى وكاظمة . صورة تشمر بالجلدة
 التي أخذ بها الشاعر نفسه في وصفه ، ولو شفعها بانبضات قلبه كما في
 غيرها لكانت عجباً ولكنها جاءت خفاجية اللباجة ، عبثت بها الصنعة الجناسية
 جرياً على أسلوب العصر .

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشهاب الشاغوري ، ج ١ ل ٤٦ .

(٢) مصورة مخطوطة ديوان الشهاب الشاغوري ، ج ١ ل ١٢٤ .

يحلو لنا بعد هذا التجوال في ضواحي دمشق ومتزهاتها النائية أن ندخلها
مع الشاعر لنشهد طبيعتها عن كثب ، وقد تفتحت أكامها ، ورقت أنسامها ،
واختال ربيعها الفناحك ، فبدت رائحة الحسن تسر الناظرين :

فوح الحمام الورق في أوراقها	دل أخا السويق على أسواقها
فأظهر الدمع وأخفى زفرة	خاف على البانات من إحراقها
لو بكت الورق بعض دمه	لتمحت الأطواق من أعناقها
فأعجب لها شاكية باكية	لم تسلك الدموع في آفاقها
ما أفرقت مهبته من الجوى	لكنه أشفى على فراقها
دع العريب والنقا وزيناً	تجذب للين برى نياقها
وعج على دمشق تلف بلدة	كأنما الجنات من رستاقها
سقى دمشق الله غيثاً محسباً	من مستهل ديمة دفاقها
مدينة ليس يضاهي حسنها	في سائر البلدان من آفاقها
تود زوراء العراق أنها	منا ولا تغزى إلى عراقها
أهدت له يد الربيع حلة	بديعة التفويف من خلاقها
بنفسج مثل الحدود أدميت	بالقرص والتجميش من عشاقها
وزجس أحداقه رانية	عن مقل الغيد وعن أحداقها
تنزل المنشور من رياضها	تنزل الأعلام من شقاقها
فأرضها مثل السماء بهجة	وزهرها كالأزهر في إشراقها
مياها تجري خلال روضها	جري الثماين لدى استباقها
مسفرة أنهارها ضاحكة	تنطلق الوجوه لانطلاقها
نسيم ريا روضها متى سرى	فكّ أخا الهموم من وثاقها
قد خيم الربيع في ربوعها	وسيمت المنى إلى أسواقها

لا تسأم العيون والأنوف من رؤيتها يوماً ولا استنشاقها (١)
 استهل الشاعر بوصف طبيعة دمشق مطلع المدحة التي خص بها بمدوحه
 مودوداً ، فتحدثت باديء الأمر عن الجمائم الورق ، وقارن بين حاله وحالها ،
 ووصف بعد ذلك ما يلقاه من الوجد والجوى ، وذكر أنه أشفى على الهلاك .
 ويخاطب صديقة بعد ذلك ، فيدعوه بصراحة إلى ترك التغي بزنب والعرب
 والنقا ، ويطلب منه أن يرج على دمشق ذات الجنان والينابيع ، ويخلص
 من كل ذلك ليطلب في وصف ربيعها الذي أبدعته قدرة خلاقها ، ويصور
 بدقة البنفسج والرجس والشقائق والمنثور ، ثم ينتقل لذكر الأنسام والجداول ،
 ولا ينسى في ختام هذا الوصف إشراك حاسة أخرى غير البصر ليصل
 ما بين الطبيعة والنفس بلذة الاستمتاع ونشوة الجمال .

نسب تقليدي

كان الشاعر في الغالب يتبع وصف الطبيعة بنسب تقليدي كما في القصيدة
 السابقة ، إذ تحدث بعد وصف الطبيعة عن شادن تحسده البدور ، ثم تطرق
 بعد ذلك لوصف المدوح .

لم يكن الشاعر مبدعاً في نسيه وغزله كما في وصف الطبيعة وشتان
 ما بينها ، وإنما هما ضرورة اقتضتها طبيعة التقليد في الفن الشعري العربي .
 كان في نسيه يجري في حلة شمراء العصر ، وطبيعي فيمن طلب من
 صديقه أن يعرض عن ذكر زنب والنقا والعرب ويحذو حذوهم فيتنزل
 بظي شادن من الترك .

(١) - مصورة مخرطة ديوان الشهاب الشاغوري ، ج ١ ل ١٢٤ .

وميض برق أرى في فيك أم شنباً ؟ وهل رشفت رضاها منه أم ضرباً ؟
أفدي الذي ما أبى بالاحظ سفك دمي لكن متى ما طلبت العطف منه أبى
ظي من الترك أصمتي لواظظه وأسهم الترك إن أصمت فلا عجباً
يدو بضدين في خديه قد جمعا ماء الشباب ونار الحسن فاصطجبا
فذلك الماء أبكى ناظري دماً وذلك الجمر أذكى في الحشا لها
شكا فؤادي من عبء الهوى تعباً كما شكا خصره من ردفه تعباً
يهز أعطافه دل الصبا فترى غصناً من البان يثنيه التسيم صبا
يا مطلع البدر فوق الفصن معتدلاً يلوح ما بين شربوش وطوق قبا (١)
اعدل فإن رسوم الجور قد درست مذ صار فينا مكين الدين محتسباً (٢)

ليس في هذا النسيب غير ما ألفه الناس في شعر هذا العصر : صور
تقليدية معروفة من أوصاف مبالغ فيها ، وذكر أحوال الحب وعذابه ،
وما يلقاه من لاعج الشوق وحرقة الجوى . يضاف إلى ما أسلفنا ذكره
استخدام بعض الألفاظ المعربة الشائعة على ألسنة العامة ، كما رأينا ذلك
أكثر من مرة ، فمن قبل استخدم الرستاق ، واستخدم في هذه القصيدة
الشربوش ، وقد وردت مراراً في ديوان شعره وغير ذلك كثير .

أما خمرياته فتكون تارة ضمن نسيه ، وتكون أخرى مستقلة كما في
هذه القصيدة التي جاء فيها قوله :

قم فاجل بنت الكرمة الخضراء في الكأس كالياقوتة الحمراء

(١) الشربوش : قلنسوة طويلة ، وهي معربة عن الشربوش ، وتطلق على غطاء الرأس .

والقبا : وهي مقصور القباء ، وهي ثوب يلبس فوق الثياب .

(٢) الهاد الكاتب : الخريفة ، قسم شعراء الشام ، ج ١ ص ٢٥٤ . هذه القصيدة
غير موجودة في الديوان المخطوط .

راح متى ما أشرقت كاساتها فاضت أشعتها على الجلساء
 في شربها من كل قلب شهوة فكأنها خلقت من الأهواء
 وإذا انجلت في الليلة الليلاء هزمت ظلام الليل بالآلاء
 يا لاثمي في شربها أغريتي باللوم فيها غاية الإغراء
 يا حبذا هي في الخريف وغيره في سائر الأوقات والآناء
 ما العيش إلا في المدام وشربها لكن مع الظرفاء والعقلاء (١)

يظهر أن الشاعر كان يعرض في بيته الأخير بالشعراء الإباحيين ، وقد سلك في هذه الحمرة سبيل عرقلة الكلبي (٢) إمام الجماعة في مذهبه الحمري ، وهم يمثلون علاقة شعراء هذه المدرسة الشامية بشعراء المدرسة النخيلية .

مدح مختلف

يخلص الشاعر بعد مقدماته المستفيضة في وصف طبيعة دمشق ، والتخلص منه إلى النسيب التقليدي المعروف ليثني على بمدوحه ، ومن الخير أن تقتطف الأبيات التي مدح بها صاحبه مودوداً من القصيدة التي استهلنا بها الحديث عن وصفه طبيعة دمشق ، وجاء فيها قوله :

أشكو إلى الأشواق ما شكته جلتق* إلى المودود من أشواقها
 حق لبدر الدين أن تحسده على العلي البدر في اتساقها
 كماله أحسن من كمالها فصين ، طول الدهر ، عن محاقها
 قد خيم الربيع في ربوعها وسيقت المني إلى أسواقها
 اختاره الله لخير أرضه إذ ليس مثل الشام في آفاقها
 فقابل الشام برأي رتق الـ أمور بعد شدة انفتاقها

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشهاب الشاغوري ، ج ١ ل ٩ .

(٢) عرقلة الأعور حسان بن غير بن عجل الكلبي (٤٨٦ - ٥٦٧ هـ) شاعر من الندماء

في زمن صلاح الدين الأيوبي .

ما غلّ في الحرب، ولكن غلّ أيسدي مُعصّب الكفر إلى أعناقها
لا فتّت أيامه سعيده لا تنكث الدهر قوى ميثاقها^(١)
نشير إلى آخرين ممن مدحهم كالناصر صلاح الدين ، وقد مدحه وهو
في دمشق مرارا ، ولا بأس أن نقف عند القصيدة التي أنشده إياها في
قلعة دمشق بعد فتح بيت المقدس ، وهي تبلغ نحواً من مائة بيت ، ومنها قوله :
ياناصر الإسلام فزت بمورد حسن الثنا في العالمين ومصدر
فلقد وأدت الشرك يوم لقيتهم وغدوت للإسلام عين النشر
ورأيتم لما التقى الجمعان بالبيت المقدس هول يوم المحشر
ورددت دين الله بعد قطوبه بالمسجد الأقصى بوجه مسفر^(٢)
نكتفي بهذا القدر مما أوردناه من أغراض شعره ، ونخلص لنؤكد
ما ذكرناه ، ونقول إن وصف الطبيعة الدمشقية كان أبرز أغراضه الوصفية ،
وقد أبدع الشاعر فيها كل الإبداع ؛ أما سائر شعره فكان شأنه فيها شأن
أي شاعر آخر من شعراء هذا العصر .

مذهب الفني

لاحظنا أن الشاعر كان يؤمن بالثورة على المعاني التقليدية في بعض
الأحيان ، وعلى الأساليب الشعرية الموروثة ، وبخاصة فيما يتعلق بهيكل القصيدة
المريية ، فنظم في فن الرباعي الفارسي (الدوييت) ديواناً كاملاً ، لم يصلنا
منه مع الأسف الشديد غير رباعية واحدة اختارها لنا ابن خلكان من
هذا الديوان المفقود ، وهي قوله :

(١) مسورة مخطوطة ديوان الشهاب الشاغوري ، ج ١ ل ١٢٥ .

(٢) للمصدر السابق ، ج ١ ل ٦٧ .

الورد بوجنتيك زام زاهر والسحر بمقلتيك واف واف
والعاشق في هواك سام ساهر يرجو ويخاف فهو شاك شاكر (١)
ولم يكن ليقصر في تجديده على الهيكل المروف ، وإنما كان يحاول
أن يخرج كما ذكرنا عن طوق التقليد الأعمى ، فقد كان يكره ذكر زينب
والعريب والنقا ، وتأخذ طبيعة دمشق بلبّته ، فيعرض عن ذكر رضوى
وكاظمة واليوادي وعقيق جرياً على سنة أبي نواس من قبله .

ترك هذا وذاك لنقرر أن الشاعر نهج في مذهبه الفني نهج شعراء
عصره ، فأخذ نصيبه من التطبيق والتجسس ، بيد أنه لم يكثر منها في
شعره ، وأخذ من السهولة والانسجام نصيباً آخر ، فبدأ تصنعه جيلاً في
رونق الطبع ، ورشيقاً في قالب من الوضوح ، ودقيقاً في إطار من
الطبيعة والوصف .

هكذا جمع الشاعر في مذهبه الفني بين اتجاهين معروفين في عصره :
اتجاه من سبقه من الشعراء أمثال ابن القيسراني وابن منير الطرابلسي وغيرها ،
واتجاه من جاء بعده كابن عنين والشرف الأنصاري (٢) .

الدكتور محمد موسى باشا



(١) ابن خلدون : وفیات الأعيان ، ج ١ ص ٤٠٨ .
(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ٤٠ ، ج ٢ ، ج ٣ .

أبو عبد الله المقرئ

(٧٥٨ هـ - ١٣٥٧ م)

وكتابه الحقائق والرقائق

إذا كان أبو العباس المقرئ صاحب نفع الطيب المتوفى بالقاهرة سنة ١٠٤١ هـ قد أخذ مكانه في عالم الشهرة عند الباحثين ولا سيما منهم عشاق الأدب المغربي والأندلسي .. فإن جده الإمام أبا عبد الله قاضي فاس، وناطقة تلمسان ودفينها، قد وقفت به شهرته في حدود المعاجم والفهارس الخاصة، ولم ينل في عصرنا هذا حظه من الدراسة والبحث - فيما نعم - ولعل ذلك يرجع إلى أن مؤلفاته ظلت قليلة التداول بين الناس منذ أجيال، رغم أهميتها العلمية، ورغم أن مؤلفها كان في عصر ما فارس ميدان العلوم الإسلامية المعقول منها والمنقول، وصاحب فكر موسوعي لا يعرف في الثقافة اختصاصات ولا حدوداً... وصاحب عارضة قوية وتضلع من معارف عصره قدرها تلامذته: ابن الخطيب، وابن خلدون^(١)، والإمام الشاطبي، وابن عباد الرندي، وغيرهم من الأعلام في المغرب والأندلس.

(١) يتخفظ ابن خلدون في شأن تلامذته لأبي عبد الله المقرئ فرغم أنه يذكره في قائمة الشيوخ الذين أخذ عنهم فإنه يبر عنه بقوله: «صاحبنا» قارة، وبقوله: «قاضي الجماعة بفاس، وكبير علماء المغرب» انظر ذلك في كتاب «التعريف» ص ٥٩ و ص ٢٤٧ من طبعة لجنة التأليف سنة ١٩٥١ م.

عاش أبو عبد الله المقرئ في عصر بلغت فيه الثقافة الإسلامية أوج نشاطها وذرورة عزها في بلاد المغرب العربي والأندلس وظهرت عبقریات في ميادين المعرفة المختلفة ... رغم الصورة الشوهاء التي رسمها ابن خلدون في المقدمة لانقطاع سند العلم - في عصره - في كل من المغرب الأقصى والأندلس ... إلا أن الباحث المطلع على النشاط العلمي والأدبي وقائمة الهيئة العلمية ، وأخبارها ورحلاتها ، ومؤلفاتها ، ومدارسها ، لا يسمه استناداً على ذلك ، إلا أن يعتبر رأي ابن خلدون - في الباب - بمعزل عن الحقيقة التاريخية ، أو على الأقل مجرد وجهة نظر

ورأى المقرئ نور الحياة في مدينة تلمسان في تاريخ لم يحدده هو ولا من تولوا ترجمة حياته ... وقد سئل عن تاريخ ميلاده فأجاب برواية خبر مسلسل معنعن بالأشياخ إلى الإمام مالك ... وقد سأله الإمام الشافعي عن سنه ... فأجابه : أقبل على شأنك ... ليس من المروعة للرجل أن يخبر بسنه (١) ... على أن المقرئ يذكر في نفس الجواب : أنه ولد على عهد السلطان : أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن الذي حكم تلمسان بعد فك الحصار المريني الطويل عنها ... وقد كان حكم أبي حمو هذا ما بين سنة ٧٠٧ هـ وسنة ٧١٨ هـ (٢) .

وقد وجد المقرئ نفسه يعيش في مدينة قوالت عليها الفتن وأهوال الحرب والحصار ، وأسرة لها ماض في التجارة والثروة والجاه غير أن أهلها تنكر لهم الزمن وتبدلت بهم الأحوال الأمر الذي جعل المقرئ يقول :

(١) الإحاطة ج ٢ ص ١٦٤ الطبعة الأولى .

(٢) روضة النسرین ص ٥١ طبعة الرباط .

« فلم تزل حالهم في نقصان إلى هذا الزمان .. فهاأنذا لم أدرك من ذلك إلا أثر نعمة ، اتخذنا فصوله عيشاً ، وأصوله حرمة » ، ومن جملة ذلك خزانة كتب كبيرة وأسباب كثيرة تعين على الطلب فتفرغت بحول الله عز وجل للقراءة » (١) ويزيد قائلاً عن نشاط في الدراسة والتحصيل .. « فاستوعبت أهل البلد لقاء وأخذت عن بعضهم عرضاً وإلقاء ، سواء المقيم القاطن والوارد والظاعن » .

وأخذ المقرئ في بواكير شبابه عن العالمين الشهيرين أبي زيد وأبي موسى المعروفين في كتب الطبقات والتاريخ بابني الإمام ، وكانت لهما شهرة عظيمة بالعلم والاطلاع في المغرب والشرق لاسيما بعد رحلتها إلى الشرق واتصالها بعدد من أعلام ذلك العصر ، ومناظرتها الشهيرة للإمام الكبير تقي الدين ابن تيمية ، تلك المناظرة التي كان لها شأن عظيم في المحافل العلمية إذ ذاك حتى قال بعض المؤرخين إن ابني الإمام ظهرا فيها على ابن تيمية (٢) .

ومحدثنا المقرئ أنه حضر مجلسين علميين من المجالس التي كان يقيمها السلطان : أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو في تلمسان (٧١٨ هـ — ٧٣٧ هـ) إلى جانب شيخه الأخوين أبي زيد وأبي موسى ابني الإمام ، وشيخه أبي موسى عمران المشدالي ، وشارك بآرائه في المناظرة العلمية التي دارت في حضرة السلطان بين العلماء ... وعقب على ذلك بأنه كان إذ ذاك حديث السن (٣) ... ونحن نعلم هذه الحادثة من القرائن التاريخية إذ أنه كان في الغالب ما يزال في أوائل العقد الثالث من عمره ...

(١) الإحاطة ج ٢ ص ١٣٨ .

(٢) فتح الطيب ج ٣ ص ١١٦ .

(٣) نفس المصدر السابق ص ١١٧ .

وتتمياً للعلاقة بين المقرئ وشيخيه ابني الإمام نذكر أنه اتقبض عنها وحاول الابتعاد عن الانتساب إليها عندما رحل إلى الشرق ودخل مدينة بيت المقدس ولكنه فوجيء بما للرجلين من سمعة وشهرة هنالك بين العلماء فاضطر إلى العدول عن رأيه ، وقبول نصيحة المغربي الذي عرفه سوء منبة الابتعاد من الانتساب إلى شيخيه اللذين أدركا شهرة لا يؤثر فيها انقباضه أو ابتعاده ... منشداً شطر البيت الشهير :

« وليس لما تبني يد الدهر هادم » (١) .

وقائمة شيوخ المقرئ في تلمسان طويلة الذيل ذكرها ابن مريم في « البستان » (٢) وابن فرحون في « الدياج » (٣) وابن الخطيب في « الإحاطة » (٤) وابن خلدون في « التعريف » (٥) مع ما ذكره صاحب « نفح الطيب » (٦) خلال ترجمته لجدّه ...

ونلاحظ أن صاحب البستان يجعل ضمن هذه القائمة اثنين من المرازقة وهما الأخوان ؛ أبو عبد الله محمد وأبو العباس أحمد ابنا ولي الله محمد ابن محمد ابن مرزوق العجمي وليس أحدهما بمن يعرف عند المؤرخين بابن مرزوق الجد ، ولا بابن مرزوق الحفيد ... بل ان أبا العباس المذكور هو والد ابن مرزوق الجد ... أما أخوه أبو عبد الله ، فهو عم لابن مرزوق الذي يعرف بالجد ... وهذه الملاحظة سوف نشير إلى أهميتها فيما يأتي :

(١) نفح الطيب ج ٣ ص ١١٢ .

(٢) البستان في الأولياء والعلماء بتلمسان ص ١٥٦ طبعة الجزائر سنة ١٩٠١ م .

(٣) ص ٢٨٨ وما بعدها .

(٤) الإحاطة ج ٢ ص ١٤٣ .

(٥) ص ٦٠ .

(٦) ج ٣ ص ١١٦ وما بعدها .

أما ما درسه المقرئ على هؤلاء الأعلام فهو ما كان معروفاً في ذلك العصر من علم يرجع إلى العلوم الشرعية : الأصول ، والفقه ، والتفسير والحديث مع أبحاث علم التوحيد التي تتجاوزها العقلية والسميات ... أو علم يرجع إلى العلوم العقلية : المنطق ، والجدل ، وفلسفة الملل والنحل ... أو علم يرجع إلى اللغويات والأدبيات : من نحو وصرف وبيان وعروض ولغة ... وكان لثقافة العصر طابع الربط بين مناهج العلوم العقلية والشرعية والأدبية من جهة وبين الأشواق الروحية والأذواق الصوفية من جهة أخرى حتى أن الباحث في محصول الفكر الإسلامي في هذا العصر ليخيل إليه أن الفكر الصوفي غزا النحاة والشعراء والفقهاء والقضاة والمؤلفين على اختلاف مشاربهم :

ففي الأندلس وأقطار المغرب العربي رغم أن الصولة والدولة والنفوذ كانت إلى جانب المالكية في الفقه والتشريع ... والأشاعرة في التوحيد والعقائد ... فإن هؤلاء وأولئك لم يكونوا بمنزل عن الذوق الصوفي والمساهمة في الأدب الروحي ... بل إتنا نجد منهم من إذا قرأنا شعره أو ثره من دون أن نعرف ترجمته الشخصية ووظيفته الاجتماعية ظنناه صوفياً متجرداً نقض يده من الدنيا وما فيها ومن فيها ...

وصاحبنا أبو عبد الله المقرئ ابن عصره يتسم بهذه السمة ويحمل هذا الطابع فهو إلى جانب علمه النزير وثقافته الواسعة في المعقول والمنقول يأبى إلا أن يذوق من خمرة الحلاج ، والجنيدي ، ورابعة ، والنري السقطي وابن الفارض وابن عطاء الله

وإذا قرأنا قصيدته الثائية البديعة (١) التي عارض بها تائية ابن الفارض خيل إلينا أنها يشربان من معين متحد الخصائص والصفات ويخلقان في جو متشابه المبادئ والغايات ... وإذا قرأنا رسالة الحقائق والرقائق خيل إلينا أن صاحبنا صنو ابن عطاء الله صاحب «الحكم» الشهيرة .

وينقل صاحب نفح الطيب أخباراً عديدة عن شيوخ جده أبي عبد الله وكلها تصور لنا فيهم طابع العصر في الذوق الصوفي والرياضة الروحية واحتقار الحياة المادية احتقار إيمان وزهد ويقين . ومن أجل ذلك لا تتعجب إذا رأينا المقرئ يتحدث عن رقعة التصوف التي ألبسه إياها أحد أسيادها وهو محمد بن محمد بن مرزوق (٢) العجمي ... وسندها إلى الرسول عليه السلام . هذه ثقافة المقرئ وهذه عناصرها الأساسية وهذا هو الجو الفكري الذي عاش فيه في فترة من الزمن كانت فيها تلمسان تعيش في نوع من الاستقرار السياسي بين حصار أبي يعقوب المريني الذي دام أكثر من ثماني سنوات ولم ينته إلا بعد اغتياله سنة ٧٠٦ هـ وبين دخول السلطان أبي الحسن سنة ٧٣٧ هـ ... فهذه المدة التي تبلغ ثلاثين سنة فيها ولد المقرئ وفيها تعلم وفيها أصبح شاباً مستقيم الخلق مهذب النفس واسع المعرفة والشهرة ..

ورحل عن مسقط الرأس بعد دخول الجيش المريني وسقوط دولة بني عبد الواد ، وحط رحاله أولاً بمدينة بجاية وكانت في ذلك العصر مدينة علم وأدب وحضارة ، فاتصل بأعلامها وأخذ عنهم ... ثم حط رحاله ثانياً بمدينة تونس وهي في ذلك الظرف عاصمة الحفصيين ومساجدها ومعاهدها مثابة العلماء والفقهاء في ضروب العلوم والفنون فأخذ عن كثير من أعلامها وناقش

(١) أنشأها في نفح الطيب ج ٣ ص ١٦٨ وفي الإحاطة ج ٢ ص ١٤٦ .

(٢) نفح الطيب ج ٣ ص ١٢٨ .

ونظر وأفاد واستفاد ، ولعل هذه الرحلة القصيرة كان يقصد منها المقرئ الابتعاد عن الأحداث التي قلبت الأوضاع في تلمسان فقتل السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن ... كما قتل الشيخ أبو عبد الله السلاوي شيخ المقرئ وعمدته جريئة سياسية قديمة كان أبو الحسن يعتدها عليه ويتنظر الفرصة للانتقام منه (١) بسببها ...

ورجع المقرئ إلى تلمسان ليحظى بمجالس شيخ العلوم العقلية أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي الذي رافق ركاب السلطان أبي الحسن إلى تلمسان ... وكان الآبلي هذا من رجال الفكر الذين أخذ عنهم ابن خلدون وتحدث عنهم بإعجاب كبير ، ومن تلمسان رحل المقرئ إلى المغرب الأقصى فزار مدينة فاس واتصل بأعلامها وأخذ عنهم وجال في المغرب من الشمال إلى الجنوب ... من سبتة إلى اغمات وقال :

« فاستوعبت بلاد المغرب ، ولقيت بكل بلد من لا بد من لقائه ، من علمائه وصلحاءه ثم قفلت إلى تلمسان فأقمت بها ما شاء الله تعالى » (٢) .

وهكذا سلم أبو عبد الله المقرئ من الرواجف والروادف السياسية التي أصيب بها غيره وظهر أمام الملأ بمظهر العالم الذي يعمل بعيداً عن دنيا المطامع والمطامح ، باحثاً عن علم يستفيده ، أو كتاب يقتنيه ، أو شيخ يأخذ عنه .

وبعد رجوعه من رحلته إلى المغرب ومكثه بتلمسان - ما شاء الله تعالى - على حد قوله السالف رحل إلى المشرق ماراً في طريقه إلى مكة بمصر حيث لقي عدداً من أعلامها ... وفي مقدمتهم أثير الدين بن حيان النرناطي النحوي الشير صاحب التفسير المعروف بالبحر ...

(١) انظر « التعريف » لابن خلدون ص ٦٠ .

(٢) فتح الطيب ج ٣ ص ١٣٣ .

وحج سنة ٧٤٤ هـ وكان وقوفه بعرفة يوم الجمعة (١) ولقي بالحرمين عدداً من العلماء فأخذ عنهم واستفاد منهم وتحدث عنهم بأعجاب وفخر... وعرج على مدينة دمشق فالتصل بالإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية العالم السلفي الشير وأخذ عنه... كما مر على القدس واتصل بشيوخه وأخذ عنهم.

وكانت هذه الرحلة تعريفاً بقيمته العلمية لدى أعلام الشرق، وربطاً لأسانيد أهل المغرب والأندلس بأسانيد علماء الشام ومصر والحجاز.... فنجد في فهرس أهل المغرب والأندلس الذين أخذوا عنه أو أخذوا عن أخذ عنه يحملونه واسطة في روايتهم وإجازاتهم وأسانيدهم العلمية إلى شمس الدين ابن قيم الجوزية مفخرة دمشق وأثير الدين ابن حيان إمام النحو وغيرهما ممن أخذ عنهم المقرئ في رحلته هذه... كما أن كتب الطبقات التي ألفت في الشرق في القرن الثامن الهجري وما بعده لم تهمل ترجمته والتعريف بمكانته العلمية... ولو وصلتنا فهرسة شيوخه كاملة وهي التي سماها :

« نظم اللآلي (٢) في سلوك الأمالي » لعرفنا الشيء الكثير عن شيوخه المشاركة وما أخذه عنهم وارتساماته وملاحظاته ومشاهداته في رحلته إلى الشرق... وقد اطلع على هذه الفهرسة حفيده أبو العباس المقرئ وروى لنا شيئاً منها في نفح الطيب، وقد استغرقت هذه الرحلة ما يقرب من ثلاث سنوات رجع بعدها إلى مسقط رأسه ليجد وضعاً سياسياً جديداً نشأ عن الأحداث الكبرى التي تعرض لها السلطان أبو الحسن المريني في تونس والنكبات التي تعرض لها جيشه وأسطوله... الأمر الذي جعل ولده أبا عنان

(١) نفح الطيب ج ٣ ص ١٤٥ .

(٢) فهرس الفهارس ج ٢ ص ٩٢ ويلاحظ أن المقرئ في النفح يسميها مشيخة وإن صاحب فهرس الفهارس يسميها رحلة انظر ج ١ ص ٢٠١ .

يقوم بالدعوة لنفسه ليتبوأ عرش أبيه المنكوب إثر الاخبار المتضاربة التي وصلتته عن مصير الجيش البري والأسطول وثوراة الأعراب بزعامة بعض أحفاد الملوك الموحدين ...

ورغم هذا الوضع فإن المقرى عزم أول الأمر على أن يتمسك بخطته في الانقطاع إلى العلم والمعرفة وسار في هذا السبيل خطوات لولا أن الأحداث أخذ بعضها برقاب بعض فدخل أبو عنان تلمسان ، وانهت مأساة أبي الحسن ... ووقع اختيار أبي عنان على المقرى ليكتب بيعته ويرافق ركابه إلى مدينة فاس ليتولى قضاء الجماعة بها وذلك سنة ٧٤٩ هـ (١) .

وفي مدينة فاس أصبح المقرى عمدة في القضاء والتدريس ونال الشهرة والجاه والقبول وازدحمت على أبوابه وفود الطلبة وطوائف أهل العاصمة المرينية على اختلاف مشاربهم وأهوائهم لإفادة علم أو نيل حظوة أو الفوز بوساطة ... وقد اشتهر عن المقرى أنه كان صارماً في أحكامه عدلاً ضابطاً (٢) ، كما اشتهر عنه في تدريسه أنه كان متبحراً واسع الأفق قوي المعارضة فصيح الالفة ...

وكانت أيام أبي عنان في فاس أياماً شهيرة في التاريخ المغربي لا حاجة بنا إلى تكرار القول فيها وقد حفلت كتب التاريخ والتراجم بأعلامها من أمثال ابن خلدون وبنى رضوان ... وبنى الحضرمي ... وبنى الفشتالي ، وبنى أبي مدين ، وابن الأحمر ... وغيرهم ... وكانت هناك اتصالات بين المقرى وبين هؤلاء الأعلام ، كما أن المقرى اتصل بمن كان يفسد على السلطان أبي عنان من سفراء وزائرين من الأندلس والشرق ...

(١) الإحاطة والنفع ج ٣ ص ١١٥ و « التعريف » ص ٦٠ .

(٢) حضر ابن الخطيب بعض مجالس حكمه الإحاطة ج ٢ ص ٦٣٩ .

وقد بنى أبو عنان المدرسة العظمى الحاملة لاسمه في فاس وكان مدرستها الأول أبا عبد الله المقرئ كما أن مجالس العلم والمناظرة التي كانت تقام في حضرة أبي عنان كان يتصدرها المقرئ ويحلي فيها دروسه ومحاضراته واشتهر عند المؤرخين موقفان للمقرئ في مجالس أبي عنان .

الأول : امتناع المقرئ من الوقوف إجلالاً لنقيب الشرفاء وقد كانت العادة أن يقف له السلطان فمن دونه .

الثاني : تقريره الحديث « الآية في قرش وغيرهم متغلب » (١) .

وظل المقرئ أثيراً عند أبي عنان إلى أن سخطه لبعض النزعات الملوكية على حد تعبير ابن خلدون (٢) وأخره عن القضاء سنة ٧٥٦ هـ وكان ابن خلدون شاهد عيان لهذا السخط وهذا التأخير ...

واستعمل المقرئ بعد ذلك في السفارة إلى الأندلس ودخل غرناطة سنة ٧٥٧ هـ وهناك اتصل به ابن الخطيب (٣) اتصالاً وثيقاً وأخذ عنه كما أخذ عنه عدد كبير من أهل غرناطة وفيهم أبو إسحاق الشاطبي وطبقته . وحينما أدى واجبه في السفارة عزم على الاستيطان بالأندلس والانتقاء عن العمل السياسي إلى جانب أبي عنان ... الأمر الذي هاج ثائرة أبي عنان فأرسل إلى ابن الأحمر رسالة في الموضوع طالباً رد سفيره ... وبعد مراسلات (٤) بين بلاط غرناطة وفاس من إنشاء وزير الدولة لسان الدين

(١) انظر ذلك في فتح الطيب في ترجمة المقرئ من الجزء الثالث .

(٢) التعريف ص ٦٠ .

(٣) الاطاعة ج ٢ ص ١٣٩ .

(٤) انظر نصها في فتح الطيب .

ابن الخطيب في شأن تأمين المقرري وأخذ الضمانة على إعفائه من كل مؤاخذه ...
 رجع المقرري صحبة قاضي غرناطة أبي القاسم الشريف والشيخ أبي البركات
 ابن الحاج البليقي ... إلى فاس وشاهد ابن خلدون هذا الرجوع وأرخه ...
 وقال (واستقر القاضي المقرري في مكانه بباب السلطان عطلاً من الولاية
 والجرية ... وجرت عليه بعد ذلك محنة من السلطان بسبب خصومة وقعت
 بينه وبين أقاربه امتنع من الحضور معهم عند القاضي القشتاني ، فتقدم السلطان
 إلى بعض أكابر الوزعة ببابه بأن يسجبه إلى مجلس القاضي حتى أنفذ فيه
 الحكم فكان الناس يعدونها محنة (١) .

ثم ولي قضاء عسكر أبي عنان في رحلته إلى قسنطينة ورجع إلى
 فاس آخر سنة ٧٥٨ هـ مريضاً وبها أسلم روحه سنة ٧٥٩ هـ ودفن بها
 لمدة سنة ثم حمل إلى مسقط رأسه تلمسان وأقر بها ...

أما مؤلفاته فهي : كتاب القواعد الشهير في الفقه وكتاب الطرف والتحف ..
 وكتاب عمل من طب لمن حب ... وكتاب المحاضرات ... ونظم اللآلي في
 أسلاك الأمالي ... وكتاب الحقائق والرقائق (٢) .

(١) التعريف ص ٦١ .

(٢) أرسل إلينا الأستاذ صاحب هذه المقدمة نسخة من كتاب (الحقائق والرقائق)
 لنشره في المجلة . ولا كان موضوع الكتاب على جلاله قدره وطرافة أسلوبه
 هو في التصوف وخارجاً عن منهج مجلتنا ولذلك اكتفينا بنشر المقدمة التي تعرف
 بالمؤلف ومترته العلمية .
 (المجلة)

ولعل في إحياء بعض آثار هذا الإمام ما يؤدي بعض الواجب نحو رجل
كان من ضمن تلامذته الإمام الشاطبي مؤلف الموافقات والاعتصام ...
وابن الخطيب الوزير الشهير .. وابن خلدون أستاذ علم الاجتماع ، وألف في
ترجمة حياته الإمام ابن مرزوق الحفيد كتاباً سماه « النور البدرى » (١) في
التعريف بالفقيه المقرئ ، وكذلك الوشرسي كما في النفع ..

فاس (المغرب الأقصى)

عبد القادر زمامة



(١) فتح الطب ج ٣ ص ١١٠ وما في فهرس الفهارس ج ٢ ص ٩٢ من أن المؤلف
المذكور لابن مرزوق « الجد » مجرد سبق قلم ، وانظر مناقشة هذه التسمية
وكلام صاحب النفع في ضبط كلمة « للمقرئ » بالتشديد أو التخفيف ، والخلاف
في ذلك شهير .

أضواء على ماهية

معركة ذات الصواري

ودورها في تطور خطة الحرب العربية

بينما كانت جيوش الفتح الإسلامية سائرة في طريقها بسرعة لإخضاع الأقاليم الشرقية فإننا نجد بأن موجة الفتح هذه قد هدأت في سورية ، بعد أن استتب بها الأمر فأصبحت نقطة ارتكاز وبعدها الثغرية. هدأت سيطرة الروم في آسيا الصغرى .

بعد موت الامبراطور هرقل لم تكن الروح المعنوية في الامبراطورية تشجع أية بادرة تهدف إلى استئناف الصراع مع العرب ، ورغم ذلك فقد بذلت عدة محاولات فاشلة على الساحل السوري ، ولم تلتها بعد ذلك أية مبادرة أخرى . وفي هذا الوقت كان معاوية بن أبي سفيان منهمكاً في تنظيم الجهاز الإداري في سورية ، عاملاً في الوقت نفسه على تقوية وضعه في سورية تمهيداً للظروف الآتية هذا بينا ساد السلام في الجبهة الجنوبية إذ أن عمرو بن العاص قد تمكن من إخضاع مصر لإدارته القوية .

وبالرغم من أن الدولة البيزنطية قد فقدت معظم أقاليمها المهمة ، فإن ذلك لم يعن بأنها سلمت بالأمر الواقع ، فقد قامت عدة محاولات لإخراج العرب من تلك الجهات ولكنها لم تكن ذات أثر عميق على مجرى الحياة في البلاد . فالروم وبعض السكان الذين تخوفوا من الحكم الإسلامي ، تواطؤوا مع البلاط البيزنطي وبنتيجة ذلك جهز اسطول من (٣٠٠) سفينة

بقيادة مانويل والذي استطاع في ٦٤٦ م (٥٥ هـ) استرداد الاسكندرية بدون أي مقاومة تذكر ، وطرد منها الحامية العربية (١) . غير ان نتيجة هذا النصر كان مؤقتاً ، وتمكن العرب من طردهم من المدينة . ومما لا شك فيه أن المصريين لم يسهموا في هذه الأحداث ومساندة الروم ، إذ أنهم لم يرغبوا في الدخول في محاولات جديدة تجرهم للدمار ولا سيما وهم تمتعوا بحريات دينية وشخصية لم تكن مكفولة لهم من قبل .

لذلك اتجهت المحاولات التالية إلى الشرق ، وبصفة خاصة لمناطق الحدود بين الامبراطورية والدولة العربية الناشئة .. وكانت هذه المناطق ثغوراً ومدناً واقفة على الحدود ، وهي دائماً كانت معرضة لرحمة الأقدار ، هذا إلى جانب دور العرب في أرمنية وتشجيعهم لأهل البلاد على التمرد والثورة على الروم . وقد لعب معاوية دوراً بارزاً في هذه المراحل الأولى للاصطدامات . إذ أنه سرعان ما أصبح مسؤولاً عن كل سورية بعد موت أخيه يزيد ، وصار الحاكم المطلق اليد خلال حكم الخليفة عثمان بسبب رابطة الدم والقرابة (٢) . وبنتيجة السياسة الجديدة للامبراطور قنسطانس الثاني (Constans II) فقد توقع العرب بعض الاصطدامات القليلة الأهمية على الحدود ، ولهذا تمتعت سورية إلى وقت ما ببعض الراحة والسلامة . غير أنه في عام ٦٤٧ أي العام الثاني لتولي عثمان الخلافة نجد بأن معاوية قد أفرغته تحركات بعض التجمعات الرومية في آسيا الصغرى ، والتي لم يستطع أن يقف في سبيلها ، لذلك سرعان ما طلب المدد من الولايات الشرقية فانضم إلى جنده ٨٠٠٠ متطوع وقوي بذلك مركز الجند الشامي ، واستطاع إبطال أثر التحرك الرومي (٣) .

(١) الطبري جزء ٥ ص ٤٧ .

(٢) البلاذري - فتوح .. ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٣) الطبري . جزء ٥ ص ٤٥ .

وقد شجع هذا النجاح العرب فداهموا آسيا الصغرى ، مجتازين بأرمينية حتى وصلوا إلى طبرستان ، وبذلك أمتنوا سلامة همزة الوصل بينهم وبين إخوانهم الذين يحاربون في منطقة بحر الخزر (١) .

ومنذ تلك اللحظة استحكمت العداوة بين العرب والروم وتجدد التصادم بينها في كل صيف ، وخرج العرب من الغزوات الصائفة .. وآزر العرب في ذلك الأسطول الإفريقي الذي تجمع في الموانئ الإفريقية ، واندفع القادة في سورية في طريقهم لتوسيع مدى غزواتهم في آسيا الصغرى ، ومنطقة شرقي البحر المتوسط معززين بذلك تخومهم بالشغور ، ورادئين الموانئ والشغور الساحلية .

ومما لا شك فيه أن تلك الخطوط الجديدة في السياسة الحربية التي اتبعتها العرب بركوب البحر في غزواتهم ، والتي لم تكن تلقى الأذن الصاغية من الخليفة عمر ، حازت على رضا الخليفة الجديد عثمان الذي وافق على محاولات معاوية المتكررة في تكوين الأسطول العربي . وقد وافق عثمان أخيراً على شرط أن تكون خدمة البحرية غير إجبارية . وكان أول أمير عربي للبحر هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح حاكم مصر ومتولي جبايتها من قبل (٢) . وكانت أولى بشارت هذا الأسطول أن توجه إلى قبرص في عام ٦٤٩ (٢٨ هـ) بقيادة أبي قيس (٣) . وقد جهز أسطول الفتح هذا بـ (٧٠٠)

(١) الطبري . جزء ٥ ص ٤٥ .

(٢) بسند انشاء الأسطول راجع مقدمة ابن خلدون ص ١٥٠ والطبري جزء ٥ ص ٥٢ ، ٥٣ ، وابن الأثير جزء ٢ ص ٢٦٤ .

(٣) ابن العبري : تاريخ الأمم طبعة بيروت ص ١٠٤ . الطبري جزء ٥ ص ٥١ .

و Constantine Porphyrogenitus : De administrendo Imperio . يردابست

١٩٤٩ ص ٨٩ .

سفينة (١) بعد أن انضم إليه ابن أبي سرح يعض السفن المصرية التي جهزت بملاحين مصريين إلى جانب محاربي الحامية العربية بالاسكندرية (٢) . وقد سقطت قبرص بدون أي مقاومة تذكر . وجمع كثير من الأسرى والرهائن من الجزيرة ومن كافة أنحائها . وقد وافق القبارصة على دفع نفس الضرائب التي كانوا يدفعونها من قبل للروم . ولكن الخليفة أعفاهم من دفع الجزية لأنها حماية للرأس وهذا ما لم يستطع العرب القيام به في ذلك الوقت (٣) . وبهذه العملية سقطت أولى القواعد البحرية الرومية في أيدي العرب الذين أصبحوا على مقربة من السواحل الرومية (٤) .

وبينا كان معاوية مشغولاً في حملة قبرص تجمعت لديه المعلومات بأن هناك تحركات رومية موجهة نحو سواحل الشام ، وذلك رداً على حملة قبرص ولائخاذ مواقع للمراقبة على الساحل الشامي (٥) . لذلك أسرع معاوية في أواخر عام (٢٨ هـ) بالسير نحو جزيرة د أرادوس (أرواد) Aradus ، الواقعة أمام الساحل الشامي للاستيلاء عليها حتى لا تكون قاعدة صالحة يستعملها الروم ضد سورية . وقد وُطد العزم على تدمير تلك القاعدة الخطيرة ذات الأهمية

(١) أغايوس « محبوب » : كتاب العنوان نصره فاسيليف ص ٢٢٠ ذكر بأن عدد السفن ١٧٠٠ ولكن Constantine VII أورد في ص ٨٩ بأن السفن هي ١٢٠٠ ولكن فاسيليف ناصر « العنوان » رجح أن العدد ٧٠٠ .

(٢) رواية الواقدي في الطبري هي : « غزا معاوية في عام ٢٨ هـ قبرص وغزاها أهل مصر وعليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح حتى لقوا معاوية فكان على الناس » ج ٥ ص ٥٣ .

راجع لذلك Becher : Cambridge Mediual History Vol II P. 352

Muir. W. The Calphato P. 205 .

(٣) أغايوس ص ٢٢٠ والطبري ج ٥ ص ٥٣ .

(٤) فاسيليف : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ج ١ ص ٢٨٢ .

(٥) بروكلمان : تاريخ الشعوب . لندن ١٩٠٩ ص ٧٤ .

الاستراتيجية حتى لا يستفيد منها الروم . وقد وكل إلى الأسقف توما بابلاغ أوامره إلى سكان المدينة باخلاء الحصن وهجر الجزيرة والانصراف إلى الروم ... غير ان السكان القوا القبض على الأسقف واعتصموا بالمدينة ، فاضطر معاوية لإرجاء الحملة إلى حين انقضاء فصل الشتاء الذي كان على الأبواب (١) . وعاد إلى دمشق (٢) .

وفي الربيع التالي عاد إليها معاوية ومعه حامية قوية ، وحاصر الجزيرة بعد وصوله وشدد عليها الحصار فاضطر أهلها إلى طلب الأمان بشرط أن يسمح لهم في السكن في سورية فوافق معاوية على ذلك ثم هدم المدينة وحطم أسوارها وأحرقها (٣) .

واتجه معاوية إلى أهمية جزيرة رودس لذلك غزاها في عام (٦٥١ م) واستولى عليها وأصبحت الجزيرة قاعدة للمراقبة وثقراً (٤) . وقد روت المصادر الرومية بأنه حطم تمثال رودس المشهور اثناء الحصار . وهذه رواية ضعيفة (٥) . وبسقوط قبرص ورودس وتقوية السواحل والثغور الشامية أصبح الأمر مستتباً في يد معاوية ، وبذلك زال خطر الغزو الرومي غير المتوقع ، هذا بينما توصل إلى تهديد السواحل الجنوبية لا سيما الصغرى والتي أصبحت في

(١) أغايوس ص ٢٢٠ .

(٢) أغايوس ص ٢٢٠ .

(٣) أغايوس ص ٢٢٠ و Constantine VII ص ٨٥ .

(٤) أغايوس ص ٢٢٠ و ص ٢٠٠ Halphen L. Les Barbars des grand Invision aur Conquest Turque du XI siecle, Paris 1930

(٥) ابن البري ص ١١١ . أغايوس ص ٢٢٠ - نقل رواية ثيوفانس Theophanes

في كتابه طبعة دي بور ص ٣٤٥ وهي مذكورة كذلك من Constantine VII .

وهذه الرواية الأخيرة تتفق مع الطبري (ج . ص ٧٧) حتى ان معاوية

غزا مضيق القسطنطينية في عام ٥٢٢ هـ .

م (٨)

متناول البحرية العريضة التي أصبحت منذئذٍ تهدد سلامة الملاحة الرومية وتهدد هذه المناطق بالغزو .

وقد استغل معاوية كراهية أهل أرمينية للامبراطورية ، وأسهم بدور كبير في الثورة التي قامت في أرمينية أثناء سقوط رودس (٦٥١) منه قنسطانس والتي قادها الطريق بسجناطس Pasagnatha^(١) وقد تم الاتصال بين المتمرد وبين معاوية الذي وجه إليه جيشاً وأخضع الحامية الرومية بها ، وذلك أثناء تحرك قنسطانس لإسفاف حامياته هناك ، غير أنه رجع عن محاولته وقد يكون ذلك لفقده الأمل في إخضاعها (٢) .

وتذكر إحدى المصادر الموثوقة بها بأن قنسطانس الثامن أرسل إلى معاوية بعد فتح قبرص وتحطيم جزيرة أرادوس وفدأ طالباً منه عقد معاهدة للصلح وهذه الرواية لا تتفق مع المنطق . إذ أنه من المتوقع أن تكون محاولة قنسطانس هذه ، بعد احتلال العرب لجزيرة رودس وبعد التمرد الذي قام ضده في أرمينية ، وليس قبل ذلك .. إذ أن سقوط قبرص وأرادوس لا تشكل خطراً كبيراً على الدولة مثل سقوط رودس ذات الأهمية الاستراتيجية والتي تهدد بسقوطها سلامة عاصمته . ومن المتوقع كذلك أن يطلب عقد مثل هذه المعاهدة عند ما بدأ العرب في التدخل الفعلي في أمور أرمينية وليس قبل ذلك . وقد أورد أغايوس تفاصيل هذه المحاولة وكيف أن قنسطانس أوفد رسولاً إلى معاوية يسأله الصلح وكان بدمشق وكان الرسول هو منويل الذي قام

(١) ثيوفانس ص ٢٢٤ - وأغايوس ص ٢٢٢ .

(٢) أغايوس ص ٢٢٢ ، وقد ذكر الطبري (ج ٥ ص ٥٤) رواية بأن حبيب بن مسلمة غزا سورية الروم SYRIAE PORTAE وقال بأن هذه الغزوة كانت عام ٥٢٨ .

من قبل يغزو الاسكندرية عام (٦٤٥) غير أن معاوية فرض شروطاً قاسية لم يقبلها الروم (١) .

وبسقوط جزر شرقي البحر المتوسط في أيدي العرب ، أصبحت مناطق كاريا وليقية وقلقية (Caria, Cilicia, Lycia) قريبة المنال وأصبحت مهددة بخطر الغزو العربي وعزلها عن بقية آسيا الصغرى ، وذلك لاستحالة وصول الإمدادات الحربية إليها برّاً بسبب موقعها الجغرافي الذي يجعل خطط الدفاع عنها منصبة بالدرجة الأولى على البحر فقط .

ومنذ عام (٦٥٤) بدأ معاوية بمد سيادته على مناطق ارتكاز وقواعد بحرية متاخمة للساحل الرومي ، بدأ في الاستعداد لغزوة كبرى ضد الامبراطورية ، وقد شجعه على ذلك السهولة التي حاز بها على انتصاراته السابقة وعلى نجاح حملاته المستمرة على الثغور الرومية الأمامية .

لذلك أخذ في إعداد وتجهيز أسطول كبير يساعده في تنفيذ غرضه (٢) هذا وجعل مركزه مدينة طرابلس الشام وأخذ في تجهيزه بالسلاح والعتاد ، غير انه قام بتمرد ضد قيادة الأسطول العربي . قام به أخوان من البحارة المسيحيين الذين كانوا يعملون في خدمة الأسطول والترسانة البحرية ، وهما ابنا بقنطر « Baqantar » (٣) ويظهر بأن السبب في هذا التمرد يرجع إلى أعمال الضغط والسخرة التي استعملها معاوية أثناء تجهيزه للأسطول . وتمكن المتمردون بمساعدة بعض الأسرى الروم في سجن حصن طرابلس من إطلاق

(١) أغايوس ص ٢٢٢ نقل رواية ثيوفانس ص ٣٤٤ .

(٢) أغايوس ص ٢٢٣ .

(٣) أغايوس ص ٢٢٣ نقلًا عن ثيوفانس ص ٣٤٥ .

سراح بقية الأسرى ، وقتلوا عامل المدينة وأتلفوا بعض السفن ثم ركبوا البحر ولحقوا بالروم (١) .

ويظهر بأن هذا التمرد دفع معاوية إلى الإسراع بتنفيذ خطته والقيام بغزوته . وهنا يظهر نبوغ معاوية الحربي الذي أثبت بأنه يملك عقلية ذات مستوى حربي عال ، إلى جانب تفرسه في مسائل الاستراتيجية العسكرية الذي يضعه في مصاف كبار القادة العسكريين . وكانت نتائج هذه الغزوة روايات مشتتة لما يسمى بذات الصواري . تلك الموقعة التي أخطأ الكثير من المؤرخين في تقييمها ووضعها في مكانها الصحيح . وقد تم الخلط في هذه الرواية منذ الأيام الأولى للتاريخ الإسلامي ... إذ أن الرواة قد خلطوا بينها وبين تدمير الأسطول الرومي المنسحب من ذات الصواري قرب الاسكندرية ، وأطلقوا عليها مصطلحاً جديداً وهو موقعة الاسكندرية .

وقد وضع معاوية خطته الحربية التي تعتمد على شقين للوصول إلى القسطنطينية ... وهذا ما لم تأت به المراجع الحديثة ... فقد هدف معاوية إلى استخدام البحر والبر للوصول إلى هدفه ... واستخدام الجيش البري يهدف إلى خديعة الروم وجذبهم بعيداً عن العاصمة ... وفي نفس الوقت يقطع خط الهجوم العاكس الرومي في حالة ما إذا فكروا في الاغارة على الشام وقت انشغال الجيش العربي بغزوته . هذا إلى عزل الجيش الرومي عن العاصمة بعملية إزعال جيوش عربية خلف ظهر الروم القادمين لملاقاة الجيش البري العربي وذلك في منطقة ليقية Lycia (٢) .

(١) أغايوس ٢٢٣ . وابن عبد الحكم ص ١٨٩ .

(٢) أغايوس ٢٢٤ .

لذلك توجه جيش بري صوب ملطية (Malatia) فوطاً أرض الروم وافتتح في طريقه المدن الصغرى ووصل إلى حصن المرّة بباب ملطية وسبى من أهلها حسب بعض الروايات مائة ألف نفس^(١) ، وكان الهدف من هذه التجربة قطع الطريق على فواحي يزنطة^(٢) .

وفي نفس الوقت تحرك الأسطول العربي في عام (٣٤ هـ) (٦٥٥ م) في يونيو أو يوليو (٦٥٥) إذ أن عام (٣٤ هـ) يبدأ في (٢٧) يوليو (٦٥٤) ولهذا التاريخ أهمية تتعلق بمركز التجمع في رودس إذ أنها تقع في منتصف الطريق إلى القسطنطينية . وقام عبد الله بن سعد بن أبي سرح^(٣) بانزال نصف قواته على ساحل ليقية Lycia بقيادة بشر بن أبي أرطاة ، وذلك حتى يقطع الطريق على قوات الروم في آسيا الصغرى في حالة انسحابها نحو العاصمة للدفاع عنها^(٤) . تلك القوات التي خدعتها التجربة العربية المتوجهة إلى ملطية . هذا وإن هذه القوات النازلة في ليقية سوف تستدرج بقية القوات المرابطة بالقرب من العاصمة ، وبذلك يضعف مركز العاصمة العسكري ويسهل الهجوم عليها . فدخلت القوات العربية ميناء فونيكية Pheonix الواقعة على ساحل ليقية^(٥) وقامت بعمليات ذات طابع ارهابي شديد ونهبت حسب بعض الروايات أفسوس وازمير ووصلت إلى Halicarnassus وإلى بعض المدن الايونية^(٦) .

-
- (١) أغايوس ص ٢٢٤ . والطبري ج ٥ ص ٨٥ ذكر رواية مفارقة لنزو معاوية لحصن المرّة التي جاءت في أغايوس .
وقد ذكر ابن المبري ص ١٠٤ بأن أنقرة سقطت في يد العرب .
- (٢) أغايوس ص ٢٢٤ و Constantine VII ص ٨٠ ، ٨٩ .
- (٣) أغايوس ص ٢٢٤ ابن المبري ص ١٠٤ - ابن عبد الحكم ص ١٨٩ الطبري ج ٥ ص ٦٨ .. وأخيراً رواية ثيوفانس ص ٣٤٥ .
- (٤) ابن عبد الحكم ص ١٨٩ . والبيوطي في حسن المحاضرة ص ١٠٣ .
- (٥) أغايوس ص ٢٢٤ ثيوفانس ص ٣٤٥ ، وميشيل السوري ج ٢ ص ١٤٥ .
- (٦) Constantine VII ص ٨٠ .

غير أن قنسطانس تنبه إلى خطورة الأمر وأحس بأن العاصمة قد أصبحت في خطر إذا ما هاجمها العرب عن طريق البحر (١) لذلك رأى أن يفاجئ الأسطول العربي القادم إليه فتوجه إلى ساحل ليقية ليلقي العرب هناك (٢) . ورغم التقاء الأسطول العربي بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح مع الأسطول الرومي بقيادة أخي الامبراطور ثيودوسيوس Theodosius (٣) ، ورغم أن قوى العرب الضاربة كانت منقسمة إلى قسمين برية وبحرية (٤) ، إلا أن الغلبة كانت للعرب إذ سرعان ما التحمت المراكب وتلاصقت وأخذ القتال يتم بالنبل والنشاب وقد وصفه ابن عبد الحكم وصفاً دقيقاً . وما لبث الأسطول الرومي أن انهزم (٥) وفر قنسطانس هارباً إلى صقلية (٦) ، غير أن الريح ألفت به قرب الاسكندرية ففرق معظم أسطوله وأخيراً وصل إلى صقلية في حالة يرثى لها (٧) .

ولكن تلك الخطة العسكرية المنطقية قد أساء الكثير من مؤرخي العرب فهمها إذ أنهم تجاهلوا القسم البري من حركة الغزو ، وتقلوا الجزء الأخير البحري بعد أن قسموه إلى واقتين (٨) . وتجاهلوا الأساس المنطقي لهذه الخطة واستمسكوا بالروايات التي وصلت إليهم من مراجع عربية خالصة لذلك لم يكن مستغرباً أن يذكروا معركة ذات الصواري وما يسمى النصر

(١) أغايوس ص ٢٢٤ .

(٢) ابن عبد الحكم ص ١٨٩ وبروكلمان ص ٧٣ .

(٣) الطبري ج ٥ ص ٦٨ ، ٦٩ . ابن عبد الحكم ص ١٨٥ .

(٤) أغايوس ص ٢٢٤ أورد قس رواية ثيوفانس ص ٣٤٥ .

(٥) ابن عبد الحكم ص ١٨٩ ، الطبري ج ٥ ص ٦٨ .

(٦) انظر ما قبله ٣٤ ، ٣٣ .

(٧) عبد الحكم ص ١٩٠ - السيوطي ص ٩٧ الطبري ص ٦٨ ، ٧٠ جزء ٥ .

(٨) مور ص ٢٠٦ وجييون .

البحري بالاسكندرية كل منها على أساس منفصل عن الآخر .. والواقع فإن ذات الصواري بدأت بعد التمديد البري للجيش في أواخر شهر ذي الحجة لعام (٣٤ هـ) الموافق لـ (٦٥٥ م) وشهر ذي الحجة يقع في شهري يونيو ويوليو (٦٥٥ م) . بينما تحطم الأسطول الرومي في عاصفة قرب الاسكندرية في عام (٣٥ هـ) التي تبدأ في (١١) يوليو (٦٥٥) طبعاً . إن هناك حدثاً واحداً ، الانهزام في ذات الصواري والتحطم قرب الاسكندرية وهو يستغرق عامين . فقد بدأ في نهاية (٣٤ هـ) وانتهى في أوائل (٣٥ هـ) . وهذه الحقيقة التي تنبه لها مؤرخونا العرب جعلهم يفصلون شطري الحدث الواحد ويذكرونها من أحداث سنتي (٣٤ هـ) ، (٣٥ هـ) (١) ... ولكن الرواة المتأخرين زمنياً اختلط عليهم الأمر ووجدوا رواية لتحطم الأسطول الرومي قرب الاسكندرية ... لذلك حاولوا تقليد ذلك بأنه ، أي الأسطول الرومي كان موجهاً لغزو الاسكندرية ، وبسبب الإسناد الواحد للرواية الواحدة التي شطرت .. نجدهم يخلطون أحداث الشق الأول بالشق الثاني ويتسبونه للغزوة الاسكندرية . والسبب في ذلك هو أن التصنيف التاريخي كان حولياً ولم يكن موضوعياً (٢) .

وليس من المعقول أن يكون قنسطانس الذي هزم هزيمة نكراء في ذات الصواري في صيف (٦٥٥ م) قد حاول أن يهاجم ويسترد الاسكندرية بعد هذه الكارثة مباشرة . غير أن السبب الذي دفع هؤلاء المؤرخين الغربيين أمثال موير وغيره من مؤرخي الغرب المعاصرين هو اعتمادهم بدون تفكير أو تفهم لروح النصوص على نص مثل نص ابن عبد الحكم الذي نقل من

(١) السيوطي وابن عبد الحكم ، الطبري ٦٨ ، ١٦١ جزء ٥ .

(٢) لقد قدم لنا الطبري في ج ٥ ص ١٦١ أوضح رواية عن الأحداث فقد ذكر في حوادث عام ٣٥ هـ ما يفيد ذلك .

تاريخ حولي إلى تاريخ خاص بموضوع هو فتح مصر الذي كان موسوعياً . فوقعوا في الخطأ بينما ابن عبد الحكم وغيره عند ذكره لهذه الرواية إننا حاول تحليل تحطم الأسطول قرب الاسكندرية ، فلذلك ذكر موقعة ذات الصواري هذا بالرغم من اعترافه اعترافاً صحيحاً بأن الأسطول قد تحطم بدون أي هجوم على الاسكندرية ، أو اشتباك مع حامية الاسكندرية . ومن البديهي أن ذكر ذات الصواري كان لتلليل هذه الكارثة بقرب الاسكندرية (١) .

ولكن تسلسل الأحداث في مختلف الروايات يبين بجلاء وضوح الأمر ، وأن الأسطول تحطم بسبب الريح العاصف عقب فراره من ذات الصواري (٢) . أما سبب عدم الاستمرار حتى تنفيذ خطة الغزو والتوجه للقسطنطينية رغم الانتصار في ذات الصواري ، فإن المراجع تقف عاجزة عن تقديم أي بارقة من الإيضاح ... ولكن عسى الأيام تقدم لنا وثائق تشرح هذا الصمت ، ولكن قد يكون السبب المباشر لذلك هو الوضع الداخلي المتأزم في الخلافة وخروج الأقاليم على عثمان بن عفان بسبب سياسته الداخلية .. وبطبيعة الحال فإن معاوية ما كان يترك جيوشه بعيدة عن مسرح الأحداث وهو رجل ذو أطماع وآمال عراض .

وإجمالاً فقد أثبتت أحداث ذات الصواري بأن العرب قد وصلوا خلال أعوام قليلة إلى مستوى عال من المعارف العسكرية .

(بودابست)

عبد المنعم مختار



المحاضر في جامعة بودابست

Dr. Mukatar Abel

(١) موير ص ٢٠٦ رجع في روايته إلى ابن الأثير وقسم الغزوة وحدد لذات الصواري عام ٨٣١ .
(٢) ابن عبد الحكم ص ١٩٠ - الديوطي ص ٩٧ الطبري ج ٥ ص ١٦١ بروكلمان في ص ٧٣ و Constantine VII ص ٨٥ .

مدرسة سالرنو الطيبة

- ٢ -

مدرسة سالرنو الطيبة :

نشأت هذه المدرسة في مدينة سالرنو كما ذكرنا ، وقد أطلق عليها بعض الكتاب اسم جامعة (١) وسماها بعضهم مدرسة ، وهذه التسمية الأخيرة « مدرسة » هي الأصح لأنه لا يمكننا القول بقيام جامعة بالمعنى المعروف في سالرنو حيث لا نعلم عن نظم هذه المدرسة شيئاً كما يقول المؤرخ الشهير (راشدال (٢) ، ويؤيده في ذلك الأستاذ (٣) ألفرد غيوم حيث يقول : كانت سالرنو مدرسة طبية بكل ما في كلمة مدرسة من معنى وبساطة ، فهي لم تكن جامعة لأن أقدم الجامعات المسيحية في بولونيا وباريس. ومونبلييه واكسفورد لم تنشأ إلا في القرن الثاني عشر .

تأكد لدينا إذاً أن سالرنو كانت مدرسة وليست جامعة ، فما علينا الآن إلا أن نستقصي أخبار تأسيسها .

(١) راجع كتاب معالم تاريخ الإنسانية تأليف (ا ج جى دلز) ج ١ المجلد الثالث الصفحة (٧٢١) .

(٢) راجع Rashdal Vol. 1. P. 7

(٣) راجع تراث الإسلام ج ٢ من ص ٣٨٥ - ٣٩٤ .

تأسيس مدرسة سالرنو :

إن المصادر المتعددة التي تكلمت على سالرنو وعلى نشأتها الأولى كانت على اختلاف وتباين يّسّن ، ذلك لأنها لم تستند على حقائق تاريخية ثابتة ، بل اعتمدت على ما حكته الأساطير ؛ فما دام الأمر كذلك فما علينا إلا أن نسرد ما قلته المصادر للتلقط من هنا ومن هنا ما زاه الأقرب إلى الصحة فنضيف بعضه إلى بعض .

قال محمد كرد علي^(١) « وفي باليرم Palermo أنشأ العرب أول مدرسة للطب ما عهد مثلها في جميع أوربا بل إن مدارس الطب في الغرب أنشئت بعد مدرسة صقلية العربية بأعوام ومنها انتشر الطب في بلاد إيطاليا على يد أساتذة من العرب وغيرهم في جامعة سالرنو » .

وقال كامبل^(٢) « وكان بعض الجوّايين من اليهود قد حملوا علوم الطب العربي وتوغلوا بها في شبه الجزيرة الإيطالية ، ونشروا وصفات العرب وأساليب علاجهم بين مرضاهم . وأشهر هؤلاء الجوّايين سبّاي بن إبراهيم المشهور بدونولو Donnolo وقد استقر بجنوب إيطاليا وألف كتابين أحدهما في الصيدلة ضمنه بعض الوصفات الطبية ... وإن بعض الأساتذة العرب استقروا بسالرنو منذ بداية القرن الثامن الميلادي » .

وقال الدكتور التجاني الماحي^(٣) « تعتبر الحروب الصليبية التي شبت ناراها عام (١٠٩٧ م) وامتد لهايها إلى عام (١٢٧٢ م) من العوامل المهمة في

(١) راجع كتاب حضارة العرب والإسلام لمحمد كرد علي ج ١ ، ص (٢٧٢) .

(٢) Arabian Medicine Camphel . P. 115 .

(٣) راجع كتاب مقدمة في تاريخ الطب العربي ص ١٣٥ .

نقل العلوم العربية وخاصة الطب إلى بلاد الغرب فقد حمل كثير من المرضى والأطباء وغيرهم من الراجعين إلى أوطانهم الكثير من الوصفات العربية إلى بلادهم وكانت « سالرنو » أهم الثغور التي يرجع عن طريقها المحاربون المائدون إلى أوطانهم » .

وقالت « زيفرد^(١) هونكه » المستخرقة الشهيرة « إن أصل سالرنو يضع في دفع من الأساطير ، ولكن هذا الأصل كأشباهه من الأساطير فيه شيء من الحقيقة ؛ وهذه الحقيقة تقول إن أربعة رجال أسسوها ، وهم يوناني ولاتيني ويهودي وعربي ؛ والعربي يدعى عضله ؟ (Adala) وأنا أقول بأن الأرجح « عبد الله » كما هو معروف في التسمية العربية^(٢) . وليس عجبا في شيء أن يشترك عربي في تأسيس هذه المدرسة . فإيطاليا الجنوبية عرفت في القرن التاسع فتوحات عربية كثيرة بل وسلطة عربية على أراضيها ويكفي أن نذكر أيضاً العلاقات المتبادلة بين صقلية العربية والشواطئ الإيطالية ، هذه العلاقات التي ظهرت في أكثر من مناسبة » .

وورد في دائرة المعارف البريطانية^(٣) « إن أهمية سالرنو التاريخية تتمركز حول مدرستها الطبية ، تلك التي بني هيكلها العلمي على أربعة أعمدة من الثقافات ، هي الثقافة اللاتينية والثقافة الإغريقية والثقافة العبرية والثقافة العربية » .

وقال هـ . ج . (٤) . ولز : « وفي عام ١٢٢٤ أسس فردريك جامعة نابولي وأغدى الأموال على المدرسة الطبية الكبيرة بجامعة سالرنو أقدم الجامعات ووسعها » .

(١) راجع كتاب شمس العرب تسطع على الغرب للمستخرقة زيفرد هونكه (س ٢٩٢) .

(٢) أو لى الاسم أيضاً « عطا الله » . (لجنة المجلة) .

(٣) راجع دائرة المعارف البريطانية ج ١٩ ص ٨٧٧ .

(٤) راجع كتاب معالم تاريخ الإنسانية . المجلد الثالث (س ٧٢١) .

وقال أيضاً (١) : « وكان الأمراء والمتعلمون في أوربة يقرأون رسائل فردريك ويتناقشون فيها ، واستساغوا كتب فردريك التي في متناول أيديهم باللاتينية . وألقت سالرنو على روما نوراً مهلكاً مؤذياً » .

ويقول ول ديورانت (٢) « ويرجع الفضل في بقاء الطب العلمي في بلاد الغرب أثناء المعصور المظلمة إلى الأطباء اليهود الذين نشروا المعلومات الطبية اليونانية - العربية في بلاد العالم المسيحي وذلك عن طريق الثقافة البيزنطية التي انتشرت في جنوب إيطاليا ، وترجمة الرسائل الطبية اليونانية والعربية إلى اللغة اللاتينية . وربما كانت مدرسة سالرنو الطبية قائمة في أحسن المواقع ، وكانت أحسن المدارس استعداداً للإفادة من هذه المؤثرات ، فقد كان الأطباء اليونان واللاتين والمسلمون واليهود يُعلِّمون ويتعلمون فيها » .

وقال الدوميسيلي (٣) : « إن تاريخ نشأة مدرسة سالرنو مظلم حقاً ، وترجع الأسطورة الفضل في تأسيسها إلى أربعة أساتذة مختلفي الأوطان وهم : الأستاذ « هابنوس » وهو يهودي كان يقرأ على تلاميذه بالعبرية ، والأستاذ « بوتوس » الذي كان يقرأ باليونانية ، والأستاذ « تيديلا » - أقول هو (عبدالله) - الذي كان يقرأ بالعربية ، والأستاذ « سالرنوس » الذي كان يقرأ باللاتينية (٤) .

وقال الدوميسيلي كذلك (٥) « ولا نستطيع ان نتعرف فعلاً على تأثير معين

(١) المصدر السابق رقم (٢٣) .

(٢) راجع الجزء السادس من المجلد الرابع من كتاب « قصة الحضارة » ١٨٨ .

(٣) راجع كتاب العلوم عند العرب لدوميسيلي .

(٤) يلاحظ أن رواية « دوميسيلي » حول نشأة مدرسة سالرنو ورواية السنقرية « زيفردهونكه » تتشابهان .

(٥) راجع كتاب العلوم عند العرب للدوميسيلي ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

للعلم العربي في الطب العربي إلا في أواسط القرن العاشر للميلاد، ففي سالرنو (موطن ابقراط) ازدهرت زمناً طويلاً مدرسة للطب مؤسسة على النقل والاتصال المباشر على وجه كاف بالإغريق . وليس علينا أن نبحت كيف تكونت هذه المدرسة وكيف كانت أحوال هذه المدرسة نفسها مؤاتية لنموها وازدهارها . وحسبنا أن نذكر أن يهودياً ولداً قريباً من « اوترانته » سنة ٩١٣ واسمه « شبطاي بن ابراهيم بن يول » كان قد وقع أسيراً عند العرب وسبق إلى مدينة « بالرمو » وفي هذه المدينة تعلم العربية ثم استطاع بعد ذلك الرجوع إلى اوترانته وتوفي بعد سنة ٩٨٢ م . وهذا اليهودي المعروف على وجه العموم باسم « دومنولوس » أو « دونولو^(١) » صنف بالعربية بعض الكتب الطبية التي كان أشهرها كتاب في قوانين الأدوية اسمه « سفرهاياقر » أي « الكتاب النفيس » ، ويعد دونولو هذا أيضاً من الشخصيات التي أسهمت بقوة في إنشاء مدرسة سالرنو . فلا شك انه اجتذب إليها بعض العناصر العربية . ولكن من المؤكد أن هذا التأثير لم يكن جد عظيم كما أنه على كل حال لا يشبه ذلك التأثير الذي حصل بعد ذلك بنحو قرن والذي يبقى فريداً حقاً بل غريباً تقريباً حتى إذا جردناه مما حيك حوله من أساطير المبالغات اه . إن التأثير الذي يعنيه الدوميسيلي والذي حصل بعد قرن هو تأثير ترجمة « قطنطين الإفريقي » لكتب في الطب العربي كما سنرى في الأبحاث القادمة . وقال الأستاذ ألفريد غيوم Alfred Guillaume^(٢) : « وفي أوربة كانت « سالرنو » قد طار صيتها بوصفها جامعة . فلو كانت هذه المدرسة من بقايا مدرسة الطب اليونانية الغابرة فالفضل في ذلك يعود إلى أن إيطاليا الجنوبية

(١) ان رواية الدوميسيلي هنا ورواية كامبل التي سبق ذكرها تتشابهان تقريباً .

(٢) راجع - كتاب ترات الإسلام ج ٢ صفحة ٣٩٤ - ٣٩٥ .

كانت جزءاً من الامبراطورية البيزنطية حتى القرن الحادي عشر فبقيت حتى بعد الفتح النورماندي منزلاً لأمة كبيرة تتكلم اللسان اليوناني ؛ كما ان فاتحي صقلية من النورمان بسطوا رعايتهم على الدراسات العربية واقتبسوا العادات الإسلامية بصورة واسعة حتى صار من الصعب علينا أن لا نستنتج بأن الطب العربي كان له بدون شك نفوذ عظيم على تلك المدرسة إن لم يكن تأثيراً ابتداعياً خلاقاً فهو على أقل تقدير تأثير تغذية وإدامة .

وقال غوستاف لوبون^(١) « لا أحد يجهل أن هذه المدرسة - مدرسة سالرنو - التي غدت أول مدرسة في أوربة زمناً طويلاً هي مدينة للعرب بشهرتها وذلك أن النورمان لما استولوا على صقلية وعلى جزء من إيطاليا في أواسط القرن الحادي عشر من الميلاد أحاطوا مدرسة الطب التي أنشأها العرب بما أحاطوا به المدارس الإسلامية من الاعتناء الكبير ، وأن قسطنطين الأفريقي الذي كان من عرب قرطاجنة عين رئيساً لها .

يتضح للقارئ - استناداً إلى الروايات العديدة التي تدور حول نشأة مدرسة سالرنو والتي سقناها تباعاً - أن العرب هم الذين أنشأوا مدرسة سالرنو الطبية وحدهم أو بمعاونة علماء يونان ويهود ورومان ؛ ولا يخفى أن اليهود - إن صح أنهم ساهموا في تأسيسها - كانوا عرباً في ثقافتهم^(٢) وعلومهم

(١) راجع كتاب حضارة العرب لغوستاف لوبون ترجمة عادل زعير صفحة ٤٩٣ .
(٢) جاء في كتاب حضارة العرب في الأندلس (تأليف جوزيف ماك كيب) مترجم (الدكتور تقي الدين الهلالي) ص ٦٠ « وجميع الكتب التي ألفها العرب ترجمت إلى العبرانية » ؛ « وكان اليهود بالخصوص أطباء نطاسيين ، وكان كبار أطباءهم يقدون العرب في التطلع بجميع الفنون الثقافية » . وفي ص ٦٣ نفس المصدر « واليهود هم الذين نقلوا معظم ثقافات العرب إلى الأناضول كما قال اسكوت » .

الطبية بالخاصة لذا فان الفضل الأكبر في تأسيس هذه المدرسة الطبية يعود للعرب كما يعود لهم الفضل في تغذيتها وإدامتها كذلك ؛ هذا وإن الشهرة الواسعة الخالدة التي تدقت من سالرنو لتدور العالم وتلفه لفاً آنذاك ، لم تكن ثمرة النبتة الرومانيه أو الإغريقية في أرض سالرنو الخصبية بل كانت ثمرة للتراث العربي الأصيل الذي 'حوول طمسه والقضاء عليه وعلى أسماء أعلامه ولكن دون جدوى ، إذ من بإمكانه أن يحجب شمس الحقيقة إلى الأبد (١) ؟

بماذا اشتهرت مدرسة سالرنو

« لا يخفى على أحد من الناس أن سالرنو خالدة (٢) بشهرتها تلك الشهرة التي تلف الأرض لفاً وتشفي الغليل ، لذا كان طلب العلم فيها من أشهى الأمور ، وإني بهذا لمقر » .

بهذه الكلمات المتدفقة إعجاباً وحياً والنابعة من صدر شاب ملأت عليه نفسه السنوات التي أمضاها في دراسة الطب على أساطين هذا العلم في مدينة سالرنو الواقعة على خليج Paestum أو بوستانوس ، بهذه الكلمات توجه هذا الشاب عند عودته إلى كولونيا ومقابلته لقيصر الامبراطور (راينالافون داسال) في عام (١٦٦٢ م) . فهاذا امتازت سالرنو التي تقنى بذكرها هذا الشاب ومن أين أتت الشهرة ؟

يروى أن هاينريش (٣) المسكين ، أصدق به المرض حتى فقد الأمل

(١) راجع كتاب شمس العرب تسطع على الغرب تأليف للسفيرة (زينفرد مونكه) ص ٢٩٣ .

(٢) راجع المصدر السابق (رقم ٣٣) ص ٢٩١ .

(٣) راجع المصدر السابق رقم (٢٤) ورقم (٣٣) صفحة ٢٩١ و ٢٩٣ .

بالحياة ولم يفد معه نفطس أطباء موبليه فلم ير بدأ من تعليق آماله في الشفاء على أطباء سالرنو في القرن الثاني عشر للشهرة العظيمة التي كانت لسالرنو في عالم الطب . وقد توجه إلى سالرنو كذلك ولهم الفاتح ملك انجلترا فيما بعد ، رغبة منه في مداواة الجروح التي أصابته خلال الحرب ، وإلى أطباء سالرنو الذين طبقت شهرتهم الآفاق بفضل معارفهم الطبية الواسعة ذهب بعد أول حملة صليبية عام (١١٠١ م) ابن النبيل روبر النورمندي مع رهط من رفاقه للتداوي ومعالجة الجروح التي خلفتها فيهم سيوف العرب وسهامهم في القرون الوسطى ، فسالرنو هي الواحة الوحيدة في وسط الصحراء الأوربية التي يتعلم بها المرضى المسيحيون ، وهي مدينه العلم الوحيدة خارج عالم الثقافة الإسلامية التي أمدت النشء الجديد بمعارف طبية صحيحة وثقافة علمية عالية ، شأنها في ذلك شأن المدارس الإسلامية في دمشق وبغداد وقرطبة ، فهنا ، كهناك قمة في العلم ، قمة لها حديث طويل ، ولا عجب في ذلك فقد كانت سالرنو هذه مركزاً عالمياً في وسط المحيط الطبي الاكليريكي ؛ ففيها رجال من كل حذب وصوب ، وأبوابها مفتوحة أمام كل الأديان والمقائد ، ورؤساؤها وأساتذتها متآلفون ، وفيها أساتذة رجالاً ونساءً يدرسون فيها على حد سواء ، وكانت النساء يدرسن التمريض والقبالة في سالرنو ، وأكبر الظن أن النساء اللاتي يسمين طبيبات سالرنو كنَّ قابلات تدربن في تلك المدرسة .

وكان من أشهر ما أخرجته مدرسة سالرنو الطبية رسالة في التوليد (١) نشرت في القرن الثاني عشر بعنوان « تروتولا وعلاج أمراض النساء » وأكثر المؤرخين مجمعون على أن تروتولا Trotula هذ كانت قابلة سالرنو .

(١) راجع كتاب قصة الحضارة تأليف (ول ديورانت) الجزء السادس من المجلد الرابع صفحة ١٨٨ و ١٨٩ .

لقد وصلتنا من مدرسة سالرنو عدة رسائل هامة تشمل فروع الطب كلها تقريباً منها رسالة لارخماتئوس Archimatheus تشير على الطبيب وهو واقف بجوار سرير المريض أن يتحلى وهو ينظر إلى حال المريض بالرزانة حتى لا تقلل من مكانته خاتمة المريض السيئة ، وحتى يضيف شفاؤه عجيبه أخرى إلى ما اشتهر به من عجائب ؛ وعليه أن لا يفاضل زوجة المريض أو ابنته أو خادمته ، وحتى إذا لم تكن ثمة ضرورة لدواء ما وجب عليه أن يصف له مركباً عديم الضرر ، حتى لا يظن المريض أن العلاج لا يساوي أجر الطبيب ، وحتى لا يظن أن الطبيعة هي التي شفت المريض دون الطبيب . واشتهرت كذلك بطبها العملي الذي استند إلى الطب العربي في تطبيقاته ومداواته كما سنرى في الأبحاث القادمة . واشتهرت بالجراحة كذلك ، وأشهر جراحها روجر السالرنى الذي نشر حوالى عام ١١٧٠ م كتابه « العمليات الجراحية » وهو أقدم رسالة في الجراحة معروفة في بلاد الغرب المسيحي . وهذه الرسالة هي مزيج من تجاربه الخاصة وما ورد في كتاب كامل الصناعة لابن الجوسي من معلومات جراحية قيمة هي تلك التي ترجمها عن العربية قسطنطين الافريقي .

وامتازت مدرسة سالرنو الطبية بقضايا أخرى ذات صلة بالطب والصيدلة سنذكرها تباعاً .

إجازة ممارسة الطب ثمسوها سالرنو :

لقد حظيت (١) سالرنو باعتراف رسمي عام (١٢٣١ م) عندما أصدر الامبراطور (٢) فردريك الثاني في تلك السنة مرسوماً خاصاً بممارسة مهنة

(١) راجع : Rashdall Vol 1, P. 82

(٢) راجع الملحق .

م (٩)

الطب وأصول تدريس هذه المهنة داخل دولته حتم بموجبه الحصول على ترخيص ملكي لكل ممارس على أن يعطى هذا الترخيص بعد امتحان الطالب أمام لجنة من أساتذة سالرنو. وقد دون الامبراطور لذلك بنوداً في المرسوم ذاته يحدد بموجبيها السنوات التي يجب أن يقضيها الطالب في دراسة الطب. فاذا أراد أي إنسان أن يحصل على إجازة في الطب وجب عليه أن يتلقى منهاجاً يدوم ثلاث سنوات في العلوم المنطقية *Scientia Logicalis*؛ والمقصود من هذا اللفظ (العلوم الطبيعية والفلسفية). وكان عليه بعدئذ أن يدرس الطب في المدرسة مدة خمس سنين وينجح في امتحانين ويتمرن عاماً تحت إشراف طبيب مجرب (١) ويمنح الخريج درجة علمية ويمطى كتاباً ويوضع له في إصبعه خاتم وتطبع على جبينه قبة .

إن مرسوم فردريك الثاني (٢) الذي قصد به تنظيم مهنة الطب قد جاء إعادة "حرفية" لتعليمات الملك روجر الثاني في امتحان الأطباء على أيدي أساتذة سالرنو. وقد دوت في هذا المرسوم الامبراطوري البنود الخاصة بلزوم مناقشة الأطروحة التي يقدمها طالب الإجازة بحضور الامبراطور شخصياً. وقد فرق الامبراطور فردريك الثاني بين مهنتي الطب والصيدلة حاذياً في ذلك حذو العرب .

يلاحظ القاري* أن الامبراطور فردريك الثاني في مرسومه هذا حذو جده الملك روجر الثاني وأنها معاً سارا على نهج العرب في هذا الباب ، فقد دعى المقتدر بالله الخليفة العباسي (— ٩٣١ م) نحو تسعمائة طبيب للامتحان من أجل الحصول على إجازة في التطبيب ؛ وهؤلاء هم غير الأساتذة الثقات الذين

(١) راجع كتاب قصة الحضارة تأليف ول ديورانت الجزء السادس من المجلد الرابع صفحة ١٩٠ وكتاب قصة الطب تأليف جوزيف جارلند ترجمة سعيد عبده صفحة ٧٣ .
(٢) راجع كتاب شمس العرب تسطع على الغرب لزيفردهونكه صفحة ٣٣٠ .

تجاوزوا مرتبة (١) الامتحان ، فمنح منهم الاجازة من استحقاقها ونجحت عمن أخفق في الامتحان . وقد أجرى المقتدر للصيدلة مثل ما أجراه للأطباء وسبق المقتدر في امتحان الصيدلة المتصم الخليفة العباسي إذ أمر هذا الخليفة بامتحانهم لأول مرة في تاريخ الطب والصيدلة .

لقد كانت هذه الإجراءات التي اتخذت في مدرسة سالرنو شيئاً غير مرغوب فيه بنظر بقية البلدان الأوربية ، لأن الكنيسة قد رأت في ذلك تهديداً مباشراً لمصالحها ، وكيف لا ترى هذا وقد أصبح 'جل' هذا الموضوع منوطاً بالدولة في شخص رئيسها . فالأطباء والصيدلة يقسمون اليمين أمام الامبراطور ، ولا يعملون إلا بترخيص منه ، كما تعمل البهارتات والصيدليات بأشرافه .

وأمام هذا الأمر لم ير البابا غريغوريوس التاسع بدءاً من أن يتخذ من التدابير ما يحفظ عليه كيانه وسلطته وهيبته فأصدر تصريحاً علنياً وجهه إلى الإمبراطور يقول له فيه أن لا يشتط في أعماله فيعتدي على حقوق الكنيسة .

ومع ذلك فقد صارت قوانين فردريك الثاني فيما بعد هي القوانين المعمول بها في البلاد الأوربية . وكانت بمثابة الخطوة الأولى نحو العصر الحديث بعدليل العصور الوسطى المدلهم ، قوانين ممارسة مهنتي الطب والصيدلة استمدت أصولها من السوابق العربية ، ورأس الجسر الذي انتقل بالطب وصناعة الصيدلة من العصور الوسطى إلى العصر الحديث كان من صنع العرب في القرنين الثامن والتاسع للميلاد .

(١) راجع أثر العرب في الحضارة الأوربية لعباس العقاد .

(٢) راجع شمس العرب تسطع على الغرب صفحة ٣٣٠ و ٣٣١ .

التدريس والأساتذة :

كان قيام أستاذ بالتدريس في جامعة من الجامعات الثلاث — سالرنو وباريس وبولونيا — أو السماح له بالانضمام إلى نقابة الأساتذة فيها يعطيه حق التدريس في غيرها من المعاهد العلمية التي تأتي دونها في المكانة والشهرة في حين لم يكن من السهل على أي أستاذ أن يقوم بالتدريس في باريس أو بولونيا أو سالرنو إلا بعد امتحان جديد شاق وذلك نتيجة للصفة العالمية التي خلقتها هذه الجامعات الثلاث على أساتذتها (١) .

الزي الجامعي :

كان زي الطلاب في جامعات أوروبا في العصور الوسطى موحدًا ، أي زياً أكاديمياً خاصاً ، ففي الجامعات الإيطالية ومنها مدرسة (٢) سالرنو حتمت اللوائح أن يرتدي الطلبة عباءة سوداء (Cappa) (ولعل هذا الاسم اللاتيني محرف من كلمة عباءة العربية) (٣) وكان غطاء الرأس قلنسوة من القراء السنجابي .

علم الأدوية في سالرنو (والصيدلة) :

إن البلاد الأوربية الكائنة في شمال جبال الألب لم تعرف الصيدليات بمفهومها العربي ومفهومها الحديث إلا بعد زمن طويل . وقد انتقل نظام الصيدلة والأقرباذين ، إلى دستور الأدوية المركبة ، من العرب إلى بلاد أوربة عن طريق مدرسة سالرنو الطبية وطرق أخرى كصقلية والبندقية والأندلس .

(١) راجع كتاب راشدال Vol 1. p. 7.

(٢) راجع : Rashdal Vol. I PP 194 — 195 & Vol. 3 PP 385 — 388

(٣) أو قباء العربية ، بفتح القاف وهو ثوب يلبس فوق الثياب . (لجنة المجلة)

فالفارماكوبيا الحديثة اشتقت أصولها ونظامها من الأقرباذين العربي ؛ هذا وقد غمر سالرنو دفق من العقاقير الطبية العربية ودفق كذلك من الكتب الطبية منها ما هو خاص بعلم الأقرباذين — كما سنرى في الأبحاث القادمة — . وقد وصلت العقاقير العربية وبعض كتب الطب العربي بلاد الران حيث سطع تأثيرها في الآفاق فقلدها المقلدون وأفاد منها المتكرون .

إن عميد (١) مدرسة سالرنو الطبية طبع بعد موت قسطنطين الإفريقي كتاباً على الطريقة العربية يبحث في علم الصيدلة أسماء Offizinell وقد أصبح فيما بعد أساساً لعمل أجيال وأجيال من الصيادلة مع كتاب آخر وضعه عالم آخر من سالرنو بعنوان Circa Instans .

هذا وقد وصف « روجر السالرنى » (٢) الأعشاب البحرية عام ١١٨٠ م لعلاج تضخم الغدة الدرقية — وهي تحتوي على مادة اليود كما هو معروف في الطب الحديث — وقد استنبط هذا العلاج من دراسته للطب العربي حيث درس الطب في مدرسة سالرنو وتلمذ فيها على كتب العرب الطبية . ووصف السالرنى كذلك مركبات الذهب — متأثراً بالطب العربي كذلك — لعلاج آلام المفاصل . وما زال بعض الأطباء في الطب الحديث يستعملون مركبات الذهب لعلاج أمراض المفاصل الرثوية (الروماتيزمية) .

لقد كان الترياق من أكثر العقاقير استعمالاً في القرون الوسطى ، في سالرنو وغيرها من كليات الطب في ديار الغرب ، والترياق Theriacum (٣)

(١) راجع كتاب شمس العرب تسطع على الغرب لزبرد هونكه صفحة ٣٢٢ .

(٢) راجع كتاب قمة الحضارة العربية (لؤلؤ ديورات) الجزء السادس من المجلد الرابع صفحة ١٩٠ .

(٣) راجع المصدر السابق صفحة ١٩٠ .

هو مزيج غريب من نحو سبع وخمسين مادة أشهرها لحم الأفاعي ، استعماله كواق وشاف من السموم . والترياق اختراع عربي أدخلوه في علم الأقرباذين وانتشر في اوروبا ردهاً طويلاً من الزمن .

وهكذا نرى أن رأس الجسر الذي انتقل بالطب وصناعة الصيدلة من العصور الوسطى إلى العصر الحديث كان من صنع العرب في القرنين الثامن والتاسع للميلاد . وقد احتلت أسماء علماء العرب مكاناً سامياً في جامعات الغرب حتى لجأ بعض أطباء إيطاليا إلى نسبة كتبهم إلى أعلام الطب العربي لرفع شأن تلك الكتب والباسها ثوب الواجهة العلمية ؛ فقد نسب أحدهم كتاباً وضعه في علم الأقرباذين إلى عربي زعم أنه كان تلميذاً لابن سينا في بغداد وسماه ماسويه الصغير Massawih وفي اللاتينية Grabadin Museues (١) .

كلمات عربية في الطب والصيدلة دخلت لغات الغرب

من القضايا المسلم بها أن الغرب اقتبس الكثير من الكلمات العربية في شتى أنواع المعرفة ومنها ما هو في الطب والصيدلة والكيمياء ، وقد دخلت الكلمات العربية في اللغات الأوربية من مسالك مختلفة أهمها مدرسة سالرنو — في الطب وفروعه — ؛ ولما كان بحثنا يطول إذا ما أحصينا جميع الكلمات العربية الداخلة في لغات الغرب اكتفيت بذكر القليل للاستشهاد وليس للحصر ، والكلمات التي اتخذتها وانتقيتها هي من الانكليزية فحسب وهي :

(١) راجع شمس العرب لهونكه صفحة ٢٢٢ .

أصلها في العربية (زعفران)				Saffron
(شراب)	/	/	/	Syrup
(ليمون)	/	/	/	Lemon
(بورق)	/	/	/	Borax
(الأنيق)	/	/	/	Alahtic
(السمسم)	/	/	/	Seasame
(كبابة)	/	/	/	Cubebs
(راوند)	/	/	/	Rhubarbe
(حنظل)	/	/	/	Alhandal
(سكر)	/	/	/	Sugar
(قهوة)	/	/	/	Coffe
(سنامكي)	/	/	/	Senna
(سيسبان)	/	/	/	Sesban
(فطرون)	/	/	/	Natron
(كمون)	/	/	/	Cummin
(لبلاب)	/	/	/	Lablab

الخ .

يتبع: (الموصل) الدكتور فيصل دبدوب



التعريف والنقد

من كنوز السنة : رسائل أربع

- ١ — كتاب الإيمان للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة (١٥٩ — ٢٣٥)
 - ٢ — كتاب الإيمان للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام (١٥٩ — ٢٣٤)
 - ٣ — كتاب العلم للحافظ أبي خيثمة زهير بن حرب (١٦٠ — ٢٣٤)
 - ٤ — كتاب اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (٣٩٢ — ٤٦٣)
- حقق الرسائل الأربع (١) ، وخرج أحاديثها وعلق عليها
الأستاذ المحقق محمد ناصر الدين الألباني

هذه الرسائل تغذي العقول بلبان التوحيد الخالص ، وتشرب النفوس حب الإيمان الصادق ، وتطهر القلوب من كل ما يخالطها من أدوان الشوائب ، فتصح العقائد ، وتركو الأخلاق ، وتتوحد المبادي والذانيات . يذكر هؤلاء الأئمة مسائل الإيمان ما للعلم واقتضاءه للعمل ، بأسانيد المرفوعة إلى النبي ﷺ ، والموقوفة على الصحابي ، والمرسلة للتابعين ، والمنقطة السند ، ويمزق المؤلفون والمعلق ناصر الدين الأقوال إلى أهلها 'موضحين أن' القصد من العلم ، وإن قل ، هو العمل بمقتضاه ، ثم يبين دليل القول وتعليقه ، مع الإشارة إلى ترجيح الراجح ، وتضميف غيره ، وفي أول كل رسالة ترجمة موجزة لمؤلفها ، وفيها تخريج أحاديثها ، والأستاذ الألباني هو محققها

(١) هي موجودة في خزانة دار الكتب الظاهرية بدمشق .

ومصححها ، ومورد أدلة أحكامها على كثرتها واختلافها ، وقد بذل في هذه السبيل جهداً عظيماً . وإغنا يقدره قدره من غاص في بحر السنة نظراً واستدلالاً ، وأمن في كتبها بحثاً واستقراءً . ومن مزايا هذه الرسائل — علاوة على تحقيقها وتصحيحها على أصولها — أنها تسند كل حديث وأثر إلى أصله المنقول عنه ، وتتبعه بما عليه من الكلام من تصحيح وتحسين ، أو تضعيف وتوهين ، وضبط ما أشكل من أسماء الرجال ، أخذاً من شروح الحديث ، وغريب جامع الأصول ، وجمع الزوائد ، ومختصر نهاية ابن الأثير ، وغيرها من أمهات المراجع ، وكتب اللغة ، ويشير المحدث ناصر الدين إلى أجزاء المراجع المطبوعة وصفحاتها ، ليكون المطالع على علم بها ويرجع إليها إذا شاء .

هذا وإن من مشكلات الأحاديث ما كان منها معلولاً بعلة خفية ، أو شاذساً من رواية ثقة أو غير ثقة ، وقد قال الحافظ ابن كثير : علة الحديث سبب غامض خفي قادح في الحديث ، مع أن الظاهر السلامة منه ، والعلة قد تكون بالإرسال في الموصول ، أو الوقف في المرفوع ، أو بدخول حديث في حديث ، أو وهم وهم ، أو غير ذلك مما يتبين للعارف بهذا الشأن ، من جمع الطرق ومقارنتها ، ومن طرائق تنضم إلى ذلك اهـ .

ومن الفوائد المهمة مما جاء في الكتاب الأول لابن أبي شبة من حديث الجارية التي كانت ترعى غنماً لمعاوية بن الحكم السلمي ، وإذا ذُئِبَ قد ذهب بشاة من غنمها ، فلطمها على وجهها ، فأتيت الرسول (ﷺ) فعضم ذلك علي ، فقلت يا رسول الله ألا أعتقها ، قال : اتني بها ، فقال لها : أين الله ؟ قالت في السماء ، قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال : فأعتقها فإنها مؤمنة .

قال الأستاذ المحدث الشيخ محمد ناصر الدين ، إسناده صحيح على شرط الشيخين ، وقد أخرجه مسلم من طريق المصنف وغيره ، وأخرجه أحمد (٤٤٧/٥ و ٤٤٨) بإسناده ، ومن طرق أخرى (قال) : والأحاديث الدالة على علوه تبارك وتعالى على خلقه أكثر من أن تحصر ، وفي ذلك ألف الذهبي كتابه « العلو للعلي » الفقار ، وهو مطبوع ، ومن قبله الشيخ ابن قدامة ، وكتابه مخطوط . ثم إن جواب الجارية مستفاد من مثل قوله تعالى : « أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض » ؟ الآية .

ويقول الضعيف كاتب هذه السطور : قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سألت أبي وأبا زرعة رحمهما الله تعالى عن مذهب أهل السنة في أصول الدين ، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار ، حجازاً وعراقاً ومصر وشاماً ويمناً ، فكان من مذهبهم أن الله تبارك وتعالى على عرشه ، بائن من خلقه ، بلا كيف ، أحاط بكل شيء علماً ، وقد قدمنا في (كتاب حياة شيخ الإسلام ابن تيمية) بعض العبارات الصريحة لأولئك الأئمة الأعلام في إثبات صفة العلو المطلق (لا النسبي) لله تعالى على خلقه ، وأنه عال على عرشه ، ومستغن عنه كاستغنائه عن سائر المخلوقات ، وحسبنا في ذلك قصة المعراج وهي متواترة ، وفيها تجاوز النبي ﷺ السموات سماء سماء ، حتى انتهى إلى ربه تعالى ، فقرّبه وأدناه وفرض عليه وعلى أمته الصلاة .

وفي مقدمة الألباني للكتاب ، أن الأستاذ السلفي الشهير الشيخ محمد نصيف هو الذي اقترح عليه أن ينتخب رسائل نافعة للطبع والنشر ، فاختار هذه الرسائل الأربع ، وصورها بطلب منه ، وقدمها إلى فضيلته ، فأعجبه ، ورأى أن يطبعها بدمشق مع التعليق عليها ، قال المحقق : فاستجبت لرغبته ، وشرعت في إعداد الرسائل الأربع للطبع ، فاستنسختها وقابلتها

بالأصول ، وعلقت فيها تعليقات مختصرة مفيدة ، وأضفت إلى ذلك بيان حال بعض أحاديثها المرفوعة صحة أو ضعفاً ، وكذلك بينات حال بعض الآثار الموقوفة إذا كان لها أهمية خاصة في نظري .

بلغ الكتاب أكثر من (٢٥٠) صفحة ، وقد قرأته بالحرف ، واستفدت منه كثيراً ، ووضعت له جدولاً للخطأ والصواب ، سائلاً منه سبحانه أن يولي المؤلفين والمحقق والناشر والمدقق أجزل الثواب ، إنه هو الكريم الوهاب :

(١) كتاب الإيمان لأبي بكر بن أبي شيبة

الصواب	الخطأ	السطر	الصحيفة
مما لا يجوز	مما يجوز		— ه —
مضى	مضي	١٨	٤٢
ابن (رأس سطر)	بن	١٦ و ٢١	١٠٩ و ٤٣
يزعمون أن	يزعمون إن	٩	٤٦
واسمه	وإسمه	١٤	٤٦

(٢) كتاب الإيمان للقاسم بن سلام

اسم	لا يلزمه اسم	١٢	٥٤
حديثي عهد	كانوا حديث عهد	١٥	٥٤
فزادتهم ،	فزادهم إيماناً	١	٥٨
عندما نص	عندما ما نص	٨	٦٦
الاستكمال	الاستكمال	٤	٧٠
لي عملي ،	لي عمل	٨	٧٧
كإيمان	كأيمان	١٣	٨٠
الشياني	السياني	٤	٨١

الصواب	الخطأ	السطر	الصحيفة
والبراءة	والبراءة	٤	٨٢
والقدريّة	والقدريّة	١٦	٨٢
والبراءة	والبراءة	٤	٨٤
عنهم أجمعين	رضي الله أجمعين	١٦	٨٦
واسم	واسم	١٤	٩٠
« أولئك هم الوارثون »	أولئك الوارثون	٢	٩٠
أبو يعلى	أبو يعلى	٤/٢١٤ و ١٧	٩٥
(١٢٢)	(١٢)	٩	١٠١

(٣) كتاب العلم للحافظ النسائي

حصي	حصي	٣	١١٢
ققهم	ققهم	٥	١١٧
اكتفي	اكتفي	٢	١١٩
وبحسبه	وبحسبه	٣	١٢٠
في اسمه	في اسمه	١٩	١٢٢
إسناده	(السطر الأخير) إسنادة		١٢٣
جويرية	جويرية	٢١	١٢٨
اتميننا	إذا إتمينا	١٠	١٣٣
لا يألوا	لا يألوا	١١	١٣٩
وسكون	وسلون	٢٠	١٤٤
أوائل	(السطر الأخير) : أوئل		١٤٦

(٤) اقتضاء العلم العمل لأبي بكر الخطيب البغدادي

الصواب	الخطأ	السطر	الصحيفة
ولكن اجمع	ولكن أجمع	١٠	١٥٨
والرضى	والرضي	٦	١٥٩
الخرّاز	لخرّاز	١٤	١٦٠
اعملوا	إعملوا	٥	١٦٤
أبو اللرداء	أبو اللرداء	٨	١٦٧
« فَمَنْ يَعْمَلْ »	مَنْ يَعْمَلْ	٤	١٦٨
انظروا	ولكن أنظروا	١٢	١٧٦
(٢٧)	(٢٦)	١٣	١٩٢
ست	سنة ستة	آخر السطر	١٩٧
آتاه	آتاه الله	١	١٩٨
(٣١)	(٣٠)	١	١٩٨
(٣٢)	(٣)	١١	١٩٨
(مكررة)	(صلى الله)	٧	٢٠٠
(٣٣)	(٣٢)	١٠	٢٠٠
(قيل)	قل	٩	٢٠١
(٣٤)	(٣٣)	٢٢	٢٠١
(٣٥)	(٣٤)	١٢	٢٠٢
(٣٦)	(٥٣)	١٦	٢٠٣
شغل	شغلا	٤	٢٠٦
فاغتموا	فاغتمو	٢١٥	٢١٥

الصواب	الخطأ	السطر	الصحيحة
علي	على	١٥	٢١٥
بفته° (بالهاء (٤) أبيات)	بفته	١٦	٢١١
لإبليس	لا يلبس	١٧	٢٣٠
فإنه	فابه	٥	٢٣١
من كلام	من كلاب	٧	٢٣١
ضعف الخ	ضعفه الحديث	١٥	٢٣١
« إماما »	إما	١١	٢٣٢
« من الدنيا »	نصيك الدنيا	١٦	٢٣٥
(فليس)	مَن غشنا ليس منا	٣	٢٣٨
(يفقهه)	يفقه	٥	٢٣٨
نافع	تافع	١٢	٢٤٠
بالطاغوت	بالطاغوث	١٣	٢٤٠
زنا	زنا	٤	٢٤٢
يعطي	يعطى	٣	٢٤٣
يفقهه	تفقه	١١	٢٤٧
السباب	الشاء	١٦	٢٤٨

هذه آخر صفحة من الكتاب وبها تم جدول الخطأ والصواب ، وله تعالى الحمد والشكر .



مع صيدح في كتابه عن أدب المهجر :

أدب مهجري أم أدب عربي في المهجر ؟

معني مؤرخو أدبنا المعاصر بالأدب المهجري عنايتهم بالأدب العربي في مختلف عصوره ، وربما كانت الدراسات التي ظهرت عن أدب المهجر أوفى وأغزر ، لا شيء إلا لأنه كما يرى بعضهم ، ظاهرة جديدة في أدبنا سواء في محتواه أو في مضمونه .

وعلى كثرة الدراسات المنهجية ، المتزنة منها والمهلهلة ، فقد ظلَّ مصدرًا ثرا لمن يريد أن يتناوله بالدرس والبحث ، ورد منازعه وأهدافه إلى العوامل التي أثارت الأدباء والشعراء إلى هذا اللون من الأدب .

ولعل أوفى دراسة ظهرت في هذا المجال الدراسة التي كتبها الأستاذ جورج صيدح في كتابه « أدبنا وأدباؤنا في المهجر الأمريكية » . فقد تناول الموضوع من مختلف أصوله وفروعه . فظهرت في هذه الدراسة موهبة الباحث ، ونزعة الشاعر ، وروح الأديب ، ورصانة المؤرخ التزيه ، يضاف إلى كل ذلك معرفته الخاصة بالكثيرين الذين أرخ لهم .

ففي الفترات التي قضاها في المهجر استطاع أن يعيشهم ويسامرهم ويستمع إليهم ويتقارض معهم الثناء والهجاء - أريد الهجاء الإخواني إن صح التعبير - فعرف الكثير من خصائصهم ونزعاتهم ومحاسنهم ومبائدهم ، وهذا الذي كونه عنده فكرة صادقة عن مراحل حياتهم الفكرية والذاتية ، فكذب آراءه بكثير من الصدق والواقعية ، وأعطانا الكثير من الصبور التي كنا نجهلها حتى عن المهالقة منهم .

وهكذا ، فقدم للقارىء العربي ، بهذا الأثر النفيس ، لوحات واضحة الإشراف عن أدب المهجر الذي اختلفت الآراء حوله بين محبذ وناقد ، وبين منصف ومتهجم ، فعرض الأستاذ صيدح شتى الآراء المتباينة ، ودافع بحرارة دون أن تشبه حرارة الدفاع عن النقد العف - فقد ذاتي هو إلى التجرد والإنصاف أقرب ، وبذلك رسم الرأي المتزن والفكرة الملتزمة التي لا يعتورها الخلل والاضطراب .

والطريقة التي اتبعها في تأريخ سير أدباء المهجر ذاتية وموضوعية في آن واحد ، اعتمد على الإنتاج من حيث قيمته الفنية ، ثم على الحياة الشخصية والعوامل التي ألهمتهم هذا الأدب ، وكان واسع الإلمام بكل ما خطته يراعته ، متبعاً مراحل حياتهم مرحلة مرحلة ، إلى أن كوّن عنهم ، كما قلت ، الفكرة الصحيحة ، وإذا هو يعكس صوراً واضحة على ضوء فن التراجم ، يكفي أن يقرأ القارئ هذه الصفحات القليلة عن الريحاني أو جبران ، عن الشاعر القروي أو فرحات ، وغيرهم من المشهورين وغير المشهورين ، ليعرف كل ما تنطوي عليه أحاسيسهم وصفوة آرائهم ، نزواتهم وهواجسهم ، ما ظهر منها وما بطن ، ومقام كل واحد في عالم الفكر والأدب ، ومدى تجاوبهم مع مجتمعاتهم ، ومع التيارات القومية والإنسانية ، وهذا منتهى ما يتطلب من الباحث الذي يعرض إلى التاريخ الأدبي وتاريخ السير الذاتية بصورة خاصة .

والكتاب في تسعة عشر فصلاً تضمن دراسات عن هجرة الأدباء وبواعثها وأدق المراحل في حياة المهاجرين ، والأدب المهجري وخصائصه ورسالته القومية والاجتماعية والإنسانية ، وسر تفوقه ومناحيه ، وعرض لآراء الناقدين ، ثم صور قلمية واضحة الملامح للأدباء والشعراء ، فجاء الكتاب بحق موسوعة كاملة عن أدب المهجر الذي أخذت أضواء نجومه - وأأسفاه - بالانطفاء وشمس كواكبه بالغياب .

- ٢ -

بعد هذه التوطئة عن ملامح الكتاب تقف وقفة قصيرة عند فصل من فصوله نتبين خصائص هذا الأدب وسر تفوقه .

وقد أوضح الأستاذ صيدح هذه الخصائص بقوله : « إن الأدب المهجري يتميز بالزعة التجديدية الطامحة إلى الكمال ، وهي بارزة في قلبه ، وفي مضمونه ، ففي القلب يتميز بالتححر التام من قيود القديم مع استبقاء ما لان للصياغة الحديثة وما طاول منها نزعة التجديد .

ثم يوضح هذا الرأي بقوله « انهم قد انتقلوا من الاتباع إلى الإبداع ، ومن عبودية التقليد إلى الاستقلال بالشخصية الأدبية ، لا جمود في القوالب الجاهزة ، ولا ميوعة من المسارب المستحدثة ، انعتق النثر من المدلولات الثابتة والرواسب المنحطة ، وانطلق الشعر إلى أصوات متعددة وأوزان قصيرة مجزوءة ، وموشحات تتبارى بالفن مع ما خلفته لنا الأندلس » .

وأما في المضمون فأوضح أنه ذو منازع مختلفة ، فالشعر العاطفي مثلاً يتميز برقة ما بعدها رقة ، يتجلى ذلك في الشوق والحنين إلى الوطن البعيد ، في نفحات مؤثرة لم تعرف لغة الضاد أوقع منها جرساً ولا أرهف حساً ، كما يتميز شعرهم الصوفي والتأملي بحب الجمال المثالي نتيجة تأملهم الطويل في الذات وفي ما حولهم من الكائنات شأن الفلاسفة الروحيين ؛ وشعرهم الأخلاقي صورة من أدب التوجيه نحو ممارسة الفضائل واجتناب الرذائل ؛ أما القومي فهو أدب الوطنية الصحيحة التي ركزت على وحدة اللغة ووحدة التاريخ ووحدة الهدف .

م (١٠)

وحيث يتحدث عن الطابع الإنساني في أدبهم يراه أدباً يشع بروحانية الشرق ، متطلماً بروحه إلى المثل العليا في الحياة ، متعاوناً مع قوى الخير لخلق عالم أفضل شأن الأدباء العالميين .

وقد سرد نماذج من أقوال الشعراء والأدباء في كل ظاهرة من هذه الظواهر لينتهي إلى القول بأن أدباء المهجر كتبوا شعرهم وثرهم بهذه الخصائص البارزة ليعرضوه على محكمة التاريخ .

أي أنه ترك للنقاد أن يعالجوا هذا الرأي الذي طرحه والذي ألمع إليه للماعاً ، لأن النماذج التي عرضها من أدبهم الفلسفي والصوفي والتأملي والقومي لا تروي غليل القارئ ، وقد كنا نود أن تكون أوسع وأبلغ وأعمق لتعطي صوراً أوضح .

— ٣ —

لي رأي بالأدب المهجري يندمج بالسؤال التالي ؟

إذا استثنينا قصائد الشوق والحنين ، وهذه ظاهرة لا يستطيع الشاعر أن يتخلى عنها ، ونظرنا نظرة مجردة إلى ما أبتجوه في مختلف النواحي القومية والوجدية والتأملية ، هل نجد فوارق ظاهرة في المضمون والمحتوى بين شعرهم والشعر الذي هجس به شعراء لبنان بعد الحرب العالمية الكبرى ، أو بينه وبين ما نظمه شعراء الأقطار العربية ؟

ففي المجال القومي هل تختلف قصائد الشاعر القروي عن قصائد الكثيرين من فحول شعرائنا المعاصرين ؟

ولو ظل الشاعر القروي في الوطن يعيش مع أحداثه أكان شعره أقل صياغة وأقل شاعرية ووقدة حماس عن شعره في المهجر ؟

وما تقوله عن الشاعر القروي تقوله عن فرحات وأبي ماضي وشفيق المملوف وغيرهم وغيرهم .. فلو ظلوا في لبنان أكان مستوى شعرهم في التأمّلات والوجدانيات أقل من مستوى شعرهم وهم في المهجر ؟

فحين نقرأ الأدب المهجري لا نجد فيه هذه الانطلاقة التي تنأى به عن الانطلاقة التي حاولها الأدباء المجددون خلال الحرين العالميتين ..

وإذا استثنينا حرارة الوجد ، وجذوة الشوق نحو الأهل والوطن -- إذا استثنينا هذه الظاهرة كما قلت -- لا نجد أي فرق بين شاعر مهجري وشاعر لبناني في الصياغة والأسلوب ، وفي التعبير عن دقات الشعور في شتى المجالات والميادين .

فهذا الذي نسميه أدباً مهجرياً هو أدب « لبناني الطابع » أكثر من أن نعتبره أدباً مهجرياً .

والأستاذ صيدح يمطينا في كتابه أكثر من دليل على صحة ما أذهب إليه ، فحين أشار إلى الكتب التي ألفها أمين الريحاني في المهجر ذكر عدة كتب ألفها في فجر شبابه وهي « تاريخ الثورة الفرنسية » و « المحالفة الثلاثية » و « المكاري والكاهن » و « زنبقة النور » و « خارج الحرم » وقسم من الريحانيات ...

وقد وقف إنتاجه المهجري عند هذا الحد ، وإن كل ما كتبه بعد ذلك سواء باللغة الانكليزية أو العربية فهو خارج المهجر ، وقد بلغ عدد كتبه الانكليزية أحد عشر كتاباً أولها لزوميات المعري ، وعدد الكتب التي أصدرها في أثناء إقامته في الوطن أربعة وعشرين كتاباً ، ثم قال :

« إذا قابلنا هذا الإنتاج الضخم بالكتب التي بميناها ، وجدنا أن نصيب المهجر من أدبه كان ضئيلاً لا يجوز لنا اعتباره أدباً مهجرياً .. »

وميتخايل نعيمة ما نصيب المهجر من أدبه ؟

يقول الأستاذ صيدح :

« لكي نحدد حصة المهجر من أدب نعيمة زجع إلى مادة الكتب التي طبعها في مصر وبيروت وإلى تاريخ صدورها ، فنؤكد أنه بعد أن أصدر في نيويورك مسرحية « الآباء والبنون ١٩١٨ » ، وكتاب « الغربال ١٩٢٢ » ، حمل إلى الوطن مخطوطات عديدة منها « همس الجنون » و « كان ما كان » ، و « المراحل » و « مذكرات الأرقش » ، أما الكتب « زاد المعاد » ، « البيادر » ، « لقاء » ، « الأوثان » ، « جبران خليل جبران » ، « في مهب الريح » ، « صوت العالم » ، « النور والديجور » ، « مرداد » ، « دروب » ، « أكابر » ، فلا يدعيها المهجر .

نخرج من هذا الاستطراد إلى أن إطلاق « الأدب المهجري » على الأدب الذي أنتجوه في قترات من سني غربتهم ، غير صحيح ، وهو يمت بأصوله وقروعه . بضمونه ومحتواه ، إلى الوطن العربي بصورة عامة ، وإلى لبنان بصورة خاصة .

وكان في وسعنا أن نعتبره أدباً مهجرياً بحق لو أن الجيل الثالث الذي ولد في المهجر ونشأ على حب العربية ، وأخذت جذوة الحنين تغلج في صدره للتعبير عن هواجسه وأمنيائه بآراء وصور عاشت تحت سماء المهجر وتفاعلت مع شتى تياراتها المختلفة - لو أعطانا الجيل الثالث أدباً عربي الصياغة ، مهجري الطابع ، يصور هذا القلق الذي يربط بين وطن أجداده والوطن الذي ربطت الأقدار حياته ومستقبله بكل ظاهرة من ظواهره ، قلنا هذا أدب مهجري بحق .

أما أن يهاجر الكثيرون وهم أدباء وشعراء ، وبعضهم قصائد وموشحات ، وقيموا شطراً من عمرهم ثم يعودوا إلى الوطن فيتوالى إنتاجهم ، ولا نجد

ثمة فرقاً ظاهراً بين شعرهم في المهجر وشعرهم في أرض الوطن - أما أن نطلق على أبيهم هذا « أدباً مهجرياً » فهو تخريج غير صحيح ..

نخصائص الأدب المهجري الذي أشار إليها الأستاذ صيدح سواء في ميداني النثر أو الشعر نجد ما يماثلها عند شعراء مصر وسورية ولبنان والعراق ، ولم تعرف العربية في أدبنا المعاصر ، شاعراً اتخذ طريقة خاصة التزم بها . ولناخذ أي ديوان من دواوين المعاصرين نجد فيه الشعر العاطفي والوصفي والقومي والتأملي سواء في ذلك شعراء الأقطار العربية أو الشعراء الذين اعتبرناهم مهجريين .

يختلفون في الصياغة بعض الاختلاف ويتفقون في المنهج ، فليست السنوات التي أمضاها ميخائيل نعيمة في المهجر هي التي جعلت منه هذا الأديب المرموق في عالم الأدب ، وللشخروب ، ولجبل صنين ، وللجوف العربي الذي عاش في ظلاله ، ولتجاوبه مع أحداث وتيارات الفكر العالمي - لجميع ذلك أثره غير المنكور في صقل مواهبه وتفتح ذهنه .

ورحلاته الرحباني في الشرق والغرب ، وإنتاجه الفكري في شتى المجالات من أدب إلى تاريخ إلى شعر إلى نقد إلى فلسفة هي نتاج الجو العربي الذي عاش في صميمه ، لا سماء نيويورك التي ضاق بجوها الخانق ، وشعر كأنه بلبل حبس في قفص ضيق ، وما تقوله عن هذين العملاقين - وللموهبة أساس في إبداعها - تقوله عن الكثيرين ممن أرخ الأستاذ صيدح سيرتهم . اتني في كلمتي هذه لا أستطيع أن أغير المدلول الصارخ الذي طبع به أدب هذه الزمرة التي هاجرت في سبيل العيش الكريم فكأخت كفاح الأبطال وظلت رغم مرارة الحياة وقساوتها محتفظة في صدرها بهذه الجدوة تشع أدياً أصبح رمزاً لهجرتهم - أقول لا أستطيع أن أغير من مدلوله إلى

اسم آخر ، ولكني أميل إلى القول أنه أدب سوري لبناني الطابع عاش في المهجر فحافظ على روحه وأصالته وشتى ألوانه .

وها هو ذا أديب مهجري كبير يلتقي معي في هذا الاتجاه — فيوضح هذه الفكرة أبلغ توضيح .

يقول الأستاذ جورج حسون معلوف ، وهو من أعلام الأدب العربي ومن أركان المعصبة الأندلسية :

« وإذا قلت الأدب العربي في المهجر فاني أعني الأدب عينه في البلاد الناطقة بالعربية ، فهناك أرومته وجرثومته ، وفي المهاجر بعض أغصانه وأثماره ، وما أدباء المهجر إلا شطر من أدباء البلاد العربية » .

وقال :

« وقد لفظت الجرائد آخرأً بنهضة مزعومة في المهجر ، وتفاءل البعض بها ، فقالوا إن فيها بعثاً لعصر الأندلس وعوداً إلى أيام غرناطة ، مع أنه لا نهضة أدبية في المهجر ، وما أدباء المهجر وشعراؤه كما قلت وكما يدعون إلا بعض أدباء العربية وشعرائها ، ولا يصح والحالة هذه تسميتهم أدباء المهجر ، والصحيح تسميتهم الأدباء المهاجرين .

كما لا يصح تسمية الشعراء من القافلة الأولى بشعراء الأندلس ، فإن شعراءها الحقيقيين هم أولئك الذين ولدوا فيها ، وفيها تلقنوا الأدب ، ونظموا الشعر ، وتفننوا في أساليبه ، وتصرفوا في بحوره .

وسيقى الأدب في المهجر قسماً مكملاً للأدب في البلاد العربية وصورة له في المرآة ، يرتقي ذاك إذا ارتقى هذا ، وينحط هذا فيحط معه ذاك ، لأن مواليد الناطقين بالعربية في المهجر ما قام قط ولن يقوم منهم أديب عربي. لأن العجمة تغلب عليهم ، وإذا قدرنا فيهم الشاعرية العربية وقد تسربت إليهم

بالإرث، فإنها تتجسم بلغات الأغيار، وكم يبتنا من أديب لامع يلتهب غيرة على العربية وبنها ولكنه يكتب بلغة البلاد التي ولد فيها من بلدان المهجر، (١). وهو رأي له قيمته ودلالته، نعم، وقد يصح أن يسمى هذا الأدب أدباً مهجرياً لو أنه نتاج الجيل الثالث - كما قلت -، أما وانه نتاج أدباء وشعراء هاجروا في سبيل العيش الكريم وظلوا مرتبطين بالوطن الأم وبجواء الحياة العربية في شتى تفاعلاتها وتياراتها وهم في الأصل أدباء وشعراء فلا نستطيع أن نعتبره «أدباً مهجرياً»، والتسمية الصحيحة له هو «أدب عربي في المهجر».

وما أظن الأستاذ صيدح يجانف هذا الرأي وهو الذي أعطى العالم العربي صورة صادقة عن هذا الأدب، فكان بحق المؤرخ الأمين لجميع قراته ولجميع رجالاته من أدباء وشعراء ومفكرين - من المباشرة الأفذاذ إلى الموهوبين المنمورين -.

سامي الكيلالي



(١) مقدمة الأستاذ مملوف لديوان الربيع وهو الجزء الأول من ديوان فرحت،
صان باولو سنة ١٩٣٢، ص ٣٩.

العراق في الشعر العربي والمهجري

تأليف الدكتور محسن جمال الدين

كلية الآداب — جامعة بغداد

كتاب من القطع للتوسط عدد صفحاته (٤٩٤)

طبع في مطبعة الإرشاد — بغداد

أهدى المؤلف هذا الكتاب إلى مجلة المجمع وهو كتاب قال مؤلفه في مقدمته انه ألفه ليبين « شعور إخواننا العرب نحونا ، أي نحو العراق ، مقتصرأً بذلك على العصر الحديث ومختاراً النماذج من شعر البارزين منهم ، والذين اهتموا كثيراً بهذه الناحية ، على أنني لم أبخس الآخرين قدرهم وشعورهم الذي قد عبروا عنه ثراً ، وخطابةً ، ومقالةً ، وكتاباً .

وأهدى المؤلف كتابه إلى « الوطن الذي رباني صغيراً ، واحتضني كبيراً ، العراق الأبي » كما أثبت في صفحة أخرى بعد صفحة الإهداء ، أبياتاً لشاعر متقدم هو « ابن العلم الواسطي » .

لكن الكتاب كما رأيناه يمكن أن يعتبر شكلاً من أشكال المعاجم التي تتناول الشخصيات الأدبية ، ولو أن هذا الكتاب لم يلتزم في وضعه الترتيب الأبجدي ؛ وقد بدأه بالشاعر اللبناني حليم دموس وأنهاء بشاعر من الخليج العربي هو عبد الرحمن بن قاسم المعاودة ؛ ولا نعلم على وجه التحديد الطريقة التي لجأ إليها المؤلف في ترتيب هذه الشخصيات الشعرية ؛ فان الترتيب مفقود فيها ، وحيداً لم يحمل شعراء كل بلد على حدة ليسهل على

القارىء* مراجعة ما يريد العودة إليه من أبحاث في هذا الكتاب ، فبدوي الجبل السوري وضع إلى جانب محمد محمود الزيري اليمني ، وعمر أبوريشة السوري أيضاً جاء ترتيبه إلى جانب شاعر جزائري هو صالح الخرفي .

وهو يقسم الشعراء الذين نظموا شعرهم في موضوعات عراقية قسمه متناسبة مع الروابط التي ربطتهم بالعراق ودفعتهم إلى القول فيه ، فمنهم - على حد قول المؤلف - من صاهر العراق وسكنه زمناً ، ومنهم من أحبه ولا زال حبه يسري في دمائه ، ومنهم من وصفه يوم أن كانت له مصلحة مادية معه وغرض في نفسه ونظم ما نظم به دافع تلك المصلحة وحصوله على ذلك الغرض ، وما إثبات شعره ، إلا كتذكير له على ما أسداه العراق له من نعم وفضل واحتضان وضمآن في أيام شدته وزمن حاجته . ونحن لا نوافق المؤلف على البحث في كتاب أدبي ، له صفة ثقافية عامة ، في أمور خاصة تتعلق بأشخاص قد يجدون غضاظة في تذكيرهم بما أسداه العراق إليهم ، فالعراق قطر شقيق كريم لا يمين ولا يذكر ، والأقطار العربية أشقاء يحن كل منهم إلى أبناء البلد الشقيق الآخر حين الحاجة ، وما من قطر عربي إلا وقد شارك في هذا الحنان الأخوي ، والوفاء العربي ، فالن* في هذا الباب غير وارد ، والتذكير به أمر لا يتعلق بالبحث الأدبي ، والغاية الطيبة التي رمى إليها الكتاب .

وما لفت نظرنا أيضاً أن الصورة المثبتة في الكتاب غير مطابقة لصاحب الصورة ، ولا تشبه من قريب أو بعيد ، وقد ينكر القارىء* أصحاب الصور الذين يعرفهم حين يرى صورهم ، وكنا نفضل لو كانت هذه الصور فوتوغرافية لتكون أقرب إلى الحقيقة بكثير .

أما الأغلاط المطبعية فكثيرة مبثوثة في الكتاب نذكر بعضها على سبيل المثال ، فقد قرأت في الصفحتين ٣٢٦ ، ٣٢٧ وحدهما آياتاً خمسة لبدوي الجبل وجدت فيها غلطتين ، في البيت الثاني ، وفي البيت الثالث . وفي الصفحة (٤٠٤) خطيئة لغوية أيضاً وقعت في عنوان البحث عن الشاعر القروي في قول المؤلف « سوت العروبة الداوي » ولا توجد من هذه الصيغة إلا « صيغة ال «مدوئي» لأن الفعل رباعي الأصل ، والداوي معناه الكثير وهو غير ما قصد إليه المؤلف .

هذه ملاحظات عشت لنا لدى قراءة الكتاب ، وهي لا تمنع من القول بأنه ذو فائدة لا تنكر فقد عرفنا بكثير من الشعراء الذين لم نسمع بهم إلا قليلاً ولم تقف على آثارهم لحداثة عهدهم بالاتصال بالبلاد العربية الأخرى بسبب ظروف مختلفة ، وفي ذلك خدمة أدبية وعربية مشكورة للمؤلف .

أحمد الجندى



آراء وأبناء

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عالم الجزائر

نعت إلينا الأبناء في ٢٤ أيار ١٩٦٥ العالم الكبير ، والكاتب الأديب الشهير ، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، رئيس جمعية العلماء في الجزائر ، وأحد أعضاء مجتمعنا العلمي العربي ، تنمده المولى برحمته ورضوانه ، وقد كان لنبيه بدمشق رنة أسف وحزن شديدين عند عارفي فضله وأدبه ، إذ كان قضى مدة دعي فيها إلى تدريس اللغة والأدب في تجهيز دمشق ، فكان المجلي في دروسه ، وتخرج عليه عدد وافر ، كان لهم أثر ظاهر في مجتمعنا العربي ، ومنهم الدكتور جميل صليبا زميلنا في الجمع العلمي ، وهو أحد المعجبين بأدب الأستاذ الإبراهيمي ، قال الدكتور : إنا كنا في مدرسة تجهيز دمشق جيداً منتبطين بدروس الأستاذ البشير القيمة التي كانت بمذوبة أسلوبها كالماء الزلال ، بل السحر الحلال ، قال : وكان الأستاذ يملئ علينا القصائد الطوال ، لأرقى الشعراء في المصور الذهبية ، ويشرحها شرحاً لنوياً وأدياً وافين ، فكنا إذا رجعنا إلى دواوين الشعر وشروحاتها أخذنا العجب من صحة الرواية للأستاذ ودرايته ، وتحقيقه العلمي والأدبي . وقد انتخبه الجمع العلمي العربي بدمشق عضواً مراسلاً فيه في ١٢ أيلول ١٩٥٤ .

وأقول : كنا نجلس الساعات الطوال ، من ليل أو نهار ، ونحن مقبلون على عالمي تونس والجزائر الشيخ محمد الخضر حسين والشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، وهذان العالمان يثران على مسامعنا من درر المباحث العالية ، والمطالب الغالية ،

ما يعدّ لباب الباب ، في كل علم وباب بله الدلالة على الكتب النفيسة ، والنقل عنها بضبط وإتقان والتعليق عليها ، من دون رجوع اليها ، وكنا نشعر أننا أمام دائرة معارف حوت من كل شيء أحلاه وأغلاه .

تلك الأيام كانت غرّةً محجلة في ديار الشام ، ثم طلعت علينا البصائر ، من عاصمة الجزائر ، فأسمعت العالمين الشرقي والغربي صوتها العالي المرفوع ، ففي أرض الجزائر غرست شجرة الإصلاح الديني والمدني بيد جمعية العلماء الأجلاء ، فأزهرت وأينعت ، ومن سمائها سطعت شمسها فأضاءت وعمّت ، ومن بين جوانبها سمعت صيحة الحق ، فأيقظت الراقدة ، وحركت الجامد ، وزلزلت أقدام المستبد الطامع ، فوقف حيران لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا .

مضى العصر الذي كان فيه معظم علماء الدين لا يلتفتون لشيء خارج مساجدهم ومعاهدهم ، وجاء اليوم الذي يتولون فيه قيادة الأمة في بلادهم . حسب الجزائريين مجدّاً وفخاراً أن يكون منهم الإمام الأول للنهضة الإصلاحية الجزائرية الشيخ عبد الحميد بن باديس تغمده المولى برضوانه ، والإمام الثاني لهذه النهضة المباركة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي يحق للشام أن تفاخر به كما تفاخر بأبنائها الخالصين ، وأن تشكر له بيض أياديه كما تشكر له الجزائر حسن صنيعه .

أكان للناس عجباً أن يروا جمعية العلماء الأبطال ، يتقدمون صفوف الرجال الأحرار ، مجاهدين في سبيل استرداد الحق المنصوب ، ورفع شأن الوطن المحبوب ؟ إن تعجب فعجب قول بعض المتفرنجين يجب أن يبقى الدين محصوراً في المساجد ، ويعدّ ذلك بعض الجامدين قضية مسلّمة . فإذا دعي إلى المشاركة في عمل إصلاحي — كعمل جمعية العلماء — يجب التعاون فيه ، قال :

من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ! « آم ما أشد قسوة الاستعمار الأوربي على الوطن العربي : هاجمه في الدين فاستضعف طائفة من أبنائه فسخرهم لمحاربته ، وفي الجنس ففرق بين أبناء الدين الواحد باسم الجنس والعنصر وأغرى بعضهم ببعضهم ، وفي اللغة التي وسعت كتاب الله علماً وحكمة — كما قال حافظ إبراهيم — فجعل فريقاً من أبنائها لا يقيم لها وزناً ، ولا يرفع بها رأساً ، وفي العلم فاجتاح أسفاره وملأ بها خزائنه ، وفي الآثار والعاديات فاستخرج منها كنوزه وملأ بها متاحفه ، وفي الوطن فجعله بين دوله نهياً مقسماً . من أجل ذلك كله قام الشرق على اختلاف ملله ونحله ، يثار لنفسه ، ويطالب بحقه ، ولما كان من سنن الله تعالى أن ينصر الحق على الباطل إذا هب أهله لنصره ، رجونا أن تكون كرامة الحق رابحة ، وكفة الباطل خاسرة ، تحقيقاً لقوله عز شأنه « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » رحم الله الفقيد الكبير ، وعوض العرب والمسلمين عنه خيراً ، لا سيما أسرة « البصائر » وجمعية العلماء الأجلاء ، وأفضل ما يقوله الصابرون « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

محمد بهجة البطار



ظهور نسخة ثانية من كتاب الإتياع لأبي الطيب اللغوي في معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية

كنا عثرنا في خزانة آل عابدين بدمشق على مجموعة لغوية مخطوطة تشتمل على كتاب المثني وعلى كتاب الإبدال وكتاب الإتياع ، والكتب الثلاثة للإمام أبي الطيب اللغوي ، وبعد مراجعة فهارس دور الكتب والإحفاء في سؤال المختصين بمعرفة المخطوطات كالأستاذ عبد العزيز الميني والشيخ راغب الطباخ عرفنا أن هذه الكتب فرائد ليس لها في الخزائن قوائم ، ونشرنا في مجلة المجمع العلمي العربي كلمة للعلماء ليجتثوا للمجمع عن نسخ ثانية لنسخ هذه المجموعة المخطوطة لأننا عازمون على نشرها ، ثم مضى على ذلك السؤال سنون كثيرة بدون جواب .

وكان كل ذلك قبل أن توجد جمعية اليونسكو ، وقبل إنشاء معهد المخطوطات وجامعة الدول العربية ، ثم شرعنا سنة ١٩٦٠ في تحقيقها ونشرها المجمع العلمي تباعاً ، ولم ندر يومئذٍ بأن معهد المخطوطات المنقب عن تراث أجدادنا قد حصل على نسخة كاملة من كتاب الإتياع ضمن المجموعة التي صورتها وحدة اليونسكو من الرباط ، وقد حملت الحية العلمية الأستاذ السيد توفيق البكري مدير معهد المخطوطات على إرسال نسخة مصورة من كتاب الإتياع للمجمع العلمي الذي يشكر السيد البكري على أريحيته هذه أطيب الشكر .

ونسختنا المشقية بخط نسخي جميل وصحيحة الإعراب والشكل ، ونسخة المعهد الرباطية بخط مغربي دقيق وغير مشكولة ، وبذلك تكون نسختنا أجمل خطأً وأصح نصاً وضبطاً ، ففي النسخة الرباطية بعض جهل ناقصة ، ولكنها تمتاز بكمال خطبتها ، التي ليس منها في مخطوطتنا إلا الثلث الأخير ، فحمدنا الله على إكمال نسختنا ببقية خطبتها المهمة ، لأن خطب الكتب تدل على آراء مؤلفيها ، ونحن الآن ننشر هذه الخطبة كاملة ليُعنى بنسخها من اقتنى نسخة من إتباعنا ليتمم بها خطبته المبتورة من أولها ، وتلك هي الخطبة بكاملها وجمالها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله إله الأولين والآخرين ، وصلى الله على سيد المرسلين ، وإمام المتقين وخاتم النبيين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وذريته المنتجبين ، وعترته الهادين المهديين وسلم كثيراً .

قال عبد الواحد علي : هذا كتاب الإتياع والتوكيد دعانا إلى تأليفه إغفال سلفنا أفراد كتاب فيها ، شافٍ في استيعابها وتفصيلها ، مع كثرة استعمال العرب لها ، واستعانتهم في الكلام بها ، حتى قال بعضهم ، وقد مثل عن كلمة في الإتياع ما معناها ؟ فقال : شيء نثيد به كلامنا وتقويته ونثبتته ، يقال : وثدت الويد أيدته وثداً إذا أثبتته في حائط أو أرض ، فأنا واتد وهو موقوف ، والواتد أيضاً المنتصب الثابت قال أبو دواد الإيادي يصف بقرة وحشية :

ويدت لينا أذن يوجييس حرّة وأجم واتد

يعني قرنهما ؛ وإنما قرئنا الاتباع بالتوكيد لأن أهل اللغة اختلفوا ،
 فبعضٌ جعلوهما واحداً ، وأكثرهم اختاروا الفرق بينها ، فجعلوها (الاتباع)
 ما لا تدخل عليه الواو نحو قولهم عطشان تطشان ، وشيطان ليطان ،
 و (التوكيد) ما دخل عليه الواو نحو قولهم : هو في حِلٍّ وبِلٍّ ، وأخذ
 في كلِّ فن وقتن (١) ، ونحن بحمد الله نذهب إلى أن الاتباع ما لم يختص به
 بمعنى "يمكن إفراده به" ، والتوكيد ما اختص "بمعنى" وجاز إفراده ، والدليل
 على صحة [قولنا الخ من تنمة خطبة كتاب الإتياع الذي نشرناه] .

عز الدين التنوخي



(١) التكن - الفرع والنمن أو ما تشب منه ويجمع على أكنان ، والكن على فنون .

آراء واستفتاء

قد يكون مصاب العرية بأبنائها

أكبر من مشكلتهم بها

لا أدري لماذا نعتد - نحن العرب - قضايا لغتنا بلا سبب ، وهو شيء لا يفعله غيرنا من سائر أبناء اللغات ، في شرق هذا العالم وغربه .
فأحياناً نزيد تسهيل القواعد ، وقد يكون في ذلك شيء من الفائدة ،
لو أن التسهيل وقف عند حد مقبول معقول . ولكنه كثيراً ما يتجاوز حده ،
فنقع في شر مما هربنا منه .

وتارة ، نزيد أن نسهل الإملاء ، وهو إملاء سهل هيّن ، مبني على
أصول وقواعد ، ليس عند الأمم كافة شيء من مثله : سهولة ووضوحاً ،
وقد ضربنا غير مرة الأمثال على ما عند غيرنا من صعوبات في إملاآتهم ،
وعلى رضائهم بما عندهم ، حرمة للغاتهم ، وحفاظاً على قدسيتها ووحدتها .
وطوراً نزيد أن نخضع لغتنا إلى غيرها من اللغات ، فنحاول أن نزيد
حروفاً على ما عندنا من الحروف ، ليستقيم لنا لفظ الكلمات الأعجمية
- ولا سيما الأعلام - كما يلفظها أصحابها ، وليس في الأمم من يفعل هذا .
فحروفنا الحلقية - وأكثرها لا يستطيع غربي أن يلفظ بها - فما سمعنا أنه
قام عندهم أحد يدعو إلى إحداث حروف جديدة معينة على التلفظ بكلماتنا .
فإذا قيل : إننا في حاجة إليهم ، فوق حاجتهم إلينا ؟ قلنا : لا ! . فالحاجات
من لغوية ومعاشية واجتماعية - ولا سيما في يومنا هذا - متبادلة بيننا وبينهم
على قدم المساواة . . .

إذا اختل ميزان الحاجة ، بأن شالت كفته عندنا من ناحية ، رجحت من أخرى . فعلام لا يفعلون فعلنا ، وحتى لا نفعل فعلهم . ذلك لما ركب في نفوسنا من ضعف ، واستقر فيها من استسلام حتى في المجال اللغوي .

★ ★ ★

ثم إذا حاول جمع من المجامع اللغوية ، أو قام لغوي من الثقات الذين يُطمأن إلى علمهم ، ويستأنس برأيهم ، فوضع معنى من المعاني المستحدثة ، لفظاً يليق به ، أخذاً من دواوين اللغة ، على الحقيقة أو المجاز ، أو الاستعارة أو الاشتقاق ، انبرى له من يناقشه في جزئيات ودقائق ، قد لا يكون في كثير من الأحيان من طائل تحتها .

فكانهم يريدون أن تكون اللفظة وفاق المعنى ، كأنها موضوعة في أصلها له ، مفصلة على قدره ، لا تزيد عليه ولا تنقص عنه . وهذا شيء لا ينطبق على لغة من لغات العالم . وقد يكون من اللائق أن نذكر في هذا المجال بعض ألفاظ وضعها الأجانب في لغاتهم للدلالة على معان ، بعد ما بين حقيقة معناها ، وما وضعت له بعداً كبيراً . ومع هذا فقد ارتضوها ، وأحاطوها في معجماهم .

من ذلك :

١ — انسيكلويديا (Encyclopedie) ومعناها الحرفي (في الدائرة) ثم انتقلت إلى معنى (الترية الكاملة) فأين هذا الاسم من ذاك المسمى ؟ وقد كان البستاني يوم وضع معلمته ، حاول أن يسميها (الكوثر) فحيل بينه وبين هذه التسمية ، فأطلق عليها (دائرة المعارف) فكان في تسميته هذه ، أكثر توفيقاً ممن سمي أول ما سمي كتابه بـ (انسيكلويديا) ..

٢ — أكاديمية (Academie) وهذه لفظة قد تكون أكثر غرابة من سابقتها ، وأشدّ بعداً مما وضعت له . فالأكاديمية : حديقة في ضواحي أثينا كان يختلف إليها الفيلسوف أفلاطون فيجتمع فيها بتلاميذه ، يدرسهم الفلسفة . فأطلق من ثم اسم هذه الحديقة على جماعة تعمل للعلوم .

٣ — كنديدا (Candidat) ينلَب أن تطلق هذه اللفظة على من يطلب عملاً ، أو يترشح له . ومعناها الحقيقي (أيض) ذلك أن الذين كانوا يرشحون أنفسهم لعمل أو لانتخاب في رومية كانوا يلبسون أبيض (١) .

٤ — بنطلون (Pantalon) هذا اللباس الذي لا نعرف ماذا نطلق عليه ؟ قال بعضنا (سروال أو سراويل) وقال بعضنا الآخر لا بأس من تعريبه بلفظه في صيغة عربية كأن يقال مثلاً (بنطال) . وبنطلون في الأصل اسم رجل إيطالي من أهل البندقية يقال له السنيور (بنطالوني) . جاء باريس في عهد لويس الثالث عشر يمثل على ملاعبها ، وهو في زي بلاده ، يلبس السراويلات الطويلات ، في حين كان الفرنسيون يلبسون السراويلات القصيرات ، أو التباين . فقلدوه في لباسه . وتسمّى هذا اللباس باسمه . وكان أول من لبسه منهم الجند . ثم عمّ . فلبسه الأهليون بعد ثورة سنة ١٧٨٩ .

٥ — الغيوتين (Guillotine) وضع المربون لها المقصلة (من فصل أي قطع) وهي آلة كانت تستعمل لقطع الرؤوس . والكلمة مأخوذة من (غيوتين) اسم طبيب فرنسي اخترع هذه الآلة . وشقوا منها فعلاً فقالوا (Guillotiner) ثم تصرفوا بالفعل فكان منه اسم وصفة .

(١) ولم يبق من المعنى الحقيقي لمادة (Candidat) سوى (Candide) تطلق على الرجل (أبيض القلب) . (سليم الطوية) . أو هو الخدعة بضم فكون . وهو الذي يخدع .

٦ — بيرو (Bureau) ترجمت إلى العربية بمعنى مكتب ، وهي منضدة ذات ادراج . ثم استعيرت للفرقة يوضع فيها هذا المكتب ، ثم لغرفة الأعمال ، فغرف الوزارات ، فغرف الاجتماعات ، إلى غير ذلك مما يطول شرحه . أما (البيرو) بمعناه الوضعي ، فهو قطعة من الصوف الغليظ .

٧ — البيده (Bidet) هو الحصان الصغير (وقد يكون النغل) استعاروها للمرحاض فيقعد عليها . فأين هذا المعنى من هذا الاستعمال ؟

٨ — بوديه (Baudet) ومعناها الحمار استعاروها لصقالة من خشب أو حديد ذات أرجل ترفع عليها الألواح . ومن غريب الاتفاق أن العرب استعملوا هذا اللفظ نفسه ، لهذا المعنى نفسه . واستثقلت العامة هذا الاستعمال فحوّلت الحمار إلى الجحش . وأحسنن إذ هو أقرب في وضعه وعلوه إلى الجحش منه إلى الحمار . ويقول العلامة أحمد رضا العامي رحمه الله في هذه اللفظة ، (وهل الجحش إلا ابن الحمار) .

٩ — البرلمان (Parlément) لفظة غريبة الوضع ، غريبة الاشتقاق ، أخذت من (Parler) على غير قياس . وشقوا منها فعل فقالوا (Parlementer) وقد يكون الانكليز أول من استعملها .

١٠ — لونات (Lunettes) ومعناها قُميريات . استعملوها لهذه الزجاجات التي تكبر المرئيات لشبه في الاستدارة ليس غير . على ما بين (القمر) أو (البدر) وبين هذه الآلة من فرق .

أما العامة عندنا ، فقد استعملت لهذه الأداة المكبرة للأشياء ، والمساعدة للعين على النظر (العوينات) . وهو استعمال موفق . إلا أن الخاصة انتقدت هذا الاستعمال بأنه خطأ وأنه كان يجب أن يقال : « العيينات » لا « العوينات » . وكأن العامة استثقلت أن تجمع بين يائين متعاقبتين فأبدلت بالواو الأولى ياء . وهذا ما كانت تفعله العرب قديماً . فلم تقل في تصغير (واصل) (وويصل)

بل قالت (أويصل) . كما قالت (الدُّجِيَّة) وهي الظلمة ، بدلاً من (الدجوة) و (الدجية) واوية في أصلها ، كما هو معلوم . وقال الرسول (ﷺ) في كتابه إلى هرقل : أدعوك (بدعاية) الإسلام : أي بدعوته ، وهي الرواية الراجحة . ولم يقل (بدعاوة) الإسلام . كما قالوا (تَحْمَة) من (وخم) و (ترات) و (ورت) .

١١ — سندويش (Sandwich) مموا بها هذه اللقمة العجلاء التي يأكلها الممرع . وسندويش في أصلها اسم لمجموعة من جزائر الاثلنتيك 'نسب إليها رجل كان يقامر ويستعمل هذه (الشطائر) كي لا يفارق مائدة القمار . والشطائر جمع شطيرة ، وزن فطائر وفطيرة ، أفضل ما يستعمل للفظ السندويش . وقد يكون الزميل العزيز التنوخي نائب رئيس المجمع العلمي أول من استعملها . هذا شيء يسير من تحويل الألفاظ عن معانيها الحقيقية إلى معانٍ (بجازية) حتى انتهى الأمر بأن 'تنوسي المعنى الحقيقي في كثير من الأحيان ، وقام مقامه المعنى المجازي .

هذا ما جرى ويجري عند سائر الأمم . وهو ما جرى عليه العرب من قبل ، ولا بد لنا «اليوم» من أن تتبع هذه الخطوات ، على أن تقر الجامعات العلمية ، ماعسى أن يضعه الأفراد من ألفاظ ، بعد دراسة وتمحيص .

هاتف السكرى



تحقيق حول لفظتي المرافد والمشاد

قرأت في الجزء الثامن من المجلد الأربعين - نيسان سنة ١٩٦٥ - من مجلة المجمع العلمي العربي مقالاً طيباً للأخ الصديق الأستاذ ظافر القاسمي تحت عنوان « مصطلحات شدياقية » عني فيه صاحبه بإيراد عشرات وعشرات من الألفاظ التي استعملها الشيخ أحمد فارس الشدياق لأول مرة في كتابيه الطريفيين : « الواسطة » ، في معرفة أحوال مالطة . « وكشف الخبايا » ، عن فنون أوروبا .

وقد كان جميلاً من صديقنا القاسمي ، ابن المفسر ، وحفيد المحدث ، أن يستنبط الطرق التي سلكها الشدياق في بحث المفردات والمصطلحات التي سبق بها أعلام النهضة في القرن التاسع عشر ، كما كان جميلاً أن يتتبع تلك المفردات على سبيل تكاد تكون أقرب إلى الحصر وفق ورودها متتابعة في الكتابين ، فانه بذلك قد كشف لنا عن فضل الشيخ أحمد فارس في حركة الترجمة والتعريب لألفاظ الحضارة الحديثة ، وفي بحث ألفاظ عربية ، كانت خبيثة في المعجم العربي ، تقابل المصطلحات الأعجمية .

والحق أن عمل الشيخ أحمد فارس الشدياق في هذا المجال اللغوي التعبيري شبيه بعمل الشيخ رفاعه رافع الطبطبائي الذي يتجلى واضحاً في كتاب رحلته المشهور « تخليص الإبريز » ، إلى تلخيص باريز ، والذي كان سابقاً على عمل الشدياق في رحلته إلى مالطة وأوروبا .

ولسنا الآن بسبيل الموازنة بين الرجلين ، فقد كانا في مجال وضع مصطلحات الحضارة الحديثة فرسي رهان ، وإنما أردت أن أذكر - من باب التلازم

أو تداعي المعاني - ما يقتضيه الإنصاف لعلمين من أعلام نهضتنا الحديثة تعاصرا ،
وتقابلا ، وحررا في « الوقائع المصرية » . وأعجب كل منها بصاحبه وشق
كل منها في الحياة طريق الإمامة ؛ فالطهطاوي إمام النهضة الفكرية ، والشدياق
إمام النهضة اللغوية .

وإني لأتمنى على الصديق القاسمي أن يتبع الفضل بفضل ، فيكتب لنا
مقالاً آخر عن « مصطلحات طهطاوية » يتبع فيه الألفاظ والمصطلحات
الكثيرة التي وضعها الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي ، سواء في إبريزه أم في
كتبه الأخرى ، فانه سيتحيف قراء مجلة المجمع العلمي العربي بحصيلة عظيمة
من المفردات والمصطلحات التي سلك فيها مسلك التعريب حيناً ، والترجمة
أحياناً . وإني على ثقة أننا سنخرج من قراءة المقالين - بعد استجابة القاسمي
الكريم لرجائنا - بمقارنات ذات قيمة في حركة الترجمة والتعريب في النصف
الأول من القرن الماضي ...

فقد ماتت مثلاً عبارة « التذاكر اليومية ^(١) » التي وضعها الشيخ رفاعة
في مقابل لفظة « Journeaux » الفرنسية ، وبقيت - أو بقي شطر - عبارة :
« صحيفة ^(٢) الأخبار » التي وضعها الشيخ فارس الشدياق .

وماتت عبارة « خزائن المستغربات ^(٣) » التي وضعها رفاعة الطهطاوي في
مقابل لفظ (Le Musée) الفرنسية ، وعاشت لفظة « مُشْحَف » ^(٤) التي
وضعها الشدياق بدلاً منها .

(١) انظر تخلص الإبريز ص ١٤٤ .

(٢) انظر كسف الخبا ، عن فتون أوربا ص ١٦٢ .

(٣) انظر تخلص الإبريز ص ١٣٥ .

(٤) انظر كسف الخبا ص ٢١٥ .

ومتوضح لنا المقابلة بين فارس الشدياق ورفاعة الطهطاوي - لو أن لنا ما تمنينا على الأستاذ ظافر القاسمي - كيف كان الشدياق يؤثر ترجمة المصطلحات على تعريبها حين يكون له في الترجمة منادح ، على حين كان الشيخ رفاعة يميل كثيراً إلى تعريب اللفظة الأعجمية - أعني الأجنبية - بما يكاد يقرب من لفظها الأجنبي . فالطهطاوي يستعمل كلمة « فاميلة » تعريباً للفظة Famille الفرنسية ، مع أن كلمة « أسرة » هي المقابل العربي الفصيح لها . وكثيراً ما كان يدخل الشيخ رفاعة هذه الألفاظ المعربة في شعره ، كقوله :

ومد زهت الأفراح قلت مؤرخاً بهيج الملا تأهيل « فاميلة » الملك (١)
وكقوله في القصيدة نفسها يصف « البال » التي عربها عن لفظة Bal الفرنسية بمعنى محل الرقص :

وملعب « بال » بالحسان منعم عيون غوانيه تنازل بالفتك
وقد ظلت لفظة « البال » مستعملة بعد الطهطاوي بعشرات من السنين ، وآثر الشاعر أحمد شوقي أن يستخدمها في عنوان قصيدته « أثر البال في البال » التي نظمها في وصف ليلة راقصة بقصر عابدين ...

ولم يكن الشيخ رفاعة وحده مؤثراً للتعريب على الترجمة ، فمن مآثورات فارس الشدياق ألفاظ معربة غير قليلة كاستعمال لفظة « هسبيتاليتي » بمعنى قرى الضيف ، و « طوست » تعريباً لكلمة Toast الانجليزية ، و « بنك » وإن كان ترجمه بعد ذلك بكلمة « مصرف » .

ولقد لفت نظري في مقال الأستاذ ظافر القاسمي أنه وقف عند لفظة « المرافد » التي استعملها الشدياق مشيراً إلى قلة استعمالها في عهده لقلة

(١) انظر كتاب « الكواكب النيرة » لرفاعة الطهطاوي ، طبع بولاق سنة ١٢٨٩ هـ .

استعمال السوالمف المممة . وعلق القاسمي على لفظة « المرافد » بقوله : (ولعل من عنده علمها يعلمنا) .

ويسعدني أن أقول هنا لا متعلماً على الصديق العالم الذي غناه الله إلى نعمة العلم الأصيل ، بل مستذكراً معه بعض قراءاتي من مؤلفات أحمد فارس الشدياق أن الرجل استعمال كلمة « المرافد » - في كتابه الساق على الساق - لكل ما تعظم ، أو تضخم به المرأة عجيزتها جذباً لليون الرجال وللشدياق في هذا المجال كلام من إحماضه الذي لا يليق ذكره هنا ، ولعل الرجوع إليه في موضعه من الساق على الساق أولى ، فهو هناك في صفحة ١٩٩ من الطبعة المصرية .

وقد أورد الشدياق للمرافد بضعة من المترادفات ، منها الزناجب ، والمنافع ، والرفائع ، والفلائل ، والمرافق ، والمُعْظَمات ، والحشايا ، والأضاحيم ، والمصادغ .

أما الزناجب - بالزاي المعجمة والنون والجيم والباء الموحدة التحتية - فجمع (زنجية) وهي : المُعْظَمة - بالعين المضمومة والظاء المعجمة المشددة - كما جاء في القاموس المحيط باب الباء فصل الزاي .

وأما المنافع ، فهي المُعْظَمات أيضاً ، وامرأة تُنْفَج الحقيية ضخمة الأرداف . ولم أهتم إلى مفرد المنافع ، وقد أوردتها الفيروزآبادي على صيغة الجمع ، ولم يشر إلى مفردتها . ولكن « المعجم الوسيط » ذكر أن مفردتها : مَنفَج ، ومِنْفِجة - بكسر اليم في الحالين - وعرفها بأنها ما تعظم به المرأة عجيزتها . أما الرفائع فهي جمع رفاة . ، وقد ذكرها صاحب « المختص » في باب « لباس النساء وثيابهن » . وفي القاموس المحيط ان (الرفاة ، ككتابة ، ويُضم : المُعْظَمة) .

والفلائل جمع غلالة - ككتابة - وهي : العُظَّامة ، كما ورد في القاموس المحيط .

والرافق جمع مِرْقَة - بكسر الميم - وهي : الخدة ، ولم أجد نصاً على تخصيصها بالعظامات إلا عند فارس الشدياق ، ولعله استعملها على سبيل المقاربة لأن العُظَّامة لا تعدو أن تكون مخدة ، أو حَشِيَّةٌ تعظم بها المرأة عجيزتها . ومن هنا استعمل الشدياق أيضاً كلمة « حشية » وجمعها : حشايا ، للعُظَّامة ولكنه جاء بها من القاموس المحيط الذي نصّ على أن الحشية : « مرققة ، أو مصدغة تعظم بها المرأة بدنّها أو عجيزتها » . ومن هنا أيضاً كان الشدياق على حق حين جعل المرققة مقابلة للمرفد وللعظامة . وإن كان هذا المعنى لم يرد في القاموس المحيط في مادة « رفق » ، ولكنه جاء في غير مظهره ، أي في مادة : حشا .

ولقد فات الشدياق - وهو الذي كان يحفظ القاموس المحيط سن ظهر قلب - أن يشير أيضاً إلى أن لفظ « الحشى » - بكسر الميم وفتح الشين - هو من مرادفات المرفد .

أما المصادغ فجمع مِصدغة - بكسر الميم - على وزن مكنسة ، وهي : الخدة ، كما جاء عند الفيروز ابادي مادة « صدغ » ، ولكن النص على تخصيصها بما تعظم به المرأة عجيزتها جاء في مادة : حشا ، كما جاءت لفظة المرفقة ، كما سلف القول .

أما الأضاحيم فجمع : أضخومة بالضم ، وهي عُظَّامة المرأة ، كما جاء في القاموس ، وقد فات الشدياق مرادفات آخر لمرفد المرأة ، وقد جاء بها ابن سيده في المخصص ، وهي : العُظْمة ، بضم العين ، والعِظامة بكسر العين وتخفيف الظاء ، والعظيمة ، والإعظامة - وجمعها : أعاطيم ، والمِجَازة بكسر العين ، والإعجَازة .

وبهذه المناسبة جاء في الجزء الثالث من مجلة المجمع العلمي العربي بحث مفيد تحت عنوان « مصطلحات جدد لكلمات إفرنجية » ، بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين الكواكي . وقد ترجم فيه لفظة (Corset) بلفظة : أضخومة ، أو أعظومة . وفسره بأنه « عظام المرأة ، أي ما تعظم به عجيزتها » ، وليس الكورسيه لإعظام العجيزة ، ولكنه لضم الأرداف واعتصار لحمها ... فهو لعمل آخر غير ما صنعت من أجله المرادف والأضاحيم . والحق أنها عملان متضادان ... وقد كانت لجنة المجلة - حفظها الله - على حق حين علقت على ترجمة الأستاذ الكواكي وتعريفه ، بما أقرت به الأمر في نصابه . فهو تعليق جدير بالإشارة إليه ، والثناء عليه .

محمد عبد النبي حسن



أمثلة

من الأغلاط الواقعة في لسان العرب

— ٧ —

(٦٩)

في الكلام على حرفي الهجاء الطاء والظاء قال : وتكون الطاء أصلاً أو بدلاً [لا يقدم مثلاً ولكنه يعني أمثال اطيّر من تطيّر أبدل من التاء طاء وأدغمت في الطاء التي بعدها وزيدت همزة الوصل لدفع الابتداء بالساكن] وقال الظاء لا تكون بدلاً ، [والصحيح أنها تكون فاضلت من تظلمت مثل اطيّر من تطيّر - الظاء بدل من التاء .]
وفي مادة حثّ يقول ان ت د ط ظ الخ من حروف البدل .

★ ★ ★

(٧٠)

مادة ف ض ل — فضيل

في ثلاث صفحات فيها تكرير كثير لا يذكر لفظة فضيل ومعناها ذو الفضل ، مع أنها واردة في شعر الأعشى ورواها البرّد في الكامل . وهي فعيل بمعنى الفاعل :

وعلمت أن النفس تلقى حتفها ما كان خالقها الفضيل قضي لها

★ ★ ★

(٧١)

مادة ضرب

أورد شاهداً على ضرب بمعنى الشَّهْد :

تَدِبُّ حَمِيًّا الْكَاسَ فِيهِمْ إِذَا انْتَشَوْا دَيْبُ الدُّجَى وَسَطَ الضَّرِبِ الْمَسْئَلِ
 لَا بُدَّ لَنَا مِنَ التَّخْمِينِ لَكِي نَعْرِفَ كَيْفَ وَقَعَ الْحَيْفُ عَلَى ابْنِ مَنْظُورٍ
 فَالْأَرْجَحُ أَنَّ الْكَلِمَةَ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مَكَانَ الدُّجَى لَمْ تَكُنْ وَاضِحَةً فَأَنَعَمُ
 النَّاشِرُ نَظْرَةً فِيهَا وَقَالَ « لَفْظَةُ ثَلَاثِيَّةٌ أَوْ لَهَا دَوَاخِرُهَا ي » وَأَخَذَ يَعِدُّ مِنْ
 الْهَمْزَةِ إِلَى الْيَاءِ فَبَدَتْ لَهُ ثَلَاثُ كَلِمَاتٍ دُجَى دُمَى دُنَى فَقَالَ الدُّنَى لَا تَدِبُ
 وَالْدُمَى لَا تَدِبُ أَمَّا الظَّلَامُ فَإِنَّهُ يَدِبُّ فَجَاءَ فِي الْبَيْتِ « دَيْبُ الدُّجَى »
 أَيْ سُورَةُ الشَّرَابِ تَدِبُّ فِي الشَّارِبِينَ كَمَا يَدِبُّ الظَّلَامُ وَسَطَ الْمَسْئَلِ .
 وَلَوْ خَطَرَ بِإِلَيْهِ أَنَّ النَّمْلَ يُقَالُ لَهُ الدُّبَى مَا ظَلَمَ ابْنُ مَنْظُورٍ هَذَا الظَّلَمَ .

★ ★ ★

(٧٢)

مادة ضرب وسفق - سفيفة ، ضريبة .

لَا يَذْكُرُ سَفِيْقَةً وَلَا ضَرِيْبَةً بِمَعْنَى الْقِطْعَةِ الطَّوِيلَةِ الرَّقِيقَةِ ، وَالْقَامُوسُ ذَكَرَ
 سَفِيْقَةً فِي سَفَقٍ وَذَكَرَ ضَرِيْبَةً فِي تَفْسِيرِ سَفِيْقَةٍ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهَا فِي بَابِهَا .
 قَالَ الْمَجْدُ : السَفِيْقَةُ الضَّرِيْبَةُ الدَّقِيقَةُ الطَّوِيلَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَنَحْوِهَا .

★ ★ ★

(٧٣)

قَالَ : جُثْمٌ وَقَعَ عَلَى صَدْرِهِ وَاسْتَشْهَدَ بِأَبِي النِّجْمِ « إِذَا الْكَلِمَةُ جُثْمُوا
 عَلَى الرَّكَبِ » .

فَمَا مَعْنَى هَذِهِ الشَّهَادَةِ ؟ اَلْخَطَأُ هُنَا فِي التَّرْتِيبِ فَالشَّاهِدُ وَجِبَ أَنْ
 يَوْتِيَ بِهِ بَعْدَ الْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ .

★ ★ ★

(٧٤)

مادّة ودق — استودق .

لا يذكر لفعل استودق إلا "معنى واحد : استودقت الناقة اشتهدت الفحل . على أنه يستعمل هذا الفعل في تفسير (اجتمل) بمعنى آخر . قال الاجتال أن تشوي لما فكلما وكفت إهالته استودقته على خبر ثم أعدته (إلى النار) ومعنى استودقته وكفتته أي جعلته يقطر .

وفعل (وكفتته) لا يذكره اللسان في مادّة وكف ، بهذا المعنى بل يقول وكف الدابة وضع عليها الوكاف ، وكف الوكاف عمله . والمجد لم يذكر غير هذا ، لذلك لا نرى المعنى الآخر في الذين تقلوا عنها . على أن ابن منظور استعمل هذا الفعل بهذا المعنى في تفسيره « الجميل » . قال : « الجميل الشحم يذاب فكلما قطر وكف على الخبر ثم أعيد » . [وكف بضم الواو رباعي مبني للمجهول الفاعل] .

★ ★ ★

(٧٥)

مادّة ج ث م .

روى البرد للأعشى : « أبوا غير ضرب يهيم الهام وقعته » . الأعشى موضع ثقة اللسان أي أن صاحب اللسان والذين أخذ عنهم كانوا يتخذون الأعشى حجة — والبرد من الذين يذكروهم اللسان بقوله قال البرد . والبيت ليس فيه شذوذ . ومع هذا لا يذكر أجثم (بزيادة الهمة لتعدية (جثم) مثل جلس وأجلس ووقع وأوقع الخ .) .

★ ★ ★

(٧٦)

مادّة ح ث ث — أحث .

يذكر احث واستحث وحث ولا يذكر أحث — الفيروزابادي

ذكره ، والمبرّد ذكره في بيت للبهراني :
 إذا ما حُدينَ بمدح الأميرِ سبقنَ لحاظَ المُنحيثِ العَجيلِ
 والبهراني من الذين استشهد بهم اللسان وفُتّرَ شعرهم - انظر س ف ه .

★ ★ ★

(٧٧)

مادة ع ق ل - عَقْلَة .

قال : « لفلان عَقْلَة بعقل بها الناس يعني أثه إذا صارعهم عقلَ أرجلهم وهو الشغزية » ولكي يفهم قصده يجب أن يُردّ القارىء إلى ما سبق صرعه الشغزية وهو أن يلوي رجله على رجله .

وقال أيضاً : « ويُقال به عَقْلَة من السحر وقد عمِلَتْ له نُشْرَة » - ولا يفُتّر لأن الطالب يَسْتَنْتِج - هذا ما قاله عن العقلة . ولكنّه ذكر معنى آخر لهذه اللفظة في تفسيره حُبْسَة - قال هناك « العقلة التواء في اللسان عند إرادة الكلام » تفسير صحيح ساعد على إفهام معنى حُبْسَة ولكن الواجب كان أن يُذكر أيضاً في مادة ع ق ل .

وفي بداية هذه المادة قال : العقل الحِجْر والنشئ ضدّ الحق .
 (١) العقل ضدّ الحق وغير الحق كالفك والجهل .

(٢) العقل ، مصدر ، ضدّ الحق لأنّ الحق مصدر تحقيق : مصدر يقابل مصدرأ ولكن العقل بمعنى الحِجْر [اللب لإمساكه ومنعه وإحاطته بالتمييز] . والنشئ [أي الألباب] ليس ضدّ الحق - لأن الحِجْر والنهي من قوى الإنسان الروحية أو من وظائف النفس أو قلّ ما شئت ولكن لا الحِجْر مصدر ولا النشئ بدليل أن النشئ جمع وأن الحِجْر يُجمع ، ولكن الحق لا يجمع لأثّه مصدر . فإلخاطأ هنا من عدم التدقيق في التعبير والمعجم لا يجوز أن يكون فيه إخلال بدقة التفسير .

يتبع : (سنپولو) توفیق داود قریبانه



تصويبات الجزء الأول والثاني من المجلد (٤١)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٦	٤	لدى الفقهاء	لدى النقّاد
٢٦	٩	صلة تشریف	صفة تشریف
٢٧	١٠	بأكثر المقصورة	بأكثر المقصور
٣٤	٥	أن يختاطوا	أن يختاطوا
٣٤	٢١	بمقام الأسف	مقام الأسف
٣٩	٤	في قول الشعر	إلى قول الشعر
١١٩	١٨	الجزئيات	الجزئيات
١٢٥	٤	وأن تكليفه	وأن يكون تكليفه
١٢٧	١٩	الكلام	الطعوم
١٣٣	٥	لون الحدس	لون الحدس
٢٤٩	٤	فني	فتي
٢٥٦	١٩	يقبل ذا الجدارا	يقبل ذا الجدار
٢٦٧	٦	أسيّة	آسية
٢٧٦	٤	(من الحاشية) أو التباس	أو التباساً
٢٨٠	١١	الرواية الثقة	الرواية الثقة
٣١٣ — ٣٢٤		في المقال الذي عنوانه « أبو عبد الله المقرئ » وردت نقط مختلفة العدد بين الجمل كان يجب إزالتها لأن وضع بضع نقط في جملة أو بعد جملة من الجمل لا تكون إلا للدلالة على تخطي قسم من النص إلى ما يثبت منه بمد النقط . وقد اعتاد بعض الكتاب وضع نقطتين أو أكثر جزافاً من دون أن يكون هنالك نص يتجاوزوه .	
٣٢٥	٢	معركة ذات الصواري	معركة ذات الصواري
٣٢٩	حاشية (٤)	Les Barbares du grand	Les Barbares des grandes
		invasion au Conquest	invasions aux Conquetes
		Turque	turques





Bibliotheca Alexandrina



0652737